



الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الحياة الاجتماعية في سورية

في العصر الروماني (٦٤ق.م - ٣١٣م)

بحث أعد لنيل درجة الماجستير في تاريخ الشرق القديم

إعداد الطالبة

بشرى معلا

إشراف

د. تغريد شعبان

١٤٤٠-١٤٤١هـ

٢٠١٩-٢٠٢٠م

جامعة دمشق:

المحتويات

الموضوعات	الصفحة
المقدمة.....	٦
الفصل الأول: الحياة السياسية والاجتماعية في سورية في العصر السلوقي.....	١٢
أولاً: الحياة السياسية في سورية في العصر السلوقي.....	١٣
١ - سورية في ظل حكم الإسكندر.....	١٤
٢ - سورية في ظل الحكم السلوقي.....	١٥
أ. سلوقس الأول (٣١٢ - ٢٨٠ ق.م).....	١٥
ب. تنظيم السلوقيين لسورية.....	١٦
١. الولاية.....	١٧
٢. المدن والمستعمرات.....	١٨
أ- المدن الإغريقية.....	١٩
- مدينة انطاكية.....	٢٠
- مدينة سلوقية بيرية.....	٢١
- مدينة أفامية.....	٢١
- مدينة لاوديكية.....	٢١
ب- المستعمرات.....	٢٢
ثانياً: الحياة الاجتماعية في سورية في العصر السلوقي.....	٢٣
١ - مكونات المجتمع السوري في العصر السلوقي.....	٢٣
أ- عناصر السكان.....	٢٤
- الإغريق والمقدونيون.....	٢٤
- العناصر الوطنية.....	٢٦
ب - طبقات السكان في العصر السلوقي.....	٢٧
١- طبقة الإغريق والمقدونيين.....	٢٧
٢- طبقات الأهالي الوطنيين السوريين.....	٢٩
٣- طبقة العبيد.....	٣٠

٣١		ثالثاً: العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة في سورية في العصر السلوقي
٣١		١ - الدين
٣٤		٢ - المرأة
٣٦		الفصل الثاني: الحياة الاجتماعية في سورية في العصر الروماني
٣٧		أولاً: مكونات المجتمع السوري في العصر الروماني
٣٧		١ - عناصر السكان
٣٧		أ - الآراميون
٣٨		ب - الفينيقيون
٣٩		ج - اليهود
٤٠		د - الإغريق والمقدونيون
٤٠		هـ - العنصر الروماني
٤١		و - العنصر الفارسي
٤٢		٢ - طبقات السكان
٤٢		أ - الطبقة الحاكمة (الأرستقراطية-ملّك الأراضي)
٤٣		ب - طبقة المزارعين الأحرار والأقنان والعتقاء
٤٤		ج-طبقة الحرفيين والصناع
٤٦		د - طبقة العبيد
٥٢		ثانياً: العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة في سورية في العصر الروماني
٥٢		١ - العادات والتقاليد الأسرية
٥٢		أ - العائلة
٥٣		ب - الزواج
٥٥		ج - الطلاق
٥٥		د - المساكن
٥٦		هـ - التعليم
٥٧		و- اللغة
٥٧		- اللغة الآرامية

٥٨	– اللغة اللاتينية.
٥٨	– اللغة اليونانية.
٥٩	٣ – دور المرأة السورية في العصر الروماني.
٥٩	أ – سياسياً.
٦١	ب – دينياً.
٦٢	ج – اجتماعياً.
٦٤	ثالثاً: المهرجات والاحتفالات في المجتمع السوري في العصر الروماني.
٦٥	١ – الأعياد.
٦٥	أ – عيد الإله أدونيس.
٦٥	ب – عيد المشاعل.
٦٦	ج – عيد الإله ميوما.
٦٦	د – عيد الرحلة المقدسة للإله إيلاجابالوس.
٦٧	٢ – المعابد.
٦٨	٣ – طقوس العبادة.
٦٩	أ – الإغتسال والطهارة.
٦٩	ب – الصلوات.
٧٠	ج – النذور والأضاحي.
٧٠	– الخبز والبخور.
٧٠	– التقدمات النذرية.
٧١	٤ – الدفن و معتقدات ما بعد الموت.
٧٢	٥ – وسائل الترفيه.
٧٢	أ – الحمامات.
٧٥	ب – وسائل ترفيهية أخرى.
٧٧	الفصل الثالث: التأثير المتبادل بين المجتمعين السوري والروماني.
٧٨	أولاً: التأثير الروماني على المجتمع السوري.
٧٨	١ – التأثير الروماني عن طريق منح الامتيازات الرعوية.

٢ - التأثير الروماني عن طريق الخدمة العسكرية	٨٢
٣ - التأثير الروماني على اليهود	٨٦
٤- انعكاسات التأثير الروماني العمراني على الحياة الاجتماعية	٨٧
ثانياً: التأثير السوري على المجتمع الروماني	٨٩
١ - من الناحية السياسية	٩٠
٢ - من الناحية الدينية	٩٥
أ - دور التجار السوريين في نقل التأثير الديني السوري إلى الرومان	٩٧
ب - دور الجنود السوريين في نقل التأثير الديني السوري إلى الرومان	٩٨
ج - ظهور المسيحية وانتشارها	٩٩
٣ - من الناحية الثقافية	١٠٢
أ- في مجال الشعر	١٠٢
ب- الخطابة والبلاغة	١٠٣
ج- الفقه	١٠٥
د- العلوم الفكرية	١٠٦
الخاتمة	١٠٩
المصادر والمراجع	١١١
الملاحق	١٢٤

المقدمة

تقع سورية في قلب العالم القديم، ولهذا احتلت مكانةً مهمةً عبر العصور، فعلى أرضها امتزجت العديد من الحضارات؛ كالبابلية والآشورية والمصرية والحثية واليونانية والرومانية وغيرها. كانت وما زالت جسراً حضارياً بين الشرق والغرب، ومركز لقاء الثقافات والأفكار والمعتقدات.

أما الحدث الأبرز، فهو اختراعها للأبجدية التي فتحت أمام العالم أجمع سُبُل العلم والمعرفة، فأهلها أخذوا وأعطوا على مر العصور ولا يزالون يأخذون ويعطون من ثمرات الفكر الإنساني، كما كان أجدادهم يصلون الأمس باليوم في مسيرة باهرة مبدعة، وهذا ما عبر عنه المؤرخ الفرنسي أندريه بارو بقوله: «إن كل إنسان في العالم له وطنان وطنه الأصلي وسورية».

كان للسوريين دور كبير في الحياة الرومانية عامة، حيث أخذت الأفكار والمظاهر الشرقية السورية، تظهر في روما بقوة، حتى وصل الأمر إلى حد إدخال الآلهة السورية إلى روما، ثم إدخال طرائق الحياة الاجتماعية، وامتد النفوذ السوري حتى في السياسة، فاحتل الكثير من السوريين المناصب المهمة في روما، ومنهم من وصل إلى حكم عرش هذه الإمبراطورية.

حمل السوريون معهم إلى روما كل شيء، بدءاً من التشريع، وسن القوانين، مروراً بالفنون، كالموسيقا والعمارة والعلوم وفن النحت والترميم.

تأتي أهمية دراسة الحياة الاجتماعية في سورية خلال العصر الروماني (٦٤ق.م - ٣١٣ م) من خلال الكشف عن تفاصيل حياة السكان وعاداتهم وتقاليدهم وما يمتلكونه من إرث حضاري، مع إيضاح الظروف المحيطة بهم، كما تسهم في فهم أوضاع السوريين في ذلك العصر، والشعوب التي سكنت أرضهم؛ موضحة الإرث الثقافي الكبير الذي امتلكه عبر العصور المتعاقبة، وتركو بصمة واضحة في حياة الشعوب الأخرى التي اتصلوا بها.

فضلاً عن عدم وجود دراسة متكاملة تصف الحياة الاجتماعية في سورية في ذلك العصر، وتعمل على تغطية جوانبها كافة، وجاءت معظم الدراسات مجزأة ومتفرقة، لذلك كان لا بد من دراسة شاملة لتغطية تلك الفترة المهمة من تاريخ سورية.

وأجهت هذه الدراسة مجموعة من الصعوبات، كان أبرزها المصادر المتعلقة بالبحث، حيث لم تكن في متناول اليد؛ بسبب فقر مكتباتنا بها، والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي حالت دون استكمال جمع المادة العلمية المطلوبة، وهذا فرض البحث الشاق، لتأمين المصادر والمراجع؛ مما أسهم في سد بعض ثغرات البحث.

أما الإطار الزمني للبحث: فهو يمتد منذ (٦٤ق.م)؛ أي منذ احتلال القائد الروماني بومبة (بومبي) سورية حتى عام (٣١٣م)، وهو العام الذي تم فيه الاعتراف بالديانة المسيحية إلى جانب الديانت الأخرى في الإمبراطورية الرومانية.

أما الإطار المكاني للبحث، فهو يشمل المنطقة الممتدة ما بين الأناضول شمالاً (طوروس وكيليكيا) ومرتفعات الأردن وفلسطين جنوباً، وما بين البحر المتوسط غرباً وبلاد الرافدين شرقاً (أي تشمل أراضي الجمهورية العربية السورية حالياً مع جمهورية لبنان بحدودهما السياسية).

إن الجغرافية الطبيعية لسورية حالت دون قيام وحدة بين الكيانات السياسية التي تحكم أرضها؛ وذلك بسبب وجود السلاسل الجبلية التي يصعب بوجودها قيام اتصال بين منطقة وأخرى؛ فضلاً عن موقعها المتميز بين الشرق والغرب، وهذا ما جعلها مسرحاً للقتال على مر العصور.

يهدف البحث إلى تقديم صورة واضحة عن الوضع الاجتماعي لسورية خلال الفترة الرومانية؛ متضمنة طبقات المجتمع ومكوناته، واللغات والعادات والتقاليد؛ فضلاً عن التأثيرات والتفاعلات المتبادلة بين السكان المحليين والغزاة الجدد في مجالات الحياة الاجتماعية المختلفة.

تم تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول: تناولت المقدمة أهمية سورية وموقعها، وأسباب اختيار البحث وأهدافه، ثم الإطار المكاني والزمني للبحث، ودراسة لأهم المصادر والمراجع المعتمدة.

الفصل الأول: تناول الحياة السياسية والاجتماعية في سورية قبل العصر الروماني؛ متضمناً الحياة السياسية في ظل حكم الإسكندرو السلوقيين، والحياة الاجتماعية ومكونات المجتمع السوري وعناصر السكان وطبقاته وعاداته وتقاليده خلال الفترة السلوقية.

أما الفصل الثاني: فتطرق إلى الحياة الاجتماعية في سورية في العصر الروماني؛ متضمناً مكونات المجتمع السوري، وعناصر سكانه وطبقاته وعاداته، والمهرجانات والاحتفالات السائدة في المجتمع السوري في ذلك العصر.

وتناول الفصل الثالث التأثير المتبادل بين المجتمعين السوري والروماني، من النواحي السياسية والدينية والثقافية. ثم الخاتمة، وتتضمن نتائج البحث.

تقسم المصادر المعتمدة في هذا البحث إلى:

أولاً: المصادر الأدبية:

وهي كتابات المؤرخين الكلاسيكيين الذين عاصروا تلك الفترة:

١ - سترابون Strabo (٦٤ق.م - ٢٣م):

جغرافي ومؤرخ من آسيا الصغرى، اشتهر بـ جغرافية سترابون المؤلفة من ١٧ جزءاً تم الاعتماد عليها في البحث، ولاسيما على الجزء ١٦ فيما يتعلق بالتعريف الجغرافي لمناطق جوف سورية وفينيقيها وفلسطين.

٢ - لوقيانوس الساميساطي Lucian of Samosata (١٢٥ - ١٨٠م):

مؤرخ وخطيب سوري، ولد في مدينة سميساط، في الفرات الأوسط في شمال سورية، في القرن الثاني الميلادي. تُعدّ كتبه ذات أهمية كبرى، ولاسيما من الناحيتين التاريخية والدينية لسورية في العصر الروماني، فقد تحدث عن الهيمنة الرومانية على البحر المتوسط، وعن الآلهة والمعابد السورية.

٣ - لبيانوس الأنطاكي Libanius of Antioch (٣١٤ - ٣٩٣ م):

يُعدّ من أشهر خطباء أنطاكية في القرن الرابع الميلادي، اُشتهر بتمسكه بوثنيته، وإصراره على معاداته للمسيحية، ومات وثنياً؛ تاركاً عدة خطابات، تم اعتماد الخطاب الحادي عشر منها الذي يحمل عنوان "الأنطاكي" حيث يمكن الاستفادة من معلوماته المهمة التي قدمها عن أنطاكية في تلك الفترة.

٤ - بلوتارخ Plutarch (٤٦ - ١٢٠م):

فيلسوف وكاتب سير من بلاد الإغريق، تلقى علومه في أثينا، وتنقل بين روما وإسبرطة وكورنثة والإسكندرية وغيرها من المناطق.

من أهم أعماله: التراجم التي قارن فيها بين أهم الشخصيات الإغريقية والرومانية، وله كتاب «إيزيس وأوزيريس»، وعلى الرغم من سطحية بعض أبحاثه، غير أنه تم الاعتماد عليها بالحديث عن طبقات المجتمع السوري في العصر الروماني.

٥ - فيلون الجبيلي Philon of Byblos (١٤١ - ٦٤م):

مؤرخ سوري، اهتم بكتابة التاريخ السابق والمعاصر له. اختلفت الموضوعات التي سجلها، وأرخ، فكانت من دينية ومدنية وسياسية وحضارية، وله مؤلفات وكتب كثيرة أهمها كتاب التاريخ الفينيقي، وهو عبارة عن سجل للتقاليد والأساطير الفينيقية. لمؤلفاته أهمية كبرى في إبراز جهود السوريين في الاكتشافات والاختراعات.

ثانياً: المصادر الأثرية: وتشمل:

١ - النقوش: وتشمل: (Inscriptions Grecques et Latines de La Syrie IGLS) مجموعة النقوش الإغريقية واللاتينية المكتشفة في سورية (Corpus Inscriptionum Semiticarum. Vol. I.)

Académie des inscriptions & belles – lettres. Ed. By Reipublicae Typographeo.

(Paris, 1881) ومجموعة النقوش السامية التي تعود لفترة السيطرة الرومانية عليها.

وقد قدمت تلك النقوش معلومات مهمة عن الوضع الاجتماعي لسورية في العصر الروماني، كطبقات السكان ووضع العائلة والمرأة واللغات المنتشرة في تلك الفترة. فعلى سبيل المثال وجد نقش كتابي في حينة في ريف دمشق على جدار أحد المعابد القديمة، يشير إلى أن حاكم سورية الروماني بوبليوس هيلفيوس بيرتيناكس (Publius Helvius Pertinax) (١٧٩ و ١٨٢م) أصبح إمبراطوراً للدولة الرومانية بين شهري كانون الأول وآذار من عام (١٩٣م)، وأمر ببناء سور المعبد الخارجي.

٢ – الآثار: وتشمل مجموعة من الأوابد والمباني والمعابد والمسارح والقنوات والطرق والحمامات التي تشكل مصدراً مادياً، يلقي الضوء على أوضاع سورية الاجتماعية في الفترة السلوقية والرومانية مثل مسارح بصرى الشام وأوابد تدمر وأعمدة أفامية وغيرها.

ثالثاً: المراجع: وتنقسم إلى:

١ – المراجع العربية: تتضمن الكتب والأبحاث التي تم الاعتماد عليها في البحث:

أ – مفيد رائف العابد «سورية في عصر السلوقيين»، الذي حمل بين طياته معلومات مهمة ومفيدة، كان لها دور في إغناء البحث، وتبسيط الضوء على الناحية الاجتماعية في سورية في عصر السلوقيين.

ب – أبو اليسر فرح «الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والروماني» والذي تم الاستفادة منه بما يخص الفترة السلوقية.

ج – دراسات متخصصة عن بعض المواضيع التي تخص الفترة الهلنستية في سورية، كبحث بناء المدن وتنظيمها، وعناصر السكان في أنطاكية في العصر الهلنستي الروماني، والعبيد عند الرومان خلال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد، وبحث الذكريات السورية في روما وغيرها من الأبحاث التي أغنت البحث في مجالات متعددة.

٢ – المراجع العربية: أهم المراجع العربية التي تم الاعتماد عليها، فهي:

أ – فيليب حنّي «تاريخ سورية ولبنان وفلسطين»، قدم هذا الكتاب معلومات مهمة للبحث تضمنت واقع الحياة الثقافية لسورية خلال العصر الهلنستي والروماني، ودور الأدباء في تحقيق التقدم الرقي في تلك الفترة التي كثرت فيها الأحداث.

ب - «المجتمع السوري في عصر البرينتبسات»، لشيفمان، الذي قدم معلومات عن الحياة الإجتماعية زمن الاحتلال الروماني وحقوق المواطنة الرومانية.

ج - «الدولة السلوقية»، لبيكرمان والذي، يتضمن معلومات قيمة وشاملة عن فترة حكم السلوقيين لسورية.

٣ - المراجع الأجنبية: أما أهم المراجع الأجنبية، فهي:

١ - كتابات (M. Rostovtzeff)، ميخائيل روستوفتزف، من أهم المراجع المتخصصة في العصر

الهلينستي التي شملت النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية والعسكرية جميعها.

٢ - وليم تارن في كتابه الحضارة الهلينستية (Hellenistic civilization)، الذي قدم معلومات عن تنظيم سورية خلال الحكم السلوقي.

٣ - داووني في كتابين: (Ancient Antioch - A history of Antioch)، تمت الاستعانة بكتاباته المتعلقة بمدينة انطاكية وعناصر السكان فيها.

الفصل الأول الحياة السياسية والاجتماعية في سورية قبل العصر

الروماني

أولاً: الحياة السياسية في سورية في العصر السلوقي.

١ - سورية في ظل حكم الإسكندر.

٢ - سورية في ظل الحكم السلوقي.

ثانياً: الحياة الاجتماعية في سورية في العصر السلوقي.

- مكونات المجتمع السوري في العصر السلوقي.

ثالثاً: العادات والتقاليد السائدة الاجتماعية السائدة في سورية في العصر السلوقي.

١ - الدين.

٢ - المرأة.

أولاً: الحياة السياسية في سورية في العصر السلوقي:

بعد هزيمة الفرس في معركة إيسوس (Issus) عام (٣٣٣ ق.م)، فتحت أبواب سورية على مصراعيها أمام الإسكندر^(١) الذي تابع زحفه، واحتل سورية؛ وصولاً إلى مصر، ثم اتجه بعد ذلك نحو الهند، غير أنه توفي في بابل عام (٣٢٣ ق.م) دون أن يترك الإسكندريثاً، فتقاسم قاداته الإمبراطورية التي خلفها، وكانت سورية من نصيب لاومدون المتلييني (Laomedon of Mytilene)، وبابل من نصيب سلوقس نيكاتور (Seleucus Nicator)، أما مصر وليبيا وجنوب سورية، فذهبت لبطوليمايوس (Ptolemaios). ثم بدأ التنافس بين القادة اليونانيين على الأراضي، فاندلعت الحرب بين ورثة الإسكندر، وبعد انتصار سلوقس وحلفائه في معركة إيسوس (Ipsus) عام (٣٠١ ق.م)^(٢). وعلى ضوء تقاسم تركة الإسكندر، غدت سورية تحت حكم السلوقيين حتى عام (٦٤ ق.م)، حيث تمكن القائد الروماني بومبيوس من إنهاء الحكم السلوقي فيها، وجعل منها مركزاً للرومان في الشرق، وهو ما عرف بالولاية الرومانية السورية.

١ - سورية في ظل حكم الإسكندر:

كانت سورية في عهد الملك الأخميني داريوس الأول (٥٢١ - ٤٨٦ ق.م) تؤلف ساتراكية واحدة، تمتد من البحر المتوسط إلى الفرات، ومن أرمينيا إلى صحراء الجزيرة العربية، وتضم قبرص، ويطلق عليها

(١) إيسوس، الواقعة في شمال خليج الاسكندرون، وتُعدُّ منطقة جغرافية وتاريخية مهمة، للمزيد: رستوفتزف، ميخائيل، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاقتصادية والاجتماعي، مراجعة زكي، محمد سليم، دمشق، سورية، ١٩٩٦، ص ٢٣٥.

(٢) الإسكندر بن فيليب المقدوني، المعروف بأسماء عدة، أبرزها الإسكندر الأكبر، والإسكندر المقدوني، والإسكندر ذو القرنين، ولد في مدينة بيللا عام (٣٥٦ ق.م)، وهو أحد ملوك مقدونيا، ومن أشهر القادة العسكريين عبر التاريخ. تتلمذ على يد الفيلسوف والعالم الشهير أرسطو، هزم الفرس في معركة إيسوس وهو ابن عشرين عاماً، وبحلول عامه الثلاثين كان قد أسس أكبر وأعظم الإمبراطوريات التي عرفها العالم القديم. انظر: شفيق جحا، وآخرون، حضارات العالم في العصور القديمة والوسطى، بيروت، دار العلم للملايين، ط ١، ١٩٩٩، ص ٢٨٢.

(٣) إيسوس، تقع في فريجيا في الأناضول، والتي تعد جزءاً من ممتلكات سلوقس الأول نيكاتور (Nicator) (٢٨٠ - ٢٥٨ ق.م)، أسفرت عن انتصار سلوقس الأول، وضم سورية لنفوذه، وجعل منها مركزاً لإمبراطوريته، وبنى فيها أربع مدن جديدة. للمزيد:

James, Henry., The Conquest of Civilization, New York and London, 1938, p423.

اسم الولاية أو الساترابية الخامسة في الدولة الفارسية، وأطلق عليها أيضاً مرزبان، وكانت تدفع إتاوة مقدارها ٣٥٠ وزنة^(١).

وعندما أصبحت سورية من ضمن أملاك الإسكندر جعلها في بداية حكمه ساترابية واحدة، وتتضمن فينيقيا وشمال فلسطين، ولبنان، وسورية الحالية، يحدها الفرات شرقاً وطوروس شمالاً والأردن جنوباً، والمتوسط غرباً، وقد أبقى عاصمتها دمشق حيث تولى إدارتها كل من بارمانيون (Parmenlon) وأريماس (Arimas) وأسكليبودورس (Asdepiodorus)^(٢).

وبعد معركة جوجميا^(٣) (٣٣١ ق.م) أضيفت أراضي الجزيرة الواقعة شمالاً بين نهري الفرات ودجلة إلى الأراضي السورية، ونصّب الإسكندر قبل وفاته لاميدون الملتى (Laomedon) والياً على سورية الكبرى، وجعل له معاونين في إدارة المال والجيش.

وفي عام (٣٢٣ ق.م) جعل من أراضي الجزيرة بين الفرات ورافده الخابور ساترابية جديدة^(٤)، وكان الإسكندر قبل موته، قد أبقى للمدن الفينيقية حكمها الذاتي، ونظامها الملكي، وثبّت الملوك على عروشهم، وجعل من صور وغزة قلعتين مقدونيتين، وعيّن لكل منهما حاكماً مقدونياً، وربط الجميع فيما يخص الشؤون المالية بمدير المال لسورية وكيليكيا، واستبعد غزاة من هذا التنظيم، وجعلها مركزاً للحاميات العسكرية عقاباً لها على مقاومتها له^(٥).

٢ - سورية في ظل الحكم السلوقي:

توفي الإسكندر المقدوني عام (٣٢٣ ق.م) في بابل، دون أن يكون له وريث للعرش، خلفاً وراءه إمبراطورية ضخمة مترامية الأطراف، وهذا ما أدى إلى صراعٍ طويل الأمد بين قادة جيشه. وعقد قواده مؤتمراً في بابل للفصل في مشكلة ولاية العرش والنظم التي تتبع لحكم الإمبراطورية المقدونية. وتم الاتفاق على تعيين برديكاس قائداً عاماً للجيش، الذي كان من أكثر القواد نفوذاً، وهيمنة على شؤون الإمبراطورية، وكان

(1) Olmstead , A , T., . History of Persian Empire, Chicago, 1948 , p293.

(٢) العابد، مفيد، إنشاء المدن في إطار السياسة السلوقية لهلينية سورية، القاهرة، ١٩٧١م، ص١٨

(٣) الواقعة شمال أربيل في العراق.

(٤) حتّي، فيليب، تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر، ترجمة، أنيس فريحة، مراجعة نقولا زيادة، بيروت، دار الثقافة، ط٣، ١٩٧٨، ص١٩٧.

(5) Tarn , W., Hellenistic Civilization, London, 1960, p81.

وصياً على الملك المعتوه فيليب أرهيداوس (Arhidaeos) ابن فيليب الثاني، وانطوى هذا التسابق على حروب طويلة دامية، وبرز من هذه الفوضى أربعة قواد على رأس أربع دول^(١):

١ - بطوليمايوس (Ptolemaios) أعطي حكم مصر وليبيا وجنوب سورية.

٢ - سلوقس (Sleucos) نال حكم بابل، و أسس السلالة السلوقية الحاكمة في سورية.

٣ - أنتيجونوس (Antigonos) أعطي مبدئياً حكم ولايات آسيا الصغرى.

٤ - أنتيباتروس (Antipatros) الذي كان قائداً للملك فيليب الثاني والد الإسكندر، وحافظ على مكانته عند الإسكندر الذي عينه والياً على مقدونيا^(٢).

غير أن هذا التوزيع لم يحلّ دون تقسيم إمبراطورية الإسكندر^(٣).

أ - سلوقس الأول من عام (٣١٢ - ٢٨٠ ق.م):

يُعدّ سلوقس مؤسس الأسرة السلوقية الحاكمة في سورية لقب بنيكاتور (Nicator)؛ بمعنى "المنتصر". بعد وفاة الإسكندر الكبير عام (٣٢٣ ق.م) تولى مهمة قيادة فرقة الفرسان، التي كان يقودها هيفايستيون أكبر قادة الإسكندر. وبعد صراع طويل بين قادة جيش الإسكندر للسيطرة على الحكم في الإمبراطورية، تمكن من حكم ولاية بابل، التي وفرت له دعماً عسكرياً، ومالبث أن هُزم أمام أنتيجونوس الذي هاجمه في عام (٣١٦ ق.م)، وأجبره على اللجوء إلى حليفه الثاني بطوليمايوس حاكم مصر آنذاك، ونجح سلوقس وبطوليمايوس في تحالفهما وتمكّنا من تأسيس ملكٍ دام طويلاً، فمدّ بطوليمايوس صديقه سلوقس بمجموعة من القوات، مكّنته من استعادة ولايته السابقة بابل وذلك في (٧ أكتوبر ٣١٢ ق.م)، وسيطر على بلاد الرافدين، حيث انطلق مع نجله ليخضع المناطق الفارسية الشرقية تحت سيطرته، وتوجّ نفسه ملكاً عليها عام (٣٠٥ ق.م). بعد أن أسس مدينة سلوقية على نهر دجلة، وجعلها مركزاً لإمبراطوريته الناشئة، ولقّب بالملك، وجعل من سلوقية دجلة عاصمة لحكمه، ومنذ ذلك التاريخ دخل سلوقس في سلسلة من التحالفات مع عدد من القادة المناهضين للقائد أنتيجونوس، وتمكّن بمشاركة القائد ليسيمachus (Lysimachus) من هزيمة أنتيجونوس في (Ipsus) في فريجيا عام (٣٠١ ق.م)، فألت

(١) حتّي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة، جورج حداد، عبد الكريم رافق، ج ١، بيروت، دار الثقافة، ١٩٥٨، ص ٢٥٩.

(٢) الحلو، عبد الله، صراع الممالك في التاريخ السوري القديم، بيروت، بيسان للنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ص ٢٣٧.

(٣) الحلو، عبد الله، سورية القديمة، دمشق، مطبعة ألف باء، ٢٠٠٤، ص ٨٦.

إليه سورية الشمالية، وطَّور أنطاكية لتصبح عاصمةً ثانيةً لحكمه^(١)، إلا أن ليسسيماخوس (Lysimachus) الذي سيطر على مقدونيا أصبح مصدر خطرٍ على سلوقس الأول؛ مما أدى إلى وقوع معركة كوروبديوم (Corupedium) مانيسا عام (٢٨١ ق.م) بينهما وبعد ذلك آلت إليه آسيا الصغرى، إثر انتصاره على حليفه السابق ليسسيماخوس؛ جاعلاً الدولة السلوقية تضم الجزء الأكبر من إمبراطورية الإسكندر^(٢).

وبذلك أسس سلوقس الأول الإمبراطورية السلوقية التي أصبحت عاصمتها فيما بعد أنطاكية، وقد سمّاها على اسم والده أنطيوخس "Antiochus III" وشكّلت قلب سورية على العاصي (Orontes)، وعُدّت من أكبر وأقوى ما أسفر عن إمبراطورية الإسكندر، ولكنها لم تستمر بالمستوى والقوة ذاتها؛ مما عرضها لأطوار تاريخية عدة^(٣).

ب - تنظيم السلوقيين لسورية:

عندما تسلّم سلوقس زمام الأمور في سورية، لم يكن لديه أية فكرة تنظيمية تستوعب إمبراطوريته الشاسعة^(٤)، غير أنه تبني طريقة الإسكندر في الإدارة وهي الطريقة الفارسية، فقسم إمبراطوريته إلى وحدات مختلفة، أهمها الساترابية (Satrapies)^(٥)؛ أي الولاية، تقوم إلى جانبها وحدات أخرى، أشبه بالمدن والمستعمرات والوحدات الكهنوتية والإمارات والممالك، وقسموا الفرات إلى ثلاثة أقسام، هي: الساترابية - الإيبارية - الهيبارية، وكانت كل إيبارية سلوقية محتفظة بنظامها الخاص من حيث الموظفين والمقر الرسمي، ولها حاكم يتبع قائد الساترابية^(٦)، أما الوحدات الكهنوتية، فقد كانت متعددة ومتباينة

(1) Bevan , E .,The House of Sleucus ,first published , London 1902 , P . 592.

(٢) حتّي، فليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ٢٦٠.

(٣) للمزيد: فرح، أبو اليسر، الشرق الأدنى في العصرين الهلينستي والروماني، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، ط٢، ٢٠٠٢، ص ١٢٧-١٧٠.

(٤) العابد، مفيد، إنشاء المدن، ص ١٩ - ٢٩.

(5) Jones, A.H. M., The Greek city, oxford, 1940, p21.

(٦) تارن، وليم، الحضارة الهلينستية، ترجمة، عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٦، ص ١٤٣ - ١٤٤.

في سورية بسبب تضاريس المنطقة، وسياسة السلوقيين في إنشاء المدن والمستعمرات، وهذا ما جعلهم يأخذون في الحسبان ضرورة ملائمة الإدارة للأحوال السائدة في البلاد^(١).

١ - الولاية:

تُعدُّ الولاية من أهم الوحدات الإدارية الفارسية التي حافظ عليها الإسكندر؛ فضلاً عن بعض التعديلات التي لم تُحدث تغييراً كبيراً في جوهرها، فاختار معظم قادته من المقدونيين والإغريق^(٢)، وفي الوقت نفسه اقتدى بالفرس في سياسته، فقسم البلاد بموجبها إلى ولايات كبيرة تدعى ساترايات ويسمى حاكم الساتراية ساتراب (Satrap)، يمثل الملك في دائرته، ويتلقى الأوامر منه مباشرة؛ مما مكّنه من ربط أمور الولاية بيديه^(٣).

لجأ السلوقيون إلى تقسيم الساترايات إلى ثلاث أو أربع إيبارخيات (Eparchia) التي قُسمت بدورها إلى عدد من الهيبارخيات (Hyparchia)، مع هلينية أسمائها بإضافة (ia) في آخر كل اسم^(٤)، وغالباً انتهت بحروف (ene)، وربما انتهت بحروف (iane)، ويعود الفضل في تمييز الإيبارخية إلى الأسماء المنتهية في آسيا بحروف (ene)، ثم ما لبثت أن أصبحت من أهم الأقسام السلوقية الصغرى. بدأت الإمبراطورية السلوقية بالتفكك، وتحولت هذه الإيبارخيات إلى ساترايات، واقتصرت نظام الإيبارخيات في بداية الأمر على الساترايات الواقعة شرق الفرات، ثم امتدت إلى غرب كبادوكيا (في آسيا الصغرى) وامتد شمالاً حتى أرمينيا، وطبق النظام المتعارف عليه في إنشاء أسماء مدنها، فكانت تنتهي بحروف (ene) مثل جزر سيني....، ووقف إقليمان بمعزلٍ عن ذلك كله: آسيا الصغرى - وسورية التي أطلق على مدنها السلوقية الأربع بشمال سورية اسم الساترايات، وكان هناك دار لتسجيل الأرض في كل إيبارخية، ومهمتها تحديد تخوم القرى والممتلكات المسجلة بما يسمى (دار السجلات)^(٥).

(١) زيادة، نقولا، فلسطين من الإسكندر إلى الفتح العربي، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، ستة مجلدات، مجلد

٢، بيروت، ط١، ص١٤٧.

(٢) العابد، مفيد، إنشاء المدن، ص١٧؛

Tarn, W., The Greek in Bactria and India, 3rd edition, Chicago, 1984, p12.

(٣) بيكرمان، ي، الدولة السلوقية، ت: حسان إسحاق، ط١، دمشق، دار الأبجدية، ١٩٩٣، ص١٦٩.

(٤) العابد، مفيد، إنشاء المدن، ص١٩ - ٢٠.

(٥) تارن، وليم، الحضارة الهلينستية، ص١٤٤ - ١٤٦.

وهناك نقش من بيتوكيكي (Baetocaece) «حصن سليمان»، الواقع بالقرب من صافيتا، على جدران معبد زيوس كبير آلهة اليونان يشهد بوجود ساترابية أفامية^(١). كما وجدت في سورية البطليمة^(٢) أربع سترابيات، بحسب سترابون، ولا يعرف كيف ومتى حددت هذه السترابيات وبحسب ما أفادت الدراسات أنه حمل بطوليمايوس اللقب العسكري لسورية المجوفة وفينيقيا، لأنها اعتبرت منطقة صراع دائم بين السلوقيين والبطالمة. وهذه مجمل الأراضي التي كان البطالمة، قد استولوا عليها في سورية^(٣).

٢ - المدن والمستعمرات:

أنشأ الملوك السلوقيون العديد من مراكز الاستيطان للعناصر المهاجرة، التي اتخذت في شكلها العام صورتين مختلفتين، إحداهما هي المستوطنة العسكرية، والأخرى المدينة الكاملة. وكانت كل منهما تؤدي وظيفة معينة لتحقيق أهداف حيوية للإمبراطورية، وحقيقة الأمر لم يكن السلوقيون بحاجة للعسكريين فقط لإرساء دعائم إمبراطوريتهم؛ بل كانوا بحاجة للمدنيين الذين يشكلون ركناً أساسياً من أركان دولتهم^(٤)، فالمصرفيون والتجار وأصحاب دور التشغيل والصناع والعلماء شكلوا عماد الحياة في المدن اليونانية؛ التي أنشئت في القرن السابع قبل الميلاد. كما قام السلوقيون بإنشاء مستعمرات جديدة لاستقرار محاربيهم، وكان قسم من هؤلاء المحاربين رهن إشارتهم باستمرار، ولهذا منحهم إقطاعات زراعية تكفل لهم دخلاً مجزياً^(٥)، وأما المدنيون فإنهم لكي يضمنوا استقرارهم في رحاب الإمبراطورية، فهيئوا لهم المناخ الملائم لحياتهم التي كانوا يألّفونها عن طريق إقامة المدن كالتّي وفدوا منها، والدليل على ذلك أن أنطاكية ولاوديكية وسلوقية بيريّه وسلوقية دجلة وغيرها لم تنشأ في البداية على هيئة مستعمرات ثم

(1) Coquais, R., *Inscriptions Grecques et Latines*, VII, 1970, 402.

(٢) سورية البطلمية: تضم لبنان وسهل البقاع (سورية المجوفة) وفينيقية التي خضعت لبطالمة مصر حتى عام (١٩٨ ق.م)، للمزيد:

Abed Elghany, M., *Zenon in Syria and Palestine, Alexandria Eil Mondo Ellenistico Roman*, Roma, 1950, p12 - 21.

(3) Sartre, M. D. *Alexander a Zenobie*, Fayard, Paris, 2001, p165.

(٤) العابد، مفيد، دراسات في تاريخ الإغريق، دمشق، دار الكتاب، ١٩٨٨، ص ٣٦٠ - ٣٦١.

(٥) يُفهم من الإجراء السلوقي ربط المحاربين بالأرض، وهذا ما يدفعهم للدفاع عن أراضيهم وضمان فعلي للدولة السلوقية، وبحسب الدراسات يُعد الإجراء السلوقي الأول من نوعه يربط العساكر بالأرض.

تطورت إلى مدن؛ بل أنشئت منذ البداية على هيئة مدن تتوافر لكل منها جميع مقومات المدينة الكاملة (١).

أ- المدن الإغريقية:

شكل الشمال السوري القسم الرئيس في الدولة السلوقية^(٢)، حيث قُسمت المدن السلوقية الجديدة إلى قسمين، قسم كانت فيه إغريقية في جوهرها، وقسم مدنه أهلية بحتة^(٣)، وعُد إنشاء المدينة الإغريقية في سورية أمراً ضرورياً جداً؛ لأن المدينة شكلت البنية الأساسية لحياة الإغريقي بشكل عام، وعُدت النظام الطبيعي الذي يعيش في كنفه الرجال الأحرار؛ لأن نظم المدينة الحرة، تكفل لمواطنيها حرية القول والعمل، وتتيح لهم المشاركة في إدارة دفة شؤونها، وتضمن لهم أسباب الحياة الكريمة، وتعد المدينة في نظر الإغريق ضرورة شخصية لحياتهم التي اعتادوا عليها^(٤).

قام سلوقس ببناء عدة مدن جديدة اختارها حسب أهمية موقعها، ومعظمها سورية الشكل والمضمون، ولهذا عدها مركزاً لإمبراطوريته؛ سعياً لنشر الحضارة الإغريقية، ولتحقيق تطلعاته فرض رقابة صارمة على أصقاع الإمبراطورية. ونظراً لأهمية بناء المدن الهلنستية، فقد خطط لها على مستوى شامل، فبنيت وفق نموذج واحد هو النظام الهيبودامي (الشطرنجي)^(٥) الذي يساعد على توسيع رقعة البلاد كلما لزم الأمر^(٦)، وقد نظمت كمدن إغريقية تمتعت بالاستقلال الذاتي^(٧).

عُدّت المدن الإغريقية من أهم الوحدات السلوقية، ولاسيما الواقعة في شمال سورية، وتدعى التترابوليس (Tetrapolis)، وهي انطاكية، دفنا وسلوقية، بيرية، وأباميا، ولادويكية، ولعل أهم

(١) سارة، خليل، تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، جامعة دمشق، ٢٠٠٤-٢٠٠٥، ص ١٦٠ - ١٦١.

(٢) بيكرمان، ي، الدولة السلوقية، ص ٧١.

(٣) تارن، وليم، الحضارة الهلنستية، ص ١٦٠.

(٤) العابد، مفيد، إنشاء المدن، ص ٤٨ - ٤٩.

(٥) النظام الهيبودامي: ينسب إلى مهندس المدن الشهير هيبوداموس، و يقوم هذا النظام على تقسيم طرق المدينة، بحيث تتعامد على بعضها بعضاً، ويربط بينها مجموعة من الطرق الفرعية الصغيرة، وفي الوسط يوجد ساحة عامة. للمزيد: فرح، أبو اليسر، الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والروماني، ص ٢٠٢.

(٦) زهدي، بشير، "بناء المدن وتنظيمها"، الحوليات الأثرية السورية، مجلد ٤ - ٥، دمشق ١٩٥٤ - ١٩٥٥، ص ٣٧ -

٥٢، ص ٣٩ - ٤١.

(7) Downey, G., A history of Antioch in Syria from Seleucid to the Arab conquest. press, New Jersey, 1961, p113.

المستوطنات العسكرية التي تطورت إلى مدن في سورية، كانت دورا أوروبوس^(١). وقد سُميت مجموعة من المدن بأسماء الأسرة المالكة تخليداً لذكرهم منها: سلوقية وانطاكية (على اسم أنطيوخس والد سلوقس)، ولاوديكيّا (على اسم والدته)، وأباميا (على اسم زوجته الفارسية)^(٢).

أ - مدينة أنطاكية Antiocheia:

تقع في الشمال الغربي من سورية عند الطرف الجنوبي من سهل العمق، أنشأها سلوقس نيكاتور في العام الثاني عشر من حكمه في عام (٣٠٠ ق.م)، وسَمّاها أنطاكية على اسم أبيه (انطيوخس)، ولقبت بألقاب عدة تميزها عن غيرها من المدن التي حملت الاسم ذاته، فدُعيت أنطاكية على العاصي، وأنطاكية قرب دفنا، وهي ضاحيتها^(٣). وكانت انطاكية تتألف من حيين منفصلين، أحدهما للنزلاء الاغريق، والآخر للأهالي الوطنيين، ولكل منهما سوره الخاص.

إن تنظيم المدن في شمال سورية وبابل، وما حول الخليج العربي يرجع إلى سلوقس، وقد أصبحت سورية في عهده مقدونيا ثانية، وانطاكية عاصمة الإمبراطورية الواقعة على نهر العاصي الذي كان صالحاً للملاحة في تلك الأيام، وعدت انطاكية مركزاً تجارياً عظيماً^(٤)، كما اشتهرت بأنها مدينة الملذات، وأصبحت حديقتهما الكبرى دفنا (Daphne) ذات سمعة سيئة، وكتب عنها المؤرخ بوسيدونيوس^(٥) بأن سكانها السوريين الإغريق منغمسون بالترف^(٦)، وسَمّاها المؤرخ أميانوس مارسيلينوس (Ammianus Marcellinus)^(٧) درة الشرق الجميلة، وقد امتدحها الكثيرون بقولهم: «إن انطاكية بلغت من الجمال حداً جعل الآلهة نفسها تتلهف للإقامة فيها»، وهي واحدة من ست عشرة مدينة حملت ذات الاسم، غير أنها كانت أشهر المدن التي حملت اسم انطاكية^(٨).

(١) العابد، مفيد، سورية في عصر السلوقيين من الاسكندر إلى بومبيوس، دمشق، دار شمال، ١٩٩٣، ص ٣٢٠.

(٢) تارن، وليم، الحضارة الهلنستية، ص ١٦١.

(٣) Downey, G., A history of Antioch in Syria, p112 - 115.

(٤) العابد، مفيد، سورية في عصر السلوقيين، ص ٣٢٥ - ٣٢٦.

(٥) مؤرخ يوناني من سكان أباميا. للمزيد: أحمد علي، عبد اللطيف، مصادر التاريخ الروماني، بيروت، ١٩٧٠، ص ٥٥.

(٦) تارن، وليم، الحضارة الهلنستية، ص ١٦٢.

(٧) أميانوس مارسيلينوس، عاش في الفترة من ٣٢٥ - ٣٩١ م، كتب مؤلفاً عن تاريخ روما للمزيد: أحمد علي، عبد اللطيف، مصادر التاريخ الروماني، ص ٥٧.

(٨) سارة، خليل، تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، ص ١٦٦-١٦٧.

ب - سلوقية بيرية Seleucia Peria :

تقع شمال مصب نهر العاصي، عند سفح جبل كاسيوس (Cassius) الأقرع، وعندما أراد سلوقس إنشاء المدينة في عام (٣٠٠ ق.م)، صعد إلى أحد الجبال المقدسة القريبة من الإله زيوس، وقدم له قرباناً راجياً إياه أن يرشده إلى المكان المناسب لتأسيس أول مدينة تحمل اسمه في تلك المنطقة، فتم بناؤها في مكان يطل على خليج السويدية على الساحل السوري^(١). وقد عُدَّت هذه المدينة من المدن الرئيسية في الإمبراطورية السلوقية^(٢).

ج - أفامية على العاصي (Apamea) :

تقع إلى الشمال الغربي من مدينة حماة في موقع قرية قديمة تدعى فارناك (Pharnak)، ويمر بالقرب منها نهر العاصي^(٣)، وتعرف خرائبها باسم قلعة المضيق، وقد بناها سلوقس عام (٣٠٠ ق.م)، وجعلها العاصمة الحربية لإمبراطورية سلوقس كونها صالحة لتخزين المالبية العسكرية، وملجأً لقواته من جهة وإمكانية تربية الفيلة التي وصلت أعدادها إلى خمسمائة؛ فضلاً عن كثرة المراعي فيها^(٤)، وعُرفت هذه المدينة، بأنها أشبه بحصن منيع وترسانة للجيش، وقاعدة للتدريب العسكري، وكان يتبعها عدد من القرى، ولكن على الرغم من الأهمية التي تمتعت بها أفامية في العصر السلوقي، فإن الحفائر الحديثة لم تسفر إلا عن آثار قليلة ترجع غالبيتها إلى العصر الروماني^(٥)، وفيها مسرح كبير، أنه أقيم على أنقاض مسرح قديم، وبقياً معبد للإله زيوس، يُعتقد أن تاريخه يرجع إلى العصر الهلنستي^(٦). (الشكل ١٥)

د - مدينة لاوديكية (Loadikeia)،

شيد سلوقس هذه المدينة في موقع يطل على البحر مباشرة، وحملت اسم والدته، وتربعت بموقعها كميناء عظيم على البحر لقرون، ومن المرجح أنه بناها فوق قريتين فينيقيتين هما راميثا (Ramitha)

(١) فرح، أبو اليسر، الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والروماني، ص ١٩٧.

(٢) العابد، مفيد، إنشاء المدن، ص ٦٣؛

Jones, A. H. M., Cities of the Eastern roman province. Oxford, 1977, p245-246.

(٣) فرح، أبو اليسر، الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والروماني، ص ١٩٩.

(4) Malalas, Johanna: Book 8:12: p.107.

(٥) سارة، خليل، تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، ص ١٦٦.

(٦) شيفمان، أ.ش، المجتمع السوري القديم، ترجمة، حسان إسحاق، دمشق، منشورات مؤسسة الوحدة، ١٩٨٧، ص ١٤.

ومازبدا (Mazabda)، وتم إقامة مرفأ لها، وقد امتلأت بالمباني الأنيقة التي بنيت على سفوح الجبال، وكثرت فيها مزارع الكروم، مما جعلها من أكبر منتجي النبيذ، ومصدرة له. والحقيقة لا يوجد الكثير من المعلومات عن هذه المدينة؛ لأنها لم تكن مسرحاً للبعثات الآتارية، ويرجع ذلك إلى أن موقع المدينة تحتله مدينة عامرة، وهي مدينة اللاذقية حالياً، فضلاً عن أنها لم تؤد دوراً بارزاً في مجال السياسة، إلا أن إحدى البعثات قامت بالتنقيب في أطراف المدينة، وعثرت على مسرح يعود تاريخه إلى العصر الروماني. ونظراً لقلّة المعلومات المتوفرة عن هذه المدينة بقي الغموض يلف جوانب من تاريخها^(١).

ب - المستعمرات:

اعتمد الإسكندر في أثناء حملاته العسكرية على المستعمرات العسكرية، وأنشأ العديد منها في باكتيريا وميديا (من أهم المدن الفارسية و تشتهر بقطاعان المشية و الخيول) فكانت الحاجة أكثر إلحاحاً بعد موته إلى إنشاء المستعمرات؛ ذلك أن الإسكندر وخلفاءه استشعروا هذه الحاجة مدفوعين بعوامل عدة أهمها:

أ - أن موارد دولتهم، لم تكن تسمح لهم باستئجار المرتزقة دائماً، ولا سيما أن أسواق هؤلاء المرتزقة كانت خارج دائرة نفوذهم.

ب - أن السبب الرئيس لإقامة الإسكندر أولى مستعمراته ظل قائماً وهو ضرورة ضبط القبائل المتمردة.

ج - تأمين الحدود وحماية طرق التجارة.

وقد تابع سلوقس سياسة الإسكندر في بناء المستعمرات على امتداد حدود إمبراطوريته. ويرجح بعض الباحثين أن فكرة بناء المستعمرة العسكرية أسهمت في عملية الاستيطان السلوقية، وليست المدينة. وكان من شأن توطين جنود هذه الإمبراطورية في عدد من المستعمرات تيسير عملية استدعائهم وقت الحاجة، كما اتخذت هذه المستعمرات، مراكز لتجميع الوحدات العسكرية، وتوجيهها دون إبطاء نحو الأخطار المحدقة، والاستغناء عن ضرورة إبقاء القوات كلها تحت السلاح؛ مما يوفر على الدولة الكثير من النفقات الباهظة التي يتطلبها ذلك، ويقيها من المخاطر التي تنجم عن تجمع قوات كبيرة من دون مهام خارجية أو داخلية؛ بغية الحد من المشاغبات تمهيداً لتأمين الأمن والأمان، علماً أن أبواب الإقطاعيات العسكرية كانوا يقومون باستثمار إقطاعات مستعمراتهم، وهذا ما أسهم بشكل مباشر في إنعاش الحياة الاقتصادية، فضلاً عن الفوائد الآتية والمتوقعة^(٢). ولعل أشهر مستعمرات الإمبراطورية السلوقية، كانت

(١) فرح، أبو اليسر، الشرق الأدنى في العصرين الهلنستى والروماني، ص ١٩٨-١٩٩ .

(٢) سارة، خليل، تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، ص ١٧٣ - ١٧٤ .

مستعمرة دورا أوروبوس (Doura Europos) ^(١) ؛ كونها تُعدُّ من أهم المستعمرات السلوقية التي أنشئت وفق نموذج المدينة الإغريقية. ولقد بقيت دورا أوروبوس تحت حكم السلوقيين، حتى بدايات مجيء الرومان. (الشكل ١٨-١٩).

ثانياً: الحياة الاجتماعية في سورية في العصر السلوقي:

إن اتساع رقعة الإمبراطورية السلوقية الكبير جعلها تضم على أراضيها أعداداً كبيرة من السكان الذي تنوعت أجناسهم وعاداتهم وتقاليدهم، ورغم المحاولات العديدة للتوصل إلى معرفة تعداد هؤلاء السكان، فإن هذه المحاولات لم تفصح عن أرقام تقريبية ^(٢).

١ - مكونات المجتمع السوري في العصر السلوقي:

بالغت معظم الدراسات في تمجيد العصر السلوقي، لدرجة أن بعضهم عدّه حامل الراية البيضاء لإمبراطورية هيمنت على أقاليم واسعة، من آسيا الصغرى وسورية وولايات شرق الفرات، وقد اتضح أن تأثيراته على المجتمع السوري، كانت محدودة قياساً ببقية المجتمعات التي خضعت لهيمنة ورثة الإسكندر الأكبر، رغم التنوع البشري للسوريين الذي فرضته الإدارة السلوقية عليهم من خلال مقومات الهيمنة المعتمدة لكل الغزاة أو المحتلين، ومن المساوئ التي كرّست التفاوت في المعيشة لدى المجتمع السوري الترف المخيف، والفقر الأسود، والتمييز الطبقي، علماً أن الإمبراطورية السلوقية من أكبر الإمبراطوريات في تلك الفترة، وتتكون من ثلاثة أقسام رئيسة، هي: آسيا الصغرى وسورية، وولايات شرق الفرات. وهذه المناطق تفاوتت أوضاعهم الاجتماعية، نظراً للتوسع الجغرافي والتنوع البشري من حيث العادات والتقاليد، هذا التنوع أرخى بثقله على الواقع الاجتماعي، فبرزت تباينات عدة من حيث مستوى المعيشة مابين حياة ترف وفقر وبؤس شديد، فانعكس على المجتمع المكون أصلاً من طبقات، لارتبط ببعضها إلا برباط الخضوع للحاكم ^(٣)، وسماه علماء المجتمع الترابط السياسي القهري والأصح القسري، وأضاف كامل عمران في مؤلفه، إن هذا الترابط ليس بالترابط الذي يمكن الاعتماد عليه في

(١) دورا أوروبوس: تقع شمال شرقي البادية السورية، على الضفي اليمنى لنهر الفرات، وقد أقيمت على موقع قرية قديمة تسمى دورا (Dura)، ومعناها بالآرامية الجدار أو الحصن. للمزيد: بيكرمان، ي، الدولة السلوقية، ص ١٣٤ - ١٣٦.

(2) Walbank, F, M., The Hellenistic world, London, 1992, p13

(3) Downey, G., Ancient Antioch, Princeton, 1936, p47.

الأزمات مهما كانت صفاتها ومسبباتها، ولا يمكننا أن نطلق عليه وطنياً، فللوطنية قيمها وأسسها^(١)، فمن خلالها تنبثق الثورات والاحتجاجات، مهما كانت قبضة الحاكم محكمة، والسؤال، ألم تكن تلك الصفات تنطبق على المجتمع السوري في العصر السلوقي، رغم محاولات أعظم ملوكها الحفاظ عليها^(٢).

أ - عناصر السكان:

كانت مكونات المجتمع السوري في العصر السلوقي تتألف من ستة عناصر رئيسية، هي:

(١) الإغريق والمقدونيون (٢) السوريون.

(٣) البابليون. (٤) الفرس.

(٥) سكان آسيا الصغرى. (٦) اليهود.

– الإغريق والمقدونيون:

استقرت أعداد كبيرة منهم في مناطق آسيا الصغرى وشمال سورية، كما توافدت أعداد كبيرة أيضاً بسبب السياسة التي اتبعها السلوقيون في فتح أبواب البلاد على مصراعيها أمامهم، وحصلوا تلقائياً على امتيازات كبيرة؛ كالأراضي الخصبة والرواتب المرتفعة والمناصب العليا في الإدارة المدنية والعسكرية. كما استوطن معظم المقدونيون في المستعمرات العسكرية بسبب تشجيع سلوقس نظراً للحاجة الماسة لهم في الجيش، وفي الإدارة المدنية، فقد حصلوا على ما أرادوا من امتيازات كما ذكرنا. بينما كان الإغريق أكثر استقرارهم في المدينة^(٣)، لأنها كانت البنية الأساسية لحياة الإغريقي بشكل عام. وقد آمن الإغريقي بالفكرة التي غرسها فلاسفتهم والقائلة أن المدينة هي النظام الطبيعي الذي يعيش في كنفه الرجال الأحرار، ذلك لأن نظم المدينة الحرة تكفل لمواطنيها لو نظرياً حرية القول والعمل، وتتيح لهم المشاركة في إدارة دفة شؤونها، وتوفر لهم من أسباب الحياة ما هو جدير بهم، كما كانت المدينة في نظر الإغريق المدنيين ضرورة شخصية لحياتهم التي اعتادوها^(٤).

(١) عمران، كامل، مقومات المجتمعات القديمة والحديثة، بيروت، دار النهضة، ١٩٧٤ ص ٢٣.

(٢) سارة، خليل، تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، ص ١٧٧.

(3) Downey, G., Ancient Antioch, p54.

(٤) (العابد، مفيد، إنشاء المدن ، ٤٨-٤٩ .

اعتمد السلوقيون جميع الوسائل المشجعة لحث الاغريق على الهجرة إلى الإمبراطورية السلوقية والاستيطان فيها. وكان هدفهم من ذلك نشر الحضارة اليونانية وتحقيق سياسة الهلينة (Hellenization)، ومحاولة إيجاد توازن بينها وبين حضارات الشرق العريقة. وقد حرص السلوقيون على تهيئة الأسباب الجيدة للمقدونيين والإغريق لممارسة أعمالهم، وذلك لضمان استقرارهم. وقد احتفظ هؤلاء بعباداتهم وتقاليدهم الإغريقية الخالصة، أما خارج المدن والمستعمرات، فقد استقر الإغريق والمقدونيون على شكل جماعات، من أجل سلامتهم ولتأمين المناخ المناسب لممارسة حياتهم. في حين استقرت العناصر الوطنية مثل السوريين والبابليين واليهود في المدن الإغريقية. وكان من الطبيعي أن يؤدي هذا الجوار في المعيشة إلى بعض الاختلاط والتزاوج، نظراً لروح التسامح التي اتسم بها مؤسس الدولة سلوقس الأول (٣١٢-٢٨٠ ق.م) الذي كان متزوجاً من سيدة فارسية (أباما)، غير أنه لا يمكن القول إن حالات التزاوج بين اليونانيين والشرقيين، شكلت ظاهرة عامة في السنوات الأولى للحكم السلوقي، ولكنها أخذت بالازدياد مع مرور الزمن^(١)، غير أن هذا لم يمنع من أن هجرة الإغريق والمقدونيين إلى الشرق أسهم في تكريس النزاعات الإقليمية بين شعوب وطنية محلية تعزز بماضيها، وبين غزاة جدد يشعرون بتفوقهم الحضاري، مما أدى إلى اعتزاز كل طرف بقوميته وحضارته^(٢). غير أن عقد معاهدة أفامية عام ١٨٩ ق.م^(٣)، التي أقرت تجنيد المرتزقة من مختلف البقاع العائدة للإمبراطورية الرومانية، حدثت كثيراً من قدوم جماعات كبيرة من اليونان إلى انطاكية وسائر المدن السورية. ورغم تأفف الشعوب الأخرى لم أقرته المعاهدة، فإن اليونانيين توافدوا إلى انطاكية بشكل إفرادي، لاسيما في المناسبات والأعياد المهمة كالألعاب الأولمبية التي كانت تقام في انطاكية في العهد الروماني^(٤).

وتشير القرائن والمكتشفات الأثرية إلى أن استيطان اليونانيين والمقدونيين في العديد من المدن السورية القديمة، مثل: دمشق وحلب وحماة، اتخذ فيما بعد طابع الاستيطان الطوعي، وبسرعة تقبلوا الواقع، وتعايشوا معه حتى بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية عام ٤٧٦ م^(٥)، كما أن شعوب سورية وفلسطين وشمال شبه الجزيرة العربية تركوا من خلال تراثهم ومقومات مجتمعاتهم تأثيرات في حضارة العالم الروماني، علماً أن بعض هذه المدن، وُجد فيها مراكز تعليم لليهودية والسريانية - المسيحية، وفوق هذا فإن هذا التأثير

(١) سارة، خليل، تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، ص ١٧٨

(2) Walbank, F. M., The Hellenistic world, p139.

(٣) معاهدة أفامية ١٨٩ ق.م: وهي المعاهدة التي تلت معركة مغنيزيا بين أنطيوخس الثالث والرومان، والتي انتهت بفقدان السلوقيين لجميع ممتلكاتهم في آسيا الصغرى.

(٤) حداد، جورج، "عناصر السكان في انطاكية في العصر الهلنستي الروماني"، الحوليات الأثرية السورية، م ١، دمشق، ١٩٥١، ص ١٢١-١٢٦، ص ١٢٣ - ١٢٤.

(٥) العابد، مفيد، دراسات في تاريخ الإغريق، ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

في أنماط العمارة أو البناء تجلى بوضوح في مدينة بعلبك وتدمر والبتراء، مع وجود كتييسيفون على نهر دجلة بالقرب من بغداد^(١).

العناصر الوطنية:

شكل كل من السوريين والبابليين والفرس واليهود الغالبية العظمى من سكان الدولة السلوقية. هذه التجمعات القومية لن تلتقي فيما بينها في كثير من الجوانب الثقافية؛ نتيجة لتمسك كل منها بقوميته وعاداته وتقاليده، ففي سورية ضم العنصر الوطني (المحلي) فيها، مجتمعات تجارية وكهنوتية وقبليّة، أما في الهضبة الإيرانية (الفرس) فقد كان مجتمعاً اقتصادياً إقطاعياً، بينما تألف العنصر البابلي من مجتمعات مختلفة بعضها إقطاعي، وبعضها الآخر كهنوتي، وقبلي وتجاري، علماً أن المجتمعات التجارية في كل منها كانت أكثر انفتاحاً وتقبلاً للعادات والأفكار الوافدة، غير أنها لم تكن تشكل سوى أقليات صغيرة قياساً بالعناصر المحلية. أما اليهود فقد حافظوا على عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية، على الرغم من التعارض الموجود بين العقيدة اليهودية القائمة على فكرة وجود الإله الواحد، وبين الديانة الإغريقية ذات الطابع الوثني. وقد كان لهم مجلسهم الخاص، الذي يفرض القوانين الأخلاقية والآداب الاجتماعية، التي تحرم اللهو والتسلية والزواج بغير اليهوديات^(٢). وقد تشكلت مجموعة أنقياء اليهود المتشددين لمقاومة المغريات اليونانية المتمثلة في اللهو والتسلية والانفتاح على ملذات الحياة. بدأوا في سنة ٣٠٠ ق.م، واستمر هذا الأمر إلى أن هزم أنطوخوس الثالث (٢٢٣-١٨٧ ق.م) بطوليمائوس الخامس (٢١٠-١٨٠ ق.م) في معركة بانيون عام (١٩٨ ق.م)^(٣)، وضم فلسطين إلى الإمبراطورية السلوقية^(٤).

وقد أثرت ظروف الحياة الإغريقية وأنماطها وتقاليدها في العناصر الوطنية التي كانت تعيش في تلك المدن، ودفعتهم لتعلم اللغة الإغريقية، وساعد على ذلك عوامل عدة:

١ - الاختلاط بينهم وبين الإغريق في الأسواق والساحات العامة وغيرها.

(١) محفل، محمد، الزين، محمد، دراسات في تاريخ الرومان، دمشق، المطبعة الجديدة، ١٩٨١-١٩٨٢، ص ١٧٤ - ١٧٥.

(2) Rostovtzeff, M., History of ancient world, Oxford, 1962, p379.

(٣) بانيون: وهو المكان الذي جرت فيه المعركة بين أنطيوخس الثالث ويطوليمائوس الخامس، وكان من نتائجها هزيمة الجيش البطلمي، وتحرير جوف سورية وجنوبها من النفوذ البطلمي. انظر: العابد، مفيد، سورية في عصر السلوقيين، ص ١٠٩.

(٤) سارة، خليل، تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، ص ١٨٣ - ١٨٤.

٢ - الاطلاع على الحضارة الإغريقية، ومؤلفات آبائهم، مثل: أفلاطون^(١)، وهوميروس^(٢)، وغيرهم.

٣ - تعلم اللغة الإغريقية يتيح لهم تولي الوظائف الحكومية^(٣).

وفي انطاكية، سكنت أعداد كبيرة من السوريين خارج أسوار المدينة، ثم تم إدخالهم إليها، وإحاطتهم بسور ثانٍ. كما منح سلوقس الأول حق المواطنة لليهود في انطاكية؛ لكسب دعمهم في سورية المجوفة. وحظيت مدينة أرايوس الفينيقية^(٤) بامتيازات استثنائية من سلوقس الثاني (٢٤٦-٢٢٦ ق.م)، ومنها الحق بإيواء اللاجئين السياسيين^(٥).

ب - طبقات السكان في العصر السلوقي:

لكل مجتمع ميزاته الاجتماعية الخاصة التي تنقسمه إلى طبقات وفئات تبعاً لمعطيات الثروة والسلطة، وبما أن الإمبراطورية السلوقية من أكبر الإمبراطوريات في العصر الهلنستي، فقد ضمت عدداً كبيراً من الولايات، وهذا ما أسهم في حدوث تغييرات كبيرة في أوضاعها الاجتماعية، هذا التنوع البشري ضمن للمجتمع السوري في العصر السلوقي أسهماً في وجود طبقات عدة أهمها:

١ - طبقات الإغريق والمقدونيين:

الطبقة العليا: وهذه الطبقة تنقسم إلى قسمين:

حكومية: وعلى رأسها الملك وعائلته وحاشيته وكبار معاونيه، وكبار موظفي الدولة وموظفي القصر من المدنيين والعسكريين وجميعهم من الإغريق، وكانوا أوسع الناس نفوذاً وأكثرهم ثراء. وقد بلغ بعضهم شأنًا كبيراً إذ قام هرمياس الوزير الأول في عهد أنطيوخس

(١) أفلاطون: فيلسوف أثيني عاش بين أواخر القرن الخامس ومنتصف القرن الرابع قبل الميلاد، تأثرت أفكاره بنشأته الارستقراطية. كتب بالمجال السياسي. انظر: عكاشة، علي، اليونان والرومان، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط١٩٩١، ص١٣٠.

(٢) هوميروس: شاعر يوناني، اشتهر بملحمتي الإلياذة والأوديسة، وهما تراث مكتوب يمكن أن نستنتج من خلاله معالم التاريخ اليوناني في مراحله الأولى. انظر: درويش، مصطفى محمود، تاريخ اليونان، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٩، ١٩٩٨، ص٥٦.

(٣) بيكرمان، ي، الدولة السلوقية، ص١٦٠.

(٤) مملكة فينيقية مزدهرة سيطرت على مناطق من سواحل سورية الشمالية. للمزيد. شعث، شوقي، «المكتشفات الأثرية الأروادية»، الحوليات الأثرية السورية، مجلد ١٦، ج ١، ١٩٦٦، الصفحات (١٢٣-١٣١)، ص١٢٣.

(٥) تارن، وليم، الحضارة الهلنستية، ص ١٧٠.

الثالث (٢٢٣-١٨٧ق.م) بدفع رواتب الجنود من جيبه الخاص، عندما عجز الملك عن دفعها^(١).

غير حكومية: ضمت كبار التجار في المدن التجارية الكبرى، مثل أنطاكية وسلوقية وغيرها. ويضاف إليهم كبار رجال الصناعة ومالكي الأراضي من خارج الفئة الأولى^(٢).

الطبقة الوسطى:

ويمكن تقسيمها أيضاً إلى:

حكومية: وتضم صغار ضباط الجيش وصغار الموظفين من إداريين وجباة، وهؤلاء استقروا و تركزوا في المدن السورية الرئيسية و خاصة انطاكية ، و كان أفرادها يتمتعون بوضع مادي مقبول، وذلك بفضل الرواتب المنتظمة التي تدفعها الدولة، وقد استغل غالبيتهم الإمتيازات الوظيفية داخل المدن التي استقروا بها لتحسين أوضاعهم المادية ثم الاجتماعية ومعظمهم من المقدونيين والإغريق والقلّة من الشرقيين الذين تركزوا في المستعمرات السلوقية^(٣).

غير الحكومية : تألفت من بقية العناصر الإغريقية والمقدونية،الذين وفدوا إلى سورية من أصقاع الإمبراطورية السلوقية ، وهم من العلماء والفلاسفة والأطباء والفنانين والمدرسين والمحامين وبعض رجال الصناعة والتجارة ومتوسطي الحال الذين كافة وقد جاؤوا جميعاً يتطلعون لحياة أفضل في العالم الجديد .

الطبقة الثالثة: ضُمَّت بعض الإغريق والمقدونيين الذين عملوا إلى جانب الفلاحين في مزارع كبار الإقطاعيين أو دور الصناعة^(٤).

(١) بيكرمان، ي، الدولة السلوقية، ص٣٧-٤٠

(٢) فرح، أبو اليسر، الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والروماني، ص١٩٠ - ١٩١.

(٣) العابد، مفيد رائف ، سورية في عصر السلوقيين ، ص ٢٨٨.

(٤) إسماعيل علي، أحمد علي، تاريخ بلاد الشام القديم ، مجلد(١)، دمشق، مركز الشام للخدمات والطباعة، طبعة أولى، ١٩٩٨، ١٩٩٨ ، ص٤٠٦-٤٠٧

٢- طبقات الأهالي الوطنيين السوريين:

تألّفت طبقة السكان المحليين في سورية من طبقات عدّة متفاوتة في مستوى معيشتها كما ونوعاً:

الطبقة العليا: تتألّف من كبار مالكي الأراضي، وكبار الكهنة، ورؤساء العشائر القبلية. ولم تكن هذه الطبقة على وتيرة واحدة في مستوى معيشتها وحياتها الاجتماعية؛ بل كانت متفاوتة^(١).

كما أن المقصود من الطبقة العليا الوطنية في أي مجتمع وطني هي تلك الطبقة المكونة من أعظم المواطنين شأنًا في مجتمعاتها، وأكثرها ثراءً دون أن تضارع هذه الطبقة أو تداني في أهميتها تلك الطبقة العليا المكونة من سادة الإمبراطورية؛ أي الإغريق والمقدونيين^(٢).

الطبقة الثانية: هي الطبقة الوسطى أي طبقة متوسطي الدخل الذين يكسبون رزقهم من ممارسة الزراعة والتجارة والصناعة، أو العمل الحكومي في المدن السورية التي بقيت على وضعها السابق قبل الإغريق، وشملت هذه الطبقة:

—التجار الذين تعاملوا مع الإغريق، وتعلموا اللغة الإغريقية، واقتبسوا بعض مظاهرهم كالمأكل والملبس وبعض العادات الأخرى تقريباً أو تزلفاً.

—الموظفون الذين انخرطوا في الوظائف الحكومية، وتعلموا اللغة الرسمية الإغريقية للدولة؛ لأنها كانت شرطاً لشغل الوظائف الحكومية^(٣).

الطبقة الثالثة: هي الطبقة الدنيا؛ أي الطبقة الكادحة، وهي من أكثر الطبقات عدداً وأقلها مالاً، وأُطلقَ على الذين عملوا بالزراعة اسم اللاوي (Laoi)، وكانوا يشكلون الغالبية العظمى من أفراد هذه الطبقة^(٤).

وقد ارتبط هؤلاء ارتباطاً وثيقاً بالأرض التي يعملون بها، ولم يكن مسموحاً لهم بمغادرتها وينتقلون معها، إذا انتقلت ملكيتها بيعاً أو شراءً أو هبة، ومنهم من وهبوا أنفسهم للخدمة في أراضي المعبد، ويطلق

(١) البيومي، محمد رضا، الحياة الاجتماعية و حقوق المواطنة في الدولة السلوقية، جامعة الزقازيق، ١٩٩٩، ص ٨٩-٩٠.

(٢) ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، مراجعة لجنة من الاختصاصيين بإشراف سعيد اللحام، م ٢٠، بيروت، دار نوبليس، ط ١، ٢٠٠٨، ص ٣١٩.

(٣) صبحي، أحمد محمود، في فلسفة الحضارة الإغريقية، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، د.ت، ص ١٨٢؛ انظر أيضاً: العابد، مفيد، سورية في عصر السلوقيين، ص ٢٨٥-٢٨٦.

(٤) البيومي، محمد رضا، الحياة الاجتماعية و حقوق المواطنة في الدولة السلوقية، ص ٩٢.

عليهم عبيد الإله ، وهناك وثيقة تذكر صراحةً أن الملك أنطوخيوس الثاني (٢٦١-٢٤٦ ق.م) ، قد باع إلى مطلقته لاوديكي قرية بكل ما عليها من مبانٍ ، وما فيها من أرض زراعية وفلاحين^(١) .

وقد عمل بعض أفراد هذه الطبقة بالصناعة والتجارة إلى جانب الزراعة ، غير أنهم كانوا قلة قليلة ، فالعمل الزراعي كان الأكثر رواجاً بين أفراد هذه الطبقة الكادحة التي بقيت على حالها ، ولم تُقبل كغيرها من الطبقات على تعلم اللغة الإغريقية والانخراط في الوظائف الحكومية ، ومن ثم إنهم أعرضوا عن الحضارة الإغريقية وظل أفرادها متمسكين بديانتهم وحضارتهم القديمة^(٢) .

٣- طبقة العبيد :

كان العبيد في العصر السلوقي يمثلون أشد الفئات الاجتماعية بؤساً وفقراً ، وكانت تجارتهم من التجارات الرائجة في تلك الفترة ، ويرجع القانون الإغريقي العبودية إلى أربعة أسباب ، أهمها :

- الأسر في الحرب .

- خطف الأحرار واستعبادهم عنوةً .

- اعتبار أبناء الإماء عبيداً سواء أكان آباؤهم عبيداً أم أحراراً .

- أخذ الأولاد الذين يرغب أهلهم بوأدهم وتربيتهم كعبيد^(٣) .

أما أنواع العبيد فقد وجد ثلاثة أنواع منهم :

- عبيد المعابد .

- عبيد في خدمة الملك ومختلف فروع الإدارة .

- عبيد ينتمون لأشخاص لهم مكانة خاصة^(٤) ، وكانت أسعار العبيد تتفاوت من عصر لآخر ، فقد هبط سعر العبيد في سورية في أثناء حكم المملكة السلوقية ، ولم تكن العبودية نظاماً مقفلاً ؛ بل كان بإمكان العبد أن يحصل على حريته ، ولم يكن العبد ينتسب لأبويه الحقيقيين بل إلى مالكة أو سيده ، كما وضعت عليه علامة خاصة تميزه عن غيره وتشير إلى صاحبه ، ولا يعرف

(١) العابد ، مفيد ، سورية في عصر السلوقيين ، ص ٢٨٩ .

(٢) أمهز ، محمود ، في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ط ١ ، ٢٠٠٩ ، ص ١٢٣ .

(٣) عكاشة ، علي ، اليونان والرومان ، ص ١٠٩ ،

(4) Rostovt zeff. M., The social and Economic history of the Hellenistic, world, New york, vol1, 1998, p 537.

بالضبط ماهية تلك العلامة، وقد تكون سلسلة توضع على يد أو رقبة العبد أو نوعاً من الرسم على جبهته^(١).

ثالثاً: العادات والتقاليد السائدة في سورية في العصر السلوقي:

إن العقيدة الدينية قديمة قدم وجود الإنسان، وتمثل أهمية قصوى في حياة الشعوب القديمة، بل كانت من أهم العوامل المؤثرة في حياتها وتطور حضارتها. كما أسهمت في تحديد عاداتها وتقاليدها والأعراف والقوانين التي تلتزم بها، وتنعكس إيجابياً على جميع جوانب الحياة.

١ - الدين:

تمسك السوريون بمعتقداتهم الدينية إبان غزو الإسكندر الأكبر ومن بعده السلوقيين، ولعل أهم ما يميز هذه المعتقدات ما يعرف بمبدأ الحيوية، أي الاعتقاد بوجود قوى أو أرواح كامنة في مكونات الطبيعة المختلفة، وفيما بعد تجسدت على هيئة آلهة^(٢).

اعتقد الكثير من الباحثين، أن تفكير الإنسان مر بمراحل متعددة عبر العصور، وتأتي في مقدمتها مرحلة التفكير الإحيائي؛ أي إن الأشياء تتحرك حركة ذاتية، وكل شيء يتحرك بمعزل عن الأشياء الأخرى، ولكل شيء ميزة خاصة به، ومن الصفات الأخرى الاستمرارية التاريخية؛ أي إن مجموعة الطقوس والمعتقدات والآلهة ظلت محافظة على جوهرها خلال العصور التاريخية المختلفة، وهذا يعكس طبيعة وحضارتها سورية القديمة، واستمراريتها وتواصلها مع الحضارات الأخرى^(٣). ويبدو لنا أن المقدونيين، قد تأثروا بهذه المعتقدات الدينية على الرغم من ارتباطهم الشديد بآلهتهم الهلينستية، فقد نظر الحكام السلوقيون إلى أنفسهم على أنهم غرباء، ولهذا دأبوا البحث عن سبب أساسي ديني، يجعل من سلطتهم على البلاد قانونية، لذلك ظهرت بعض السمات الخاصة المتعلقة بالمعتقدات الدينية للأسر الحاكمة من ضمنها تبني عبادة إله مهم، فوجدوا زالتهم المنشودة في عبادة الإله "أبولو" إله الحكمة والمعرفة وعدوه إلههم الخاص الحامي لهم^(٤).

(1) Rostovt zeff , M., "Syria and the East", CAH, vol. vii, 1964, p127.

(٢) الدباغ، تقي، الفكر الديني القديم، بغداد، ط١، ١٩٩٢، ص٥٥.

(٣) يحيى، لطفي عبد الوهاب، وآخرون، التاريخ اليوناني والروماني، القاهرة، مطابع مجموعة مؤسسات الهلال، ط١، ١٩٨٦، ص٩٨٦.

(٤) زهيراتي، متوديوس، الإسكندر الكبير فتوحاته وريادة الفكر اليوناني في الشرق، دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط١، ١٩٩٩، ص٣٥٥.

منذ غزو الإسكندر سورية، وتأسيس الإمبراطورية السلوقية، وبعد فترة وجيزة من تأسيسها وفدت إلى المناطق أفواج تلو الأفواج من المقدونيين والإغريق، وكان لكل منهم عاداته وتقاليده ومعتقداته الدينية وآلهته، وبذلك ضُمَّت الإمبراطورية السلوقية شعباً متباينة، وكونت مجتمعات منعزلة تماماً عن بعضها البعض، وكانت هذه العزلة نتيجةً طبيعية للاختلاف في اللغة والدين والتقاليد، وقد ساعد في تكريس هذه العزلة نظام الإدارة اللامركزية الذي اتبعه السلوقيون، فأتاح لكل مجتمع ممارسة أساليب حياته الموروثة.

تشير الدلائل إلى أن السلوقيين دعموا السياسة القائمة على خلق الحرية الدينية لرعاياهم، من خلال إظهار احترامهم لآلهة رعاياهم الشرقيين كالفرس والسوريين والبابليين، وغيرهم من العناصر الوطنية الذين تمسكوا بعباداتهم الدينية طوال العصر السلوقي. أما المقدونيون واليونان فقد وفر لهم السلوقيون الأسباب التي تمكّنهم من متابعة أساليب حياتهم، وشعائرهم الدينية التي ورثوها عن الأجداد^(١).

ولا شك في أن السلوقيين أدركوا حقيقتين جوهريتين فيما يخص رعاياهم الشرقيين:

الحقيقة الأولى: أنه لكل شعب عادات وتقاليد وشعائر دينية يلتزم بها.

الحقيقة الثانية: أن رعاياهم وشعوبهم لهم تراثهم الحضاري، وآلهتهم التي يعبدونها ويقدمونها، وأنهم يترفعون عن عبادة البشر، حتى لو كانوا ملوكهم^(٢).

وقد أشرف سلوقس بنفسه على الاحتفالات الدينية التي تقام في ضاحية أنطاكية من أجل الإله أبولون^(٣). واهتم أيضاً اهتماماً واضحاً بأهم الآلهة الشرقية، مثل: بعل إله الخصب، وحدد إله الزوابع والرعود وأتراغتس^(٤) (الشكل ١ - ٢ - ٣ - ٤) بصورة خاصة، وآلهة السماء والعاصفة والرعد بصورة

(١) سارة، خليل، تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، ص ١٨٦ - ١٨٧.

(٢) العابد، مفيد، سورية في عصر السلوقيين، ص ٢٩٣.

أبولون: من أبناء زيوس أكبر الآلهة الأولمبية (وهي الآلهة التي تسكن قمة جبل أولمبس) تعددت الآراء حول اختصاصه، فهو إله الشمس والنور والموسيقا والفن وإله الوباء والصحة، وكان مقر عبادته مدينة دلفي في اليونان. للمزيد: كاظم عجيل، رجاء، الديانة في بلاد اليونان، مجلة آداب ذي قار، العدد، المجلد ٢، ص ٧٢.

(3) Rostovtzeff, M. History of ancient World. Oxford, 1962, p430.

(٤) أتراغتس: هي الإلهة الرئيسية في سورية في العصر الهلنستي، وحصلت على الشعبية نفسها في آسيا الصغرى ومقدونيا؛ انظر

Millar, F., The Roman Near East, second printing, Harvard 1994, p.

عامة^(١). وعلى الرغم من الحماس الذي أظهره السلوقيون لآلهتهم الإغريقية، فإن ذلك لم يحل دون احترامهم لآلهة رعاياهم، وخاصة اليهود^(٢).

أسهم سلوقس في تشييد عدد من المعابد وإصلاحها، وقدم الهدايا والقرابين على شرف الآلهة، وقدم الدعم المادي والمعنوي لهذه الآلهة؛ بغية الحصول على تأييد عبديتها، وقد قدم دليلاً واضحاً على إيمانه بالعادات والتقاليد الإغريقية التي تحترم الآلهة المحلية بوصفها حامية للبلاد، وذلك حينما قدم ذبيحته إلى زيوس كاسيوس الإله المحلي للعاصفة والرعود، عند إنشاء عاصمته الثانية سلوقية بيرية. كما اعتمد على نبوءة الآلهة الكلدانية في بابل وأوروك، حين استشارها عن الوقت المفضل لديها لبناء عاصمته الأولى سلوقية دجلة^(٣).

استمر خلفاء سلوقس من بعده بترميم الكثير من المعابد للآلهة المحلية وإعادة بنائها. كما حاول السلوقيون في فترات متأخرة من تاريخهم، تقليد البطالة في عبادة إله كوني واحد، كحال الإله البطلمي سراپيس (Sarapis)^(٤)، وتوحيد الاهتمامات الدينية لدى شعوبهم، وذلك بتقديم إله واحد يجمع بين زيوس "كبير آلهة اليونان" وأهورا مزدا "إله النور الفارسي" ويعمل "كبير الآلهة السورية". وقد تجلت هذه النزعة في عهد أنطيوخس الرابع أبيفانس (١٧٥ - ١٦٤ ق.م) الذي استشعر ضرورة توحيد شعوب إمبراطوريته الواقعة ما بين خطر البارثيين في الشرق، والرومان في الغرب. وقد تمكّن من نشر هذه الفكرة في معظم أرجاء مملكته، غير أنه اصطدم مع اليهود لرفضهم ترك تقاليدهم الدينية، واستبدال إلههم بالإله زيوس، فقاموا بثورة عرفت بالثورة المكابية^(٥). يضاف إلى ذلك عوامل أخرى كتباعد مركز الإمبراطورية، وقلة عدد المؤمنين الداعين بحماس إلى الديانة الموحدة^(٦).

(١) عاشور، لبيب، الآلهة في المجتمع السلوقي، بيروت، دار صادر، ط٢، ٢٠٠٥، ص٧٤.

(٢) بيكرمان، ي، الدولة السلوقية، ص٤٥.

(٣) العابد، مفيد، سورية في عصر السلوقيين، ص٢٩٤.

(٤) الإله سراپيس: أوجده الملك بطوليمايوس الأول، وكان مزيجاً من الإله المصري اوزيريس إله العالم السفلي والخصوبة، والعجل المقدس أبيس. للمزيد: مكاي، فوزي، الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والروماني، القاهرة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، ط١٩٩٩، ص١٦٥.

(٥) الثورة المكابية: قامت هذه الثورة في عام ١٦٨ ق.م ضد أنطيوخس الرابع بزعامة يهوذا المكابي. للمزيد: حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص٢٦٧-٢٦٨.

(٦) سارة، خليل، تاريخ الوطن في العصور الكلاسيكية، ص١٨٧.

على الرغم من الاتهامات التي وجهت لأنطوخينوس الرابع، بوصفه الملك السلوقي الأكثر تعصباً الذي حاول توحيد الآلهة في ظل إله واحد في مملكته، غير أنه سمح للمدن بسك النقود، ونقش رسوم آلهتها عليها، مع الاحتفاظ بالوجه الأمامي رمز الدولة، وهو رسم أنطوخينوس الرابع. وفي الوقت نفسه لجأ السلوقيون إلى الحد من نفوذ ظاهرة ملوك الكهنة في سورية التي كانت كثيرة في عددها، وقديمة في نشأتها، ومنها دولة ملوك الكهنة في منبج "هيرابوليس" وفي حصن سليمان "بايتوكاكي" وفي حمص "إيميسا"، فادعوا ملكية أراضي المعابد كنوع من التنظيم، ثم حاربوا السلطة الزمنية التي يتمتع بها ملوك الكهنة مع إضفاء الصبغة الدنيوية الزمنية على ما تبقى من ممتلكات المعابد الزراعية^(١).

كما عملوا على الحد من صلاحيات المعابد في إيواء الفارين، حيث بقيت هذه الحماية تُحترم من قبل قضاء مدينتهم فقط، ولم تعد تتمتع بهذا الحق إلا بعض المعابد، وباستثناءات معينة ومحدودة^(٢). وعلى الرغم من وجود تناقضات في سياسة السلوقيين الدينية، غير أنه بالإمكان القول: إن الملوك السلوقيين احترمو الآلهة السورية المحلية، وتعاطوا مع الامتيازات والحقوق الدينية التي منحوها بما يتلاءم مع حاجاتهم السياسية والاقتصادية؛ معتمدين على دعم السكان المحليين والمدن لهم، ولاسيما في ظل الصراعات والحروب العديدة التي شهدوها^(٣).

٢ - المرأة:

أسهمت المرأة بشكل فاعل في تطوير المجتمع واستقراره، من خلال دورها المهم على الصعيد الأسري وعبر علاقاتها الاجتماعية، بوصفها زوجة رب الأسرة. فهي مصدر الإنجاب وحاملة نسل زوجها والمسؤولة عن استمرارية عائلته، فكانت تدير شؤون منزلها، وتتولى مهمة تربية الأولاد، والإشراف على تعليمهم، كما كان لها الكلمة العليا بعد رب الأسرة فيما يتعلق بتسيير شؤون عائلتها^(٤).

في النطاق الأسري اتبعت العائلة السلوقية الأعراف والقوانين الإغريقية التي تنص على ألا يكون للزوج أكثر من زوجة واحدة في وقت واحد، وتحريم زواج الأخ من أخته؛ إذ يعد عملاً فاحشاً منكراً، غير أن زواج الأخوة إذا لم يكونوا من أم واحدة كان مباحاً^(٥).

(١) تارن، وليم، الحضارة الهلنستية، ص ١٤٧ - ١٥١.

(٢) بيكرمان، ي، الدولة السلوقية، ص ١٢٧.

(3) AL Maqdissi, Michel., The Syrian coast, **sea routes**, edited by Nicholas Stampoldis, Athens, 2003, p 67.

(٤) إسماعيل، علي، أحمد، علي، تاريخ بلاد الشام القديم، ص ٤١٨.

(٥) العابد، مفيد، سورية في عصر السلوقيين، ص ٢٨٢.

أما في الحياة العامة، فقد كان يذكر اسم الملكات السلوقيات في الصلاة الملكية إلى جانب الملك، إلا أنهنّ لم يأخذن أدواراً سياسية كمعاصراتهن الملكات البطلميات، كما لم تحمل النقود السلوقية صورهن إلا نادراً وفي فترات متأخرة من الحكم السلوقي زمن دميترىوس الأول (١٦٢-١٥٠ ق.م) الذي وضع رأس زوجته لاوديكي إلى جانب رأسه على النقود، وكذلك عندما منح الإسكندر بالاس (١٥٠-١٤٥ ق.م) هذا الشرف إلى زوجته كليوباترا. وعندما حكمت كليوباترا مع ابنها أنطيوخس الثامن (١٢٢-٩٦ ق.م) حملت نقودها صور رأس الملكين الحاكمين. ولكنها في عام ١٢٦ ق.م سكّت نقوداً باسمها وحدها. وعلى الرغم من عدم معرفة إذا كان يسمح للملكات أو يحقّ لهنّ القيام بدور الوصي على أولادهنّ، فإنه يمكن ملاحظة دور كل من لاوديكي وبرينكي في الحرب السورية الثانية^(٣).

⁽³⁾ Bikerman, E., Institution des Seleucides, Paris, 1938, p24-26

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية في سورية في العصر الروماني

أولاً: مكونات المجتمع السوري في العصر الروماني.

١ - العناصر السكانية في سورية.

٢ - طبقات السكان.

ثانياً: العادات والتقاليد السائدة في المجتمع السوري.

١ - العادات والتقاليد الأسرية.

٢ - دور المرأة السورية في الفترة الرومانية.

ثالثاً: المهرجات والاحتفالات في المجتمع السوري في العصر الروماني.

١ - الأعياد.

٢ - المعابد.

٣ - طقوس العبادة.

٤ - الدفن.

٥ - وسائل ترفيهية أخرى.

أولاً: مكونات المجتمع السوري في العصر الروماني:

شهدت سورية عبر تاريخها الطويل العديد من الثقافات والحضارات والقوميات، وامتزجت على أرضها أعراق وأنساب كثيرة، انصهرت مع بعضها البعض، وأنتجت شكلاً اجتماعياً متجانساً ذا طابع عرقي وثقافي مميز لها.

١ - عناصر السكان:

أ - الآراميون:

هم أحد الشعوب السامية الذين استوطنوا وسط سورية وشمالها، والجزء الشمالي الغربي من بلاد الرافدين. وعندما ازدادت قوتهم استقروا في المناطق الواقعة بين تدمر وجبل البشري وسط سورية وتلحلف في الجزيرة الفراتية، وكونوا ممالك آرامية، ثم اتسعت مناطق نفوذهم في أواخر الألف الثاني ق.م؛ لتشمل الهلال الخصيب شرق الفرات وغربه، وكان لهم لغتهم الخاصة وهي اللغة الآرامية^(١)، وأطلق اسم الآراميين على البلاد التي سكنوها قروناً، ومن أشهر ممالكهم: مملكة دمشق الآرامية وعاصمتها دمشق، وبلغت مكانة مرموقة في النصف الثاني من القرن التاسع ق.م، ومملكة "بيت رحوب" على مجرى نهر الليطاني الأوسط، ومملكة "بيت معكة" في بانياس والجولان، ومملكة "جشور" بين اليرموك ودمشق. وقد انتهى أمر هذه الممالك عندما احتلها الملك الآشوري "تغلات فلاصر الثالث" عام (٧٣٢ ق.م)، وأصبحت جزءاً من الإمبراطورية الآشورية^(٢).

وقد ذكر في حوليات الفرعون المصري رعمسيس الثالث (١١٩٨ - ١١٦٧ ق.م)، أن دمشق كانت مركزاً للدولة الآرامية^(٣).

ضمّ مجمع الأرباب عند الآراميين في الميثولوجيا السورية آلهة من كنعان وبابل وآشور، فضلاً عن آلهتهم الخاصة بهم، والإله عند الآراميين هو بعل بمعنى السيد، ويدعونه أحياناً بعل شمين "رب السموات". وعبدت إلى جانب بعل الربّة الأنثى بعلت التي كانت تدعى ملكة شمين "ملكة السموات". ولبعض المناطق والمدن بعلها الخاص بها كبعل مملكة تدمر، وبعل جبال الساحل السوري وبعل البقاع

(1) Bouchier, E., Syria as a Roman Province, New York, 1962, p 9.

(2) Walis, E. A. K. L., Annals of the king of Syria, V. I. London, 1902, p 23.

(3) Muller, W., Asia and Europa, Leipzig, 1938, p 234.

”بعلبك“، وسمى الآراميون بعل حدد إلهاً للطقس. ومن أشهر آلهتهم بعل شمين ”رب السماوات“، وحدد إله الطقس، وأتارغاتيس. ومن أهم معابدهم معابد حدد في كل من دمشق وحلب ومنبج، ومعبد هيرابوليس في بعلبك^(١).

أشارت الكتابات والنقوش التدمرية والنبطية إلى أن الآراميين حافظوا على عباداتهم وآلهتهم المتوارثة، وعلى أنماط حياتهم التقليدية، كما حافظوا على لغتهم الآرامية التي بقيت لغة العامة لمعظم سكان سورية، ولاسيما في الأرياف على الرغم من الانتشار الواسع للغة اللاتينية في سورية خلال الحكم الروماني لها^(٢).

ب - الفينيقيون:

هم أحد الشعوب السامية الذين هاجروا حوالي ٢٥٠٠ ق.م من الجزيرة العربية واستقر قسم منهم في جنوب سورية، وقد عرفوا بالكنعانيين، فقد أطلق اليونانيون على الكنعانيين الذين استقروا في المناطق الساحلية اسم الفينيقيين، وقد أشارت النصوص المصرية إلى تسميتهم بأهل البحر^(٣).

خضعت المدن الفينيقية في القرن التاسع قبل الميلاد إلى سيطرة الآشوريين، وفي القرن السادس لسيطرة الكلدانيين، كما خضعت لسيطرة الفرس، وبقيت تحت نفوذهم إلى أن دخلت جيوش الإسكندر المقدوني بعد انتصارها على الفرس في معركة إيسوس ٣٣٣ ق.م، وظلت تقدم ولائها للسلوقيين خلفاء الإسكندر المقدوني في سورية حتى جاء القائد الروماني بومبي إلى سورية واحتلها سنة ٦٤ ق.م.

أسس الفينيقيون مدناً كثيرة على طول الساحل السوري، من أهمها : أوغاريت وأرواد وجبيل وصيدا وصور وبيروت وبعلبك، التي جعلها الرومان مستعمرات خاصة للجنود الرومان بهدف نشر اللغة والثقافة اللاتينية. اشتهرت هذه المدن الفينيقية بالتجارة والملاحة البحرية وساعدهم على ذلك وقوع بلادهم على شواطئ البحر المتوسط، وتوفر الأخشاب الصالحة لبناء السفن فيها. فأقاموا شبكة من المحطات التجارية في حوض المتوسط لتسهيل المبادلات التجارية مع البلدان الأخرى، فقد بدأت صور بإقامة المحطات التجارية، فبنيت العديد منها في قبرص وصقلية وحوض المتوسط الغربي بشكل عام. وربما شاركت مدن فينيقية أخرى في ذلك. وقد حصلت بعض هذه المدن على حقوق المواطنة.

(١) الشريف، علي، تاريخ الشرق الأدنى القديم، القاهرة، ٢٠١٠، ص ٦٥.

(٢) الحلو، عبدالله، صراع الممالك في التاريخ السوري القديم، ص ١٣١.

(٣) حلمي محروس، اسماعيل، الشرق العربي القديم وحضارته، القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٧، ص ٧٩.

الرومانية(صور،بيروت،بعلبك)،والإعفاء من دفع الضرائب وذلك بسبب تحالفها مع الرومان،ولكن مع مرور الوقت فقدت هذه المدن بشكل كبير امتيازاتها^(١).

. كما أسس الفينيقيون مدناً في شمال إفريقية، كقرطاجة(قرب تونس الحالية)، التي ازدهرت وشاع صيتها كثيراً زمن الرومان واستطاعت أن تضم تحت سيطرتها القسم الأكبر من الحوض الغربي للبحر المتوسط، وظلّت تتصارع مع الرومان زمناً طويلاً وحصلت بينهما الحروب المعروفة في التاريخ باسم الحروب البونية، التي غزا فيها القائد القرطاجي هانيبال إيطاليا واقترب من روما وقيل إنه غرز رمحه في سورها.ولكن الرومان استطاعوا في نهاية هذه الحروب الاستيلاء على قرطاجة ١٤٦ق.م فهدموها وخربوها. بالنسبة لوضع هذه المستعمرات، فقد شكلت كل منها مملكة مستقلة يحكمها ملك ادعى السلطة على مملكته، ولكن في الواقع كانت سيطرته اسمية^(٢).

ج - اليهود:

نزع اليهود إلى سورية بعد سقوط القدس في أيدي الرومان، على يد القائد الروماني تيتوس (٧٠م) الذي أقام الاحتفالات في المدن السورية كافة، لانتصاره على اليهود ودخوله القدس. وقد أُستقبل سكان أنطاكية القائد تيتوس استقبلاً حاراً؛ لأنه أنقذ السوريين من اليهود، وكسر شوكتهم، ولم يكتفوا بانتصاره، بل طالبوه بطرد اليهود من مدينتهم^(٣). كان اليهود يعملون بالتجارة، واستطاعوا من خلال نشاطهم التجاري أن يجمعوا ثروات هائلة، كما قام بعضهم بالتبشير لديانتهم بين السكان. وكان لبعضهم شأن كبير في المدينة كاليهودي "يوليوس أورليوس شميطة" الذي كان يرأس إحدى القوافل التجارية، وينفق عليها من ماله الخاص، وقد أقيم له تمثال في عام (٢٥٧م)^(٤)، ويذكر أن اليهود اشتركوا مع الرومان والفرس في حروبهم ضد حكام تدمر، خاصة في عهد الملكة زنوبيا، وكان لكل جالية يهودية رئيس يشرف عليها، ويتولى إدارة شؤونها^(٥).

(١) فليون، التاريخ الفينيقي، ترجمة، عيد مرعي، دمشق، الأبجدية للنشر، ط١، ١٩٩٣، ص١٨.

(٢) فرح، نعيم، التاريخ القديم وماقبله، دمشق، مؤسسة الأمالي، ١٩٧٩-١٩٨٠، ص١٧٠-١٧١.

(3) Flavius Josephus, The works of Flavius Josephus, translated by William Wh. Ston A. M, London, book VII, p 650 - 660.

(4) Bouchier, E.S., Syria as a Roman provinc , p 7.

(٥) حلمي محروس، إسماعيل، الشرق العربي القديم وحضارته، ص٣٠٦.

د - الإغريق والمقدونيون:

بدأت العناصر الإغريقية بالاستيطان في سورية منذ أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، وذلك منذ أن قدم الإسكندر الكبير إليها، وشجّع على الاستيطان في كل المناطق التي سيطر عليها ومنها سورية، وجاء بعده سلوقس الأول (٣١٢ - ٢٨٠ ق.م) الذي عمل على تشجيع هجرة العناصر الإغريقية إلى سورية والاستيطان فيها، وذلك لأسباب عدة، منها: دعم مركز حكمه في الجيش، وإدارة البلاد، ونشر الثقافة اليونانية كي لا يذوب الوافدون في بوتقة الثقافة السورية^(١).

عندما احتل الرومان سورية، استمر وجود العنصر الإغريقي فيها، وكان أغلب هؤلاء من العسكريين (المحاربون القدماء)، والتجار وأصحاب الحرف، وقد اقتصر وجودهم منذ أن قدموا إلى سورية على المدن ذات الخلفية السياسية أو التجارية أو العسكرية التي أسسها السلوقيون، ومن أهم هذه المدن: انطاكية وسلوقية على العاصي وأفامية، وكذلك في المدن الداخلية كدمشق وتدمر ودورا وأروبوس، وظلوا محافظين على وضعهم السابق زمن السلوقيين ولم يتعرضوا لأي مضايقات، واحتفظوا بعاداتهم وتقاليدهم الإغريقية الخالصة، ولم يكن لديهم ميول للتأثر بالرومان، وظلوا يشعرون بتفوق حضارتهم على الشعوب الأخرى، رغم أنهم كانوا يشاركون في المناسبات الاجتماعية والأعياد المهمة التي كانت تقام في المدن الكبرى زمن الاحتلال الروماني^(٢).

هـ - العنصر الروماني:

اقتصر وجود العنصر الروماني في سورية في البداية، على عدد قليل من المقيمين الإيطاليين، ليكونوا بمنزلة مركز لنشر الثقافة اللاتينية، وكان أغلبهم من الموظفين الحكوميين الذين يعملون في جباية الضرائب^(٣).

ازداد عدد هؤلاء في عام (٤٨ ق.م) ليشمل الجاليات الرومانية، التي عملت بالتجارة، وأسهمت في ازدهارها في سورية، وكان للمستعمرات الرومانية دوراً كبيراً في تلك التجارة، من خلال الجنود الرومان الذين خدموا في الجيش لسنوات طويلة، واستطاعوا أن يحققوا نجاحات باهرة أكسبتهم مكانة اجتماعية مرموقة في الإمبراطورية الرومانية، حيث شاركوا في أعظم الحملات التي شنتها روما في تلك لفترة، مما

(١) حُتّي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ٣١٧ - ٣١٨.

(2) Bouchier, E , S. , Syria as a Roman provinc , p.6,7.

(3) Franz ,C., The Frontier Provinces of the East, the CAH ,Vol (XI), Cambridge University press,1980, p625.

جعلهم يصبحون فيما بعد الفئة الحاكمة في المقاطعات الرومانية^(١). كان لفترة حكم قيصر أثر بالغ الأهمية في الحياة الاجتماعية للولايات كافة، فقد زالت الحواجز التي كانت تفصل الرومان عن سكان تلك الولايات، كما عمل على تشجيع هجرة الرومان إلى المقاطعات الجديدة، وذلك من خلال طريقتين: الأولى: كان يبعث إلى الولايات بالفائض من فقراء روما للسكن في مستعمرات جديدة ذات طابع تجاري أو صناعي، حيث يعمل هؤلاء في هذين المجالين، فيعود ذلك بالنفع عليهم، وعلى سكان المستعمرات.

والثانية: شجع جنوده المسرّحين للعمل بإقطاعات زراعية في الولايات بعدما منحهم الأراضي كمكافأة لهم.

وتعد مدينة انطاكية من أكثر المدن السورية التي توافد إليها الرومان؛ بوصفها عاصمة سورية، ومن أمثلة ذلك إقامة بليينوس الأصغر^(٢) في انطاكية بوصفه ضابطاً صغيراً في الفرقة الثالثة. ويقدر عدد المستعمرات الرومانية في الولايات بما يقل عن عشرين مستعمرة أكثرها غرب المتوسط^(٣).

و - العنصر الفارسي:

وجد الفرس في سورية منذ أيام الإمبراطورية الفارسية في عهد قورش (٥٥٧ - ٥٣٠م)، وداريوس الأول (٥٢١ - ٤٨٦ ق.م)، وكانوا يتمتعون بمكانة عالية، ويعاملون، وكأنهم مواطنون أحرار، وازداد عددهم في عهد سيطرة الإسكندر وخلفائه، فتزوجوا منهم وانضم بعضهم إلى الجيش، أما بعد دخول الرومان إلى سورية (٦٤ ق.م)، فقد استمر وجودهم بشكل محدود، غير أن ملكة تدمر رأت فيهم عناصر أقرب إلى الجندي فاستخدمتهم في جيشها^(٤).

(١) داوئي، جلانفيل، انطاكية القديمة، ترجمة، ابراهيم نصحي، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٦٧، ص ١٠٣-١٠٤.

(٢) بليينوس الأصغر: اسمه الحقيقي جايوس بليينوس كاسيليوس، عمل بليينوس قاضياً في عهد تراجان، كان بليينوس رجلاً صادقاً ومعتدلاً، وشغل العديد من المناصب المدنية والعسكرية؛

Julian Bennett, Trajan: optimus princeps : a life and times (New York & London: Routledge, 1997), pp. 113-125

(٣) أحمد علي، عبد اللطيف، التاريخ الروماني (عصر الثورة من تيبيريوس إلى أكتافيوس)، بيروت، دار النهضة العربية،

١٩٧٠، ص ٣٠١

(4) David , S., Augustus Caesar, London & New York, 1991, P 67.

٢ - طبقات السكان:

عُرفت الإمبراطورية الرومانية كغيرها من الإمبراطوريات رغم تعدد شعوبها وأجناسها نظام الطبقات الاجتماعية، وقد تألف المجتمع السوري في تلك الفترة من الطبقات الآتية:

أ - الطبقة الحاكمة (الأرستقراطية - ملاك الأراضي):

تألفت الطبقة الحاكمة من الفئة الحاكمة وحاشيتها من السكان المحليين في المدينة وكبار الموظفين الذين تقلدوا مناصب رفيعة في السلك الإداري وغيرهم، وتعد هذه الطبقة صفوة المجتمع السوري في العصر الروماني، ولها المكانة السامية، ويرمز لها بعدد من المظاهر، مثل: اللباس والسكن والوظيفة وعدد الأتباع والثروة والجاه^(١).

وجب عليهم دفع الضرائب، غير أنهم تهربوا من معظمها في أغلب الأحيان، كما ضمت هذه الطبقة التجار الأغنياء وأصحاب الورش الصناعية الكبرى والعقارات الكثيرة، وقد وجدت هذه الطبقة أيضاً في المناطق الريفية، وفي مدن القوافل التجارية كتدمر وصور وصيدا وبيروت (الشكل ٥)، وأضاف أصحاب هذه الطبقة إلى زعامتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية زعامة دينية^(٢).

ينتمي إلى هذه الطبقة أيضاً حكام الولايات الذين يختارون في أغلب الأحيان من النبلاء ذوي النفوذ، وقد ازدادت ثروتهم بسبب الحملات العسكرية التي كانوا يأخذون منها حصة الأسد بعد النصر؛ فضلاً عن الهدايا التي كان يُقدّم لهم سكان الولايات والرشاوى، ومن السلب والابتزاز والهبات واستغلال النفوذ^(٣).

يضاف إلى هذه الطبقة، أيضاً كبار مالكي الأراضي الزراعية، وهؤلاء شكّلوا أرستقراطية زراعية، وامتلكت هيمنة اقتصادية وثقافية وسياسية، وحصلوا على هذه الحقوق منذ الولادة أو كمكافأة لهم من الإمبراطور الروماني، وقد شكّل هؤلاء عشر السكان تقريباً^(٤).

تنوعت اهتمامات هذه الطبقة؛ فضلاً عن أعمالهم الأساسية، اشتركوا في النشاطات الاجتماعية المختلفة كالآدب والفن والموسيقى والرياضة والصيد؛ متأثرين بالفنون والنشاطات الاجتماعية الرومانية،

(١) يحيى، لطفي، تاريخ اليونان والرومان، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢، ٢٠٠٩، ص ٨٧.

(٢) سليم، أحمد، تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٩٠، ص ٤٤.

(٣) دولي، دونالد، حضارة روما، تعريب، جميل الذهبي، فاروق فريد، القاهرة، دار النهضة، ١٩٧٧، ص ١٧١ -

١٧٢.

(٤) روستوفتزف، ميخائيل، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاقتصادية والاجتماعي، ص ٣٤٨.

وكان أهل هذه الطبقة من سكان المدن أكثر من تأثر وأثر في الحضارة الغربية، وكانت هناك مصالح مشتركة مع الغزاة الجدد الذين حاولوا كسب ودّ هذه الطبقة بسبب قوتهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، أما أفراد هذه الطبقة فقد أخذوا يتقربون منهم للحفاظ على مكانتهم ونفوذهم، ويستثنى من هذه القاعدة قلة قليلة من الأفراد الذين ظلوا بعيدين عن التأثير والتأثر. وقد استفاد أفراد هذه الطبقة من ثرواتهم ونفوذهم وعلاقاتهم القوية مع روما في تغيير الكثير من القرارات المهمة للقضاة، وفي تعيين من يريدون في المناصب المفصلية في الدولة^(١).

ب - طبقة المزارعين الأحرار والأقنان والعتقاء:

أصبحت الزراعة هي الحرفة السائدة في سورية في ظل الحكم الروماني لها، وتركزت في وادي نهر العاصي حيث المياه الوفيرة التي أسهمت في إنتاج محصول كبير من القمح والشعير والقنب والكتان وغيرها، وقد سيطرت طبقة ملاك الأراضي الكبار "الأرستقراطيين" على قسم كبير من الأراضي الزراعية، أما الفلاحون فقد امتلكوا مساحات بسيطة من هذه الأراضي، وكانت زراعتهم لا تلبي مردودها احتياجاتهم المعيشية^(٢).

شملت هذه الطبقة أصحاب الدخل المتوسط والمحدود من صغار ملاكي الأراضي، الذين كانوا يزرعون أراضيهم بأنفسهم، ويقومون بتصدير منتوجاتهم إلى المدن الرئيسة والكبرى. غير أن انخفاض أسعار السلع مقابل التكاليف الباهظة دفعت هؤلاء الفلاحين إلى بيع قسم من أراضيهم لطبقة كبار ملاك الأراضي "الأرستقراطيين". كما ضمت هذه الطبقة أيضاً مستأجري الأراضي، الذين كانوا يستأجرون الأراضي من أصحاب النفوذ ليزرعوها بشكل مستقل، ولكن بسبب فقرهم وصعوبة تأمين مستلزمات الزراعة، وصلوا إلى حدّ الإفلاس، وترك أراضيهم والهرب إلى المدن أو العمل كأجراء^(٣).

كان المزارعون الأحرار يقومون بأعمال زراعية سنوية في الضياع الكبرى بسبب فقدهم لأراضيهم نتيجة الديون والأوضاع المعيشية الصعبة، وقد اضطر أبناء هذه الطبقة للدخول في الخدمة العسكرية في

(1) Plutarch, Les oeuvres Morales & Meslees de plutarque, translates de grec en francais par Jacques A MYOT, Paris: M. de vascosan, 1572, R Paris: Mouton. etc, 1971, p 79.

(٢) وورث، تشارلز، م.ب، الإمبراطورية الرومانية، رمزي عبده جرجس، الإقليم الجنوبي، وزارة الثقافة، ١٩٩٩، ص ١١.

(٣) براستند، جايمس هنري، العصور القديمة، ترجمة، داود قربان، بيروت، المطبعة الأميركية، ٢٠٠٩، ص ٥٦.

الجيش الروماني، كلما دعت الضرورة لذلك لأن أبناء الطبقة الأرستقراطية لا يؤدون الخدمة العسكرية لتمتعهم بامتيازات واسعة^(١).

تعد طبقة الفلاحين من الطبقات الوسطى التي عانت كثيراً من الفقر والظلم والاستغلال، فقد عد الفلاح السوري عاملاً لدى المستأجرين الصغار وتحت إشراف وكيل من الإمبراطورية، ويخضعون لرقابة دقيقة، أضف إلى ذلك أنهم كانوا يعملون أحياناً دون أجر في مواسم الحرث والبذر والحصاد^(٢).

تحتل طبقة الفلاحين الطبقة الوسطى في المجتمع السوري الواقف في الوسط ما بين طبقتي الأحرار والعبودية؛ أي إنهم ليسوا عبيداً بمعنى العبودية، ولم يحظوا بالحرية بالمعنى العام، أي إنهم احتفظوا بحقوقهم، وكانوا بصورة دائمة تحت سيطرة الدائن أو مالك الأرض. ورغم القهر الاجتماعي وتآفف كبار الملاكين منهم إلا أنهم ظلوا محافظين كطبقة اجتماعية على لغتهم التي تكلموها وهي اللغة الآرامية، لذلك وجب على الرومان استخدام المترجمين فأرغموا على التعامل مع السكان المحليين الذين كانوا أقل تأثراً بالثقافة الرومانية، حيث تمسكوا بعاداتهم وتقاليدهم والروابط الأسرية التي تجمعهم، ويبدو ذلك جلياً من خلال اللقى الأثرية التي وجدت في الصفا جنوب شرق دمشق، التي تعود للقرن الميلادية الثالثة الأولى، وتدل على الشعائر والعادات القديمة المتبعة عندهم^(٣).

أما طبقة العتقاء، فقد كانوا يعملون لصالح سادتهم ومالكهم حتى لو امتلكوا أراضي صغيرة أو حرروا، وقد عرفوا تاريخياً باسم "الأحرار العتقاء"، أما الفلاحون المستأجرون والأقنان (Colonus)، فقد عملوا في الأرض، وتقاسموا المحصول مع المالك، وهذا النوع من العلاقات، كان أكثر ربحاً للسادة ملاكي الأراضي من استخدام العبيد أو العتقاء الأحرار^(٤).

ج - طبقة الحرفيين والصناع:

اشتهرت سورية في الفترة الرومانية بورشاتها الحرفية المختلفة والمتنوعة من بناء السفن وصناعة الأسلحة والمنسوجات والزجاج والمجوهرات..... إلخ، وقد أشارت المصادر الأثرية إلى تطور صناعة الخزف والفخار والملابس والأحذية، وساعد في تطور الصناعة في سورية مجموعة من العوامل، منها:

(1) **Inscriptiones Grecques et Latines de la Syrie.** - Publication commence par Louis Jalabert et Rene Mouterde, continue par Claude Mondesert et Jean - Paul Rey Coquais, I - VII. - Edited by J. P. Rey - Coquais. Paris, 1967. P. 302.

(٢) روستوفتزف، ميخائيل، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ص ٣٤٩.

(٣) الشيخ، حسين، دراسات في تاريخ وحضارة اليونان والرومان، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧، ص ٩٨.

(٤) شيفمان، أ.ش، المجتمع السوري القديم، ص ١٥٧ - ١٥٨.

١ - المهارات المكتسبة للحرفيين السوريين.

٢ - الصناعة الموروثة من الأجداد.

٣ - زيادة حاجة المجتمع الروماني للسلع باهظة الثمن من قبل ممثلي الطبقة العليا^(١).

أما بالنسبة للحالة الاجتماعية للحرفيين السوريين، فقد عدّوا من الطبقة المتوسطة والعتقاء، ومن ثم العبيد الذين دفعوا المستحقات لأسيادهم، وأحياناً كان يلجأ الفلاح لممارسة الحرف اليدوية لتحسين دخل الأسرة^(٢).

شغلت طبقة الحرفيين مكانة مهمة في الحياة الاجتماعية للمدن السورية، على الرغم من أن بعض الطبقات الاجتماعية عدّتهم أقل مرتبة من غيرهم، وقد يعود ذلك إلى الظروف المادية الصعبة من جهة، وإلى طبيعة الحرفة التي يختارونها من جهة ثانية، فقد كان الحرفي في معظم الأحيان يختار حرفته؛ تبعاً لظرفه المادي، وبعضهم الآخر يختار الحرفة التي يرغب فيها حتى لو لم تكن ذات مردود مادي جيد^(٣).

سمحت روما للجماعات الكبيرة من العمال في المدن أن يتحدوا تحت أهداف مشتركة، بشرط أن يكون ذلك تحت إشراف الحكومة، وفي الواقع كانت الحكومة الرومانية تبدي في عهودها الأولى الخوف والرغبة من الجمعيات والنقابات على اختلافها، لأنها تعلم أنه من الممكن أن تُستغل مثل هذه النقابات في إحداث التداخل والاضطراب، لذلك كان من الواجب على هذه النقابات أن تعرض قانون رابطتها على السلطة المختصة لتصديقها، علماً أن الطريق لم يكن يسيراً دوماً^(٤).

شجعت الإمبراطورية الرومانية الصانع والحرفيين دون شك من أجل تأمين حاجات الأسر المتزايدة من البضائع والمنتجات السورية، التي كانت في غاية الإتقان والمهارة وهذا إذا دل على شيء، فإنه يدل على مدى مهارة الحرفيين السوريين وعدم قدرة أحد على منافستهم^(٥).

نتيجة للنمو الصناعي السريع في سورية، صنفت الورش على نوعين: الورش الصغيرة التي يعمل بها عدد قليل من الحرفيين، والورش الكبيرة التي يعمل بها عشرات العمال، كورشات بناء السفن، حيث كانت حياة الحرفيين صعبة ومليئة بالمخاوف، غير أن وجود ورشة العمل تضمن وجود دخل ثابت، وغالباً ما كانت عائلة الحرفيين تعيش في غرفة واحدة استناداً إلى العديد من الكتابات المكتشفة على جدران ورش العمل، وقد وجدت في سورية العديد من ورش صناعة الفخار، وحفظت العديد من

(1) Bouchier, E., Syria as a Roman province , P. 187.

(٢) حتّى، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ٣٢٥.

(٣) شيفمان، أ.ش، المجتمع السوري القديم، ص ٨٤.

(٤) ورث، تشارلز، م.ب، الإمبراطورية الرومانية، ص ٨٧.

(٥) عبد الفتاح، سامي، محاضرات في تاريخ مصر في عصري البطالة والرومان، القاهرة، (د. ت) ، ص ١٨٧.

أجزاء هذه المنتجات الفخارية، كما وجدت ورش النحت على الحجارة، ووجد اسم حرفي على لوحة حجرية يعود لعام (١١٣م) تم نقشها بحروف صغيرة "تذكروا يرحاي النحات"، وتم العثور على اسم حرفي آخر على لوحة وجدت في تدمر يعود تاريخها إلى تشرين الثاني عام (١٧٢م) وكتب على اللوحة اسم شادال ابن غابديول ابن موكايمو، ولكن لم تذكر اللوحة نوع حرفته^(١).

أصبح للمدن السورية في القرن الأول الميلادي نقابات للحرفيين، ولهم قواعد وأسس مهنية مشتركة، وضمت هذه النقابات عبادة مشتركة وإله واحد. وحفظت لنا تدمر نقوشاً تثبت وجود نقابات لصانعي الذهب والفضة: كالنقش العائد لسنة ١١٧ م وهو كالتالي: ((هذا تمثال زبيدة ابن سعد ابن تيموشمشا الذي بنى على شرف المجلس وشهد على ذلك الإله يرحبول، عندما كان رئيساً لجماعة الكهنة بعل شهر نيسان ٤٢٨))^(٢). وعلى أساس هذا النقش يمكننا تحليل أعمال نقابات أخرى من هذا النوع، وكذلك تنظيمها الداخلي، فكان على رأس كل نقابة رجل يدعى رب العمل أو الكبير، الذي تولى إدارة وتنظيم جميع مستحقات المشاركين في النقابة، وإذا كان للنقابة إله مقدس، فإنه من المفروض على رب العمل تزويد هذا الإله بالنبيذ وغيره.

وهكذا فإن طبقة الحرفيين السوريين أدوا دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية في سورية في العصر الروماني، فضلاً عن جهودهم في مختلف المجالات، علماً أن ليسوا طبقة بقدر ما هم رواد حرف^(٣).

د - طبقة العبيد:

عدّ علماء الاجتماع أن تجارة العبيد، رافقت التاريخ بكل تقلباته ومراحلها، وانبثق مصطلح العبيد من العبودية التي عُرِفَتْ تاريخياً منذ آواسط الألف الثانية قبل الميلاد. وبدخول قوات بومبي انطاكية سنة (٦٤ق.م) عدّ المؤرخون دخولها بداية عصر جديد في تاريخ سورية والعالم القديم وتبدلاً في حياة العبودية، حيث تفنن مالكوهم في تعذيبهم، وتحويلهم إلى مادة إنتاجية مربحة. وعلى ما يبدو أن الرومان بانتصاراتهم كافة، وجدوا مجتمعاً طبقياً، تشكل منذ زمن بعيد، علماً أن تجارة الرقيق تشكل بحد ذاتها فوائد عدة للطبقات الحاكمة ولاسيما الغزاة، وعدّ تجار الرقيق أن قيام الحروب تشكل المصدر الرئيس

(1) **Corpus Inscriptionum Latinarum**. Edited by Deutsche Akademie der Wissenschaften zu Berlin, Akademie der Wissenschaften der DDR. G. Reimer, 1893. III. 6671.

(2) **Corpus Inscriptionum Semiticarum**, Vol. I, Académie des inscriptions & belles-lettres, Ed. By Reipublicae Typographeo. Paris, 1881. II. 3919.

(٣) الشيخلي، عبد القادر، الوجيز في التاريخ القديم، بغداد، جامعة بغداد، ط١، ١٩٩٠، ص٨٣.

لازدهار تجارتهم، إذ إن نتيجة الحروب الكثيرة التي شهدتها كل من آسيا وإفريقية وأوروبا والغنائم الكثيرة قد حققت مكاسب مادية و بشرية تمثلت فعلياً بالعبيد، وقد كان لهؤلاء العبيد دورٌ مهمٌ في دفع عجلة الاقتصاد خطوات إيجابية، اختلف مردودها من منطقة لأخرى؛ لدرجة أن تجارة العبيد غدت جزءاً من النظام الاجتماعي والاقتصادي الذي كان سائداً في العصور القديمة، ولهذا افتعلت الكثير من الدول الحروب لتحقيق المكاسب، وأهمها الأسرى الذين كانت فوائدهم، (أيد عاملة) ما لم يتم افتداء هؤلاء العبيد حتى لو كان الأسير ينحدر من أسر نبيلة، ومن أهم مصادر تأمين العبيد:

١ - أسرى الحروب والجيش المهزومة التي تلقي السلاح، إذا غزا الرومان أي بلد أو مدينة واستولوا عليها، يؤول كل ما فيها للغالب، حيث يبيعون رجالها ونساءها وأولادها، كما يباع العبيد أو يقتلون جميعاً، أي إن جميع سكان البلد المحتل هو ملكٌ لهم، يتصرفون بهم كما يرغبون. وكانوا يبيعونهم للنخاسين الذين يرافقون الجيش الروماني، وإذا نقلوهم إلى روما يبيعوا بالميزاد العلني، حيث يوجد سوق للرقيق في كل مدينة.

٢- الاسترقاق بسبب الدين، حيث إن كل شخص يستدين مبلغاً من المال، لفترة محددة، ولا يستطيع سداه يحول إلى عبد.

٣- الاسترقاق بسبب الجريمة، إذا امتنع شخص عن الحضور أمام المحاكم أو الكاهن أو امتنع عن أداء الضريبة يصبح رقيقاً. ومن يعاقب بجرم كبير كالقتل يحول إلى عبد^(١).

٤- اليتيم يحول إلى عبد.

٥- القراصنة والنخاسون اللذين يختطفون، واختطفهم الرجال والنساء، و كانوا يعملون على تربية الرقيق وتعليمهم، ثم يعرضونهم للبيع في الأسواق^(٢). وكانت طبقة العبيد أكثر عدداً من الأحرار في العالم الروماني^(٣).

٦- الطفل الذي يسرق من قبل شخص ما يحول إلى عبد.

٧- إذا لم يسجل الروماني على لائحة المواطنين أثناء الإحصاء العام، يتحول إلى رقيق.

٨- المساجين في السجون الرومانية عندما يباعون يصبحون عبيداً.

(١) حمدان، عبد المجيد، "العبيد عند الرومان خلال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد"، مجلة دراسات تاريخية، العددان ١١٧-١١٨، دمشق، ٢٠١٢، ص ٦٠-٦٣.

(٢) غلاب، محمد السيد، الساحل الفينيقي وظهيره في أم الجغرافية والتاريخ، بيروت، دار العلم للملايين، ط ١، ١٩٦٩، ص ٤٤٤ - ٤٤٥.

(٣) السقاف، ألكار، الدين عند الإغريق والرومان والمسيحيين، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ط ١، ٢٠٠٤، ص ٢٦٧.

٩- كل شخص يهرب من الخدمة العسكرية في روما يُعاقب من خلال الحقوق المدنية، ويصبح عبداً.

١٠- تُعدّ السرقة من أسباب الاسترقاق أيضاً.

١١- مَنْ يُحكَم عليه بالإعدام أو الأشغال الشاقة يُحوّل إلى عبد، ويسقط حقه بالتصرف بأمواله، ولا تورث بعد موته.

١٢- إذ تزوج الحرُّ من رقيقة يصبح عبداً، وإذا تزوجت الحرة من رقيق، تفقد حريتها.

١٣- عدم اعتراف الوالد بابنه أو ابنته يحوّلهم إلى عبيد.

لم يكن العبيد السوريون أقل حماسة من غيرهم من أبناء وطنهم في نشر ديانتهم، حيث أدوا دوراً مهماً في نشرها في مرحلة العبودية، التي نقلتهم لأماكن بعيدة عن وطنهم الأم، فقد تمسكوا بمعتقداتهم الموروثة، والدليل على ذلك ثورة العبد السوري إينيوس (Eunus) الذي كان من مواليد مدينة أفامية، التي دارت أحداثها في مدينة إينا (Enna) الواقعة وسط صقلية والقائمة على جبل مرتفع. وقد تمكّن إينيوس من التأثير بسهولة في أعداد هائلة من العبيد من خلال موهبته المزعومة، حيث أصبحوا تابعين له ولإلهه الربّة السورية أتراغتس، حيث كانوا يعتقدون أن ثورتهم مدعومة ومباركة من قبلها. وتعد هذه الثورة المثال الأكثر شهرة لدور العبيد السوريين الذي حملوا آلهتهم المحلية معهم، كونها تمتعت بفضلهم بشعبية كبيرة لدى العبيد^(١).

انتشرت العبودية في سورية في القرون الميلادية الثلاثة الأولى، وأدى العبيد دوراً كبيراً في الحياة العامة، ولاسيما في مجال العمل، فكانوا يشتغلون بالأعمال المنزلية، والتجارية، والصناعية، والزراعية والأعمال اليدوية التي يتقنونها^(٢)، وأُستُخدموا أيضاً في بناء المنازل^(٣). وقد تحمل العبيد ظروفًا سيئة، وتعرضوا لأشد أنواع الظلم، مما جعل حياتهم بائسة معذبة. وقد كان للعبيد لباسهم الخاص للدلالة على عبوديتهم، فلباسهم ممزق من كثرة ضربهم بالسياط، وأجراس معلقة في أقدامهم لمراقبة حركاتهم لكي لا يحاول أي منهم الهرب، وتبدو وجوههم شاحبة كئيبة من كثرة العمل. كما حُرِم العبيد من الحقوق المدنية، وكانوا ملكاً لمالكهم مدى الحياة، وتشمل واجباتهم جميع الأعمال اليدوية والزراعية وبناء الأبنية وخياطة الملابس وإعداد الطعام والحفاظ على نظافة المنزل^(٤).

(1) Dabrowa, Edward., The governors of roman Syria from Augustus to septimiusseveru, Boon, 1998, p 55 - 57.

(٢) جيبون، إدوارد، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية، دار الكتاب العربي، د.ت، ج ١، ص ٩٠.

(3)Heichelheim , F , M., Roman Syria (an economic survey of ancient Rome) , New York, p.164.

(٤) كيندر، هيرمن، تاريخ العالم من البدايات حتى الزمن الحاضر، ترجمة إلياس عبدو الحلو، بيروت، مكتبة الشرقية، ٢٠٠٣، ص ١٢١.

اختار المالكون في كثير من الأحيان، من بين عبيدهم الأكثر ذكاءً ومهارةً، ويتم تعيينه وكيلاً لتنظيم العمل ومراقبة العبيد، والحفاظ على النظام. وعند خروج السيد في تجارة مثلاً، كانت ترافقه حاشية من العبيد تدل على مقدار ثروته. أما زوجات الأسياد، فعادةً ما يكون لهن الكثير من العبدات، لمساعدتهن في أعمال محددة: فيجب على العبد أن تقدم قصات شعر جميلة، وُضع المكياج والمساعدة في انتقاء، وارتداء الأثواب الجميلة وحمل مظلة سيدتها، وكانت النساء الثريات عند خروجهن للمدينة تُحملن على نقالات يحملها حوالي ثمانية عبيد أو أقل، يرتدون ملابس خاصة^(١).

كان هناك العديد من العبيد المتعلمين الذين لديهم ميل للفلسفة والشعر، وكانوا يقرؤون القصائد لأسيادهم، ونتيجة لعدم وجود حقوق للعبيد، و كان من حق المالك قتل اقلن (العبد) كعقاب على هروبه مثلاً، ونادراً ما تصرف مالكو العبيد بإنسانية تجاههم؛ مما جعل حياتهم صعبة جداً، وكان الفرق بين عمل الرقيق والمزارعين الأحرار، هو أن العبد لم يكن مهتماً بتحسين نوعية العمل حيث إنه فقد الرغبة بالعمل، ومع ذلك فقد سعى ملاك العبيد لخلق الظروف الصحية المناسبة من أجل تحسين كفاية العبيد في العمل^(٢).

تحدث كاتو الأكبر عن حياة العبيد : ((يجب ألا يبرد و ألا يجوع)) وتم تخصيص حوالي ٢٨ كغ من القمح للشخص الواحد في الشهر؛ أي بما يعادل رغيفاً ونصفاً في اليوم، ويزودون بالملح والزيت، وأحياناً بالخضار والفواكه. وبطبيعة الحال فإن هذه الحصص تعتمد على نتائج العمل، والعبيد الذين يقومون بأعمال منزلية أقل بكثير من العبيد العاملين في الميدان الزراعي. وخصصت لهم ملابس خاصة للعمل والبيت، والأهم من ذلك كله أن الملابس لا تعيق العبد في العمل، ودافئة في الشتاء بحيث لا يمرض العبد، حتى أنه فتحت متاجر خاصة ملابس العبيد، وتتألف من سترة بأكمام طويلة أو بلا أكمام، عباءة، وأحذية خشبية. وتمت خياطة الملابس من الأصواف الخشنة غير المكلفة، وكانت العلاقة بين العبد والعبدة محدودة، ولا يحق لهم الزواج من دون موافقة المالك ، والموافقة تعتمد على الصفات الشخصية للعبد، ويُحدّد طول العلاقة الزوجية حسب طبيعتها، فإذا كانت هذه العلاقة تنتج خسائر أو مشاكل، وإذا أذنب العبد أو ارتكب أخطاء فيتم حل الزواج وفصل الأسرة^(٣).

(١) عكاشة، علي، اليونان والرومان، ص ٨٩ ، ٩٠.

(2) Wallon, H. A., Histoire de l'esclavage dans l'antiquité. Paris, 1847. Vol. III. p. 578.

(3) Bouchier E., Syria as a Roman province, P. 171 , 172.

وكان أولاد العبيد ملكاً للمالك بشكل مباشر. وكانت العبدات اللاتي ولدن تعدن إلى العمل بعد الولادة في أقرب وقت ممكن. وكان يجلس مع أطفال العبيد امرأة واحدة، يتبع لها جميع الأطفال. وفي وقت لاحق شجّع المالك عبده على إنجاب المزيد من العبيد، لأنها أصبحت مصدراً مربحاً للأسياد. وعلى الرغم من أن المصادر الخارجية للعبودية جاءت نتيجة الحروب وهجمات القراصنة التي أتت بالكثير من الدخل، فقد استعبد المواطنون الأحرار، الذين تراكمت عليهم الديون، وأجبرت الحملات العسكرية المتكررة المزارعين على ترك أراضيهم ومزارعهم، التي دمرت وأحرقت من قبل اللصوص، أو نتيجة للحروب. وقد يضطر بعض الفلاحين لاقتراض مبلغ من المال لإطعام أسرهم نتيجة ظروفهم المعيشية الصعبة، وكلما تأخروا في سداد الديون تراكمت عليهم الفوائد، ومع تزايدها المستمر يصبح هذا الفلاح عبداً للدائن هو وأسرته، كذلك أرضه تدخل في ممتلكات الدائن، كسداد للديون حسب القوانين المفروضة، وهكذا ازدادت عملية استعباد المواطنين الأحرار، وكان يحق للمالك أن يبيع أطفال العبيد لملاك آخرين^(١).
كان هناك إضافة إلى العبودية العبودية الكلاسيكية المعتادة في القرون (١ - ٣م) في سورية، عبودية صغار المنتجين الأحرار، غير أن ظروفها كانت أفضل قليلاً، وكان الفرق بينهم وبين العبيد الكلاسيكيين كبير جداً، وقد اختلفت ظروف احتجازهم قليلاً؛ إذ أتيحت لهم فرصة للعمل والحصول على أموال خاصة، كما كان لهم الحق بالمشاركة في العمليات التجارية؛ وبالتالي فإن وضع هؤلاء يختلف بشكل واضح عن مفهوم الاستعباد "الرق"^(٢)، إذ كان مسموحاً لهم ادخار الأموال، والحصول على ممتلكات، وشراء حريتهم عن طريق إجراء العتق. وبعد عتقهم كان لهم الحق أن يعملوا تجاراً أو أصحاب حرف أو كتبة صغاراً، لكنه بنظر الغالبية عبداً، ولم تفدنا المصادر أن عبداً أصبح سيداً، علماً أن القليل منهم جمع ثروات طائلة^(٣)، ونتيجة للاستغلال والظلم المفرط للعبيد حدثت انتفاضات اجتماعية عديدة؛ مما اضطر الإمبراطور هادريان إلى إصدار قانون يحظر المعاملة السيئة للعبيد وقتلهم، كما أمر بتوقيع عقوبة الإعدام على أي سيد يقتل عبده، وحرّم بيع الصبيان والفتيات. ولعل القانون الذي سنّه هادريان، وعدّه البعض أشبه بمنزلة تكفير له عن زلة ارتكبها في نوبة غضبه عندما ألقى ريشة في وجه خادمه، فذهبت ببصره، فعندما سأل هادريان عبده عما يريد ليعوضه عن خسارته، فأجاب أنه يريد عيناً ثانية^(٤).

(1) Wallon, H, A., Histoire de l'esclavage dans l'antiquité, p. 578 - 579.

(2) Westerman. W. L., The slave systems of Greek and Roman Antiquity. Philadelphia, 1955, P. 123.

(٣) جيبون، ادوارد، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية، ص ٩٠.

(٤) ورث، تشارلز، م.ب، الإمبراطورية الرومانية، ص ٨٧ - ٨٨.

إن الوثائق الكتابية الوحيدة للعبيد في سورية، تعود للتعرفة الجمركية التدمرية عام ١٣٧ ، والوثائق المكتشفة في دورا أوروبوس.

بالنسبة لنص التعرفة الجمركية فقد ذكر العبید فيها كسلعة تابعة لتجارة الترانزيت، و يشير إلى الرسوم التي كان يجب على التجار أن يدفعوها ثمناً لاستيرادها و تصديرها، حيث تختلف أسعار العبید حسب نوعهم (عبید محاربين و عبید عاديين)^(١).

أما الوثائق المكتشفة في دورا أوروبوس فتبين لنا نوعين من العبودية:

أ - العبودية مدى الحياة.

ب - العبودية المؤقتة حتى وفاء الدين المترتب عليه.

ومن الوثائق أيضاً

- وثائق ذكرت عمليات بيع العبید وشرائهم وحالات الطلاق المتبعة عندهم.

- وثيقة تعود لعام (١٨٠م) تصف ليسي بن جبليدور، باع نصف كرم من العنب مع ٢٠ عبداً، وكلفت

الصفقة ٥٠٠ دراهماً. وبغض النظر عن تفاصيل الصفقة، نرى أن سعر العبید جمع مع سعر الكرم.

- وثيقة تعود لعام (٨٧م) تشير إلى أن نيكاتور ابن كسينوقراط قدم إلى تيموناسس ابنة سلوقس، تطلعاً لإعادة هذه الملكية لحماته نتيجة دين لزوجها سابقاً، غير أنه احتفظ لنفسه من هذه الملكية بثلاثة عبید.

- أفادت الوثائق، بأن القوانين المعتمدة بحق العبید تختلف من أمة لأمة، كالوثيقة التي ذكر فيها نقل الأب، وهو غير معروف الاسم، إلى ابنته "أمافيار" ونسلها، فهي عبدة إلى الأبد^(٢).

ثانياً: العادات والتقاليد السائدة في المجتمع السوري أثناء العصر الروماني:

تُقاس الشعوب بما تمتلكه من عادات وتقاليد، وهي ناحية تتفاخر بها الشعوب منذ تكوين المجتمعات، ومما منح الشعوب قيمة تراثها العادات والتقاليد التي تتباهى بها، وتتفاخر على الآخرين بها، غير أن العادات والتقاليد قد تتشابه مع غيرها، فالتشابه محدود، ولا يشمل النواحي كافة، والأقرب للتشابه اللباس والأكل، ورغم هذا التشابه ففيه فوارق محدودة، ومن هذه العادات:

(١) شيفمان، أ، ش، المجتمع السوري القديم، ص ١١٩.

(2) Welles, C. B., Royal Correspondence of the Hellenistic Period, New Haven, 1934. P. 93.

١ - العادات والتقاليد الأسرية:

أ- العائلة:

تعود بعض النقوش والوثائق الأثرية المكتشفة في سورية إلى الفترة الرومانية، وتظهر فيها أوضاع الأسرة السورية، والعادات والتقاليد التي كانت تحكمها، وبشكل خاص في تدمير التي تقدم لنا صورة مثالية للعادات والتقاليد المتوارثة في العائلة من جيل لجيل.

عاشت الأسرة السورية في منزل واحد تحت سلطة الأب، وبعد موت الأب كانت العائلة تنقسم إلى عائلات مستقلة اقتصادياً عن بعضها بعضاً إذا كانت ذات مردود اقتصادي، يضمن لأفرادها الحد الأدنى من العيش، أو تحافظ على وحدتها تحت سلطة أخ واحد أو عدة أخوة. وبشكل عام كان يقف على رأس كل عائلة من العائلات السورية المستقلة اقتصادياً الأب أو الابن الذي كان من الممكن أن يترأس العائلة في حياة أبيه، وهذا مثبت من خلال وثيقة تعود لعام (١٣٩م)، ويظهر فيها أب يُكرم ابنه وذلك بترشيحه لخلافته والاهتمام بشؤون العائلة الاقتصادية والاجتماعية^(١).

تتصف النقوش التدمرية، بأنها تعطي تسلسلاً طويلاً للعائلة الواحدة، ويصل في بعض الأحيان إلى الجد الخامس. وهذا الأمر نفسه وجد في الجنوب السوري في حوران، حيث وجد فيها نقوش لسائلات عائلية تعود للجد العاشر. وكان رب الأسرة يتمتع بسلطة مطلقة على أسرته، ويجب أن يكون له ابن، وإذا حدث لسبب أو لآخر عدم وجوده، كان يحق له أن يعوض ذلك بالتبني، ويكون للابن المتبني كامل الحقوق، فهو يخلف أباه الجديد، ويصبح رب الأسرة. أما الأم فكانت تدير شؤون البيت، في الوقت الذي كان العبيد يقومون بخدمتها، بحكم أنها زوجة رب الأسرة، وهي مصدر الإنجاب وحاملة نسل زوجها، وهي تتولى تربية أبنائها، وتحمل جميع المسؤوليات في تدبير شؤون منزلها، وهي صاحبة الكلمة العليا بعد الأب، وكانت تشارك زوجها في مكانته الاجتماعية من خلال المشاركة في الاحتفالات الدينية والمآدب^(٢).

وما أن يشب الأولاد الذكور حتى يتولاهم أبوهم ويعلمهم الألعاب الرياضية، كالفرسية والمصارعة والقتال والصيد وقواعد النظافة وآداب السلوك والأساطير. وكانوا يتدربون على أساليب الحياة مثل تقديم القرابين وغيرها، وكان الذكور أوفر حظاً من الإناث، حتى في امتلاك أدوات اللعب، فالذكور كانت لديهم

(١) دولي، دونالدر، حضارة روما، ص ٧٦.

(٢) محمود، مراد، تاريخ النساء الفلاسفة، دار الفكر، ٢٠٠٧، ص ٧١.

دمى تمثل الخيول والعربات، ومنازل صغيرة مصنوعة من الفخار أو الحجر أو الطين المحروق، وصفارات ومزامير، أما البنات فكانت لديهم عرائس مصنوعة من الجص أو الفخار^(١). (الشكل ٦ - ٧)

ب- الزواج:

عدّ الزواج ضرورياً لضمان استمرارية العائلة، وكان لا بد من إنجاب ابن يقوم بالمراسيم الدينية. ومن الطبيعي أن يُقبل الرجل على الزواج من أجل الحصول على ذرية صالحة، تقدم لأرواحهم القرايين، بعد وفاتهم لتضمن لهم السعادة في الدار الآخرة^(٢).

كما كان الزواج واجباً من الواجبات التي تفرضها المدينة على كل مواطن، وذلك لأن المدينة كانت بحاجة مستمرة إلى أبناء يحملون السلاح ويؤدون ضريبة الدم^(٣). فالزواج كان واجباً سياسياً تفرضه المدينة على المواطنين، ويؤديه المواطنون عن طيب خاطر، لأن بقاءهم مرتبط ببقاء مدينتهم وفناءهم يعني فناءهم^(٤). ويعد الزواج أيضاً ضرورة اقتصادية لحاجتهم للأبناء (للحماية، للعمل، ولبعض المهام الأخرى التي يفرضها الفلاح أو ابن المدينة، ولاسيما في الحياة الريفية، لذلك فقد أصبح الأبناء مصدراً من مصادر الثروة^(٥))، وضرورة اجتماعية بالنسبة للمرأة، فهو السبيل الوحيد لها للحصول على علاقة جنسية يُقرها الشرف؛ فضلاً عن كونه رابطاً لتقوية العلاقات العائلية^(٦).

أما بالنسبة لعدد الزوجات، فقد ساد نظام الزواج الفردي، الذي يقتصر فيه الرجل على امرأة واحدة. وتقتصر المرأة على رجل واحد، على الرغم من أن تعدد الزوجات كان موجوداً في بلاد فارس، ويعود الفضل في ذلك إلى الملوك السلوقيين الذين امتنعوا عن الاقتداء بجيرانهم في تعدد الزوجات^(٧).

وجد في سورية في الفترة الرومانية دستوراً خاصاً للزواج، حيث كانت عقود الزواج والطلاق غالباً ما يتم حفظها في الأرشيف العام، ففي انطاكية على سبيل المثال كانت قيمة المهر ٥٠٠ دراهم، وكان هذا المبلغ معدلاً وسطياً لابنة مواطن من الطبقة الأرستقراطية. وفي القرنين الثاني والثالث الميلاديين كان يترتب على الزوج أن يقدم لزوجته حصصاً غذائية أسبوعياً تتألف من مكيالين من القمح أو ثلاثة مكيالين من

(١) اسماعيل، علي، أحمد، علي، تاريخ بلاد الشام القديم، ص ٤١٩.

(٢) عباس، عبد الهادي، المرأة والأسرة في حضارات الشعوب وأنظمتها، ج ٢، دمشق، ١٩٨٧، ص ٧٠٩.

(٣) ضريبة الدم: وهي ضريبة عامة تفرض على من يريد الزواج.

(4) Pharnas, P., Sociologie du mariage chez les Romains, 1934, P. 7 - 8.

(٥) ديورانت، ول، قصة الحضارة، مجلد ٣، ج ١، ص ١١٨.

(6) Pharnas, P., Sociologie du mariage chez les Romains, p. 7 , 8.

(7) Bouchier. E., Syria as a Roman province, p. 15 - 16.

الشعير، أو نصف مكيال زيت أو نصف مكيال من الحبوب أو مكيال من التين المجفف أو التمر، أو أي نوع من الفواكه؛ فضلاً عن ذلك عدد من القطع الفضية. وفي كل عيد عليه أن يشتري لها غطاءً لرأسها، وثنياً وحذاءً. أما تعدد الزوجات، فكان يتم في حالات الوفاة أو الطلاق فقط. أما بالنسبة للإرث العائلي، فكان من الممكن أن يأخذ الإرث غير الأبناء كالعم وأبناء العم، كما أن بنات الأخ والأخت يتزوجن بالمرتبة الأولى من أعمامهم وأبناء أعمامهم^(١).

لم يكن هناك سن محددة للزواج؛ وإنما كان رب الأسرة يقرر ما إذا كان الخاضع لسلطته كفءاً من الناحية الجسمانية للزواج، ثم بعد ذلك تم تحديد سن الزواج باثنتي عشرة سنة للبنات، أما الشاب فقد ظل أمر تقدير السن التي تمكنه من الزواج فيها متروكاً لرب الأسرة^(٢).

لم يكن أمر الزواج يخص الطرفين المقبلين على الزواج فقط؛ بل يخص أسرة كل منهما؛ لأن الزواج بنظرهم هو ارتباط بين أسرتين أكثر منه ارتباط بين فردين، فكان رب الأسرة هو من يختار لبناته أزواجهن ولأبنائه زوجاتهم، وهو الذي يجري الخطوبة ويبرم الزواج، ولم يكن يؤخذ رضا الفتى والفتاة في الحساب؛ بل كانت إرادة الآباء كافية لإبرام الزواج^(٣).

ج- الطلاق:

هو وسيلة لإنهاء الرابطة الزوجية، فكان الطلاق نادر الحدوث، غير أنه أخذ في الانتشار منذ القرن الثاني قبل الميلاد، وكان من حق الزوج فقط أن يقرر الطلاق أو عدمه. ومن أسباب الطلاق: أن تقدم الزوجة على دس السم لزوجها، أو ارتكابها جريمة الزنا، أو شرب الخمر أو إقدامها على تسميم أطفاله. وكان على الزوج الذي يريد أن يطلق زوجته أن يعقد مجلساً يضم الذكور من أسرته وأسرته زوجته، ليعرض الأمر عليهم. ويجوز للزوج في حال ارتكاب الزوجة الزنا أن يطلقها دون الحاجة إلى عقد المجلس^(٤).

(١) الدبس، يوسف، تاريخ سورية الديني والدنيوي، مراجعة، مارون رعد، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٨٩٥، ص ٩٨.

(٢) فرج، توفيق حسن، القانون الروماني، بيروت، الدار الجامعية للطباعة والنشر، ١٩٨٥، ص ١٩١، ١٩٢.

(٣) زناتي، محمود سلام، المرأة عند الرومان، الإسكندرية، دار الجامعات المصرية للطباعة والنشر، ١٩٥٨، ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٤) للمزيد انظر: الشناوي، أحمد، عادات الزواج وشعائره، مصر، دار المعارف، ١٩٥٧، ص ١٤٣ - ١٤٨.

د - المساكن:

تدل أشكال المساكن على مدى التطور الاقتصادي والاجتماعي للقرى والمدن في سورية، وقد قسمت إلى: منازل الفقراء ومنازل الميسورين.

كان المجتمع السوري في العصر الروماني يعج بالفقراء الذين يسكنون أكواخاً صغيرة، ومع تطور الحياة وجدت الأبنية ذات الطوابق، وكل طابق مقسم إلى وحدات سكنية.

أما منازل أبناء الريف، فقد كانت مكونة من حجرتين ذات شكل مربع أو مستطيل، وتبنى من الحجر أو الخشب أو الطوب، حسب القدرة الاجتماعية، فالدور الأرضي من البيت كان يستخدم للخيول والماشية والدجاج والطيور ومخازن للغلال والأعلاف، أما الطابق الثاني، فيستخدم لإقامة الأسرة^(١).

مع مرور الوقت أقبل الرومان على الترف والبذخ، فكانوا يتنافسون في استعراض مظاهر ثروتهم فاستبدلوا بعض المساكن الريفية البسيطة بمساكن فسيحة، وبدؤوا ببناء قصور تتألف من العديد من الغرف الصحية والمجهزة بالحمامات ودورات المياه وأنظمة للتدفئة.

أما الطبقة الراقية الأرستقراطية فقد شيدت لنفسها منازل ريفية ضخمة وزينت سقوفها بزخارف من الزجاج الملون ورسوم منحوتة مطعمة بالذهب، ووضع فيها أجمل الأثاث وأغلاء ثمنياً، كما خُصص فيها مكان للمكتبات الخاصة، وقد عرض فيها أجمل المنحوتات. أما إدارة هذه المنازل فقد كانت تحتاج إلى عدد كبير من الخدم المدربين لتلبية احتياجات هذه المنازل وإعداد الولائم الخاصة لهم، وقد كانوا يتقاضون الأجور المرتفعة لذلك. كما أنفقت مبالغ طائلة في الإقطاعات الريفية على إقامة الحدائق الخاصة والحدائق العامة الكبيرة وعلى العناية بالنباتات، والأشجار وزراعتها^(٢).

تألّفت المنازل الريفية الفخمة من طابقين الأول مخصص لمعيشة الأسرة، ويصعد إلى الطابق الثاني بواسطة درج، وخصص هذا الطابق لحجرات النوم، وكانت حجرات المنزل تنفتح على صحن الدار الواسع، وصنعت الأبواب من الحديد أو من الخشب القوي أما النوافذ فكانت على شكل مربعات أو مستطيلات صغيرة من الزجاج مثبتة داخل إطار من الجص، وأغلبها مصنوع من قضبان من الحديد^(٣).

كما بنى الأثرياء بيوتاً لهم في المدن، تكونت من طابق واحد بنيت جدرانها من اللبن، وتغطي بسقوف من الخشب، وأهم عناصر هذه المساكن قاعة كبيرة تتوسط المنزل، وتؤدي إلى عدد من الحجرات

(١) نصحي، إبراهيم، تاريخ الرومان، ج١، ص ٢٣٤.

(٢) إسماعيل، علي، أحمد، علي، تاريخ بلاد الشام، ص ٤٢١.

(٣) دولي، دونالد، حضارة روما، ص ١٧٠.

الصغيرة، وقد استخدمت القاعة الكبرى للأكل والجلوس واستقبال الضيوف، وتوضع فيها تماثيل الآلهة التي ترعى الأسرة^(١).

هـ - التعليم:

كان التعليم الرسمي مقتصرًا على الميسورين القادرين على دفع نفقاته، وكان النبلاء والأثرياء في المدن يرسلون أولادهم إلى مدارس يديرها أشهر المربين، أو يتخذون لأبنائهم مربين خاصين. أما في الريف فقد اقتصر التعليم على أبناء الطبقة الأرستقراطية المحلية من ملاك الأراضي، بينما اقتصر تعليم أبناء العبيد وصغار التجار والفلاحين والصناع على مدى توفير هؤلاء للمال كي يدفعوه لقاء تعليمهم. ومع مرور الزمن ظهر بعض الكرماء الذين كانوا يتبرعون بأموالهم لتعليم الفقراء، ثم أصبحت الدولة تقوم بهذا الدور من خلال الصندوق الذي أسسه الإمبراطور تراجان لتعليم الفقراء في المدارس^(٢).

كانت السن التي يلتحق به الطفل بالمدرسة بين الخامسة والسابعة، أما المرحلة الثانوية فيلتحق التلميذ فيها في سن الحادية عشر أو الثالثة عشر، وقد اقتصر على الذين تسمح لهم مواردهم بالاستفادة من العلوم، ولا سيما دراسة الآداب، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة التعليم العالي، وهو ليس إجبارياً أو إلزامياً، ولا يستمر فيها من الطلاب إلا الأوفر مالا والأكثر طموحاً وحباً للثقافة، ويبدأ الالتحاق بها في سن الخامسة عشرة، وتنتهي في سن العشرين^(٣).

و- اللغة:

تعددت اللغات التي انتشرت في سورية في العصر الروماني، وذلك بتنوع الثقافات والشعوب والحضارات، وضمت كلاً من:

- اللغة الآرامية:

هي لغة سامية شرقية انطلقت مع قيام الحضارة الآرامية في وسط سورية، وهي اللغة التي تكلمت بها القبائل الآرامية وكتبت بها وثائقها، ظهرت أول النصوص المسطرة بها عند بداية الألف الأول قبل الميلاد. وعلى الرغم من زوال الكيان السياسي للآراميين إلا أن لغتهم بقيت منتشرة في أرجاء الشرق القديم^(٤). فقد استخدم الآشوريون اللغة الآرامية للتفاهم بينهم وبين الشعوب الأخرى؛ فضلاً عن استخدام

(١) نصحي، إبراهيم، تاريخ الرومان، ص ٢٣١.

(٢) وروث، أ. ب، تشارلز، الإمبراطورية الرومانية، ص ١٢٠.

(٣) شيفمان، أ. ش، المجتمع السوري القديم، ص ١١٢.

(٤) شاهين، علاء الدين، حضارات بلاد الشام والعراق القديم، القاهرة، دار الفكر، ٢٠٠٧، ص ٧٧.

بعض الآشوريين هذه اللغة في مراسلاتهم الخاصة، إذ عثر في آشور على لوح طيني مكتوب باللغة الآرامية عليه رسالة موجهة من ضابط آشوري إلى آخر. ويتضح من ذلك إلى أن اللغة الآرامية أخذت تحل محل الآشورية تدريجياً^(١).

أصبحت الآرامية بمنزلة اللغة الدولية، التي تكتب بها الرسائل والوثائق، ويخاطب بها القواد والعظماء. كما أن مقومات اللغة الآرامية كانت قد تركزت في بلدان الشرق الأدنى القديم، (بلاد ما بين النهرين وصولاً إلى فلسطين ومصر) قبل سيطرة الأخمينيين عليهم، فلم يكن لهؤلاء كتابة أبجدية خاصة بهم حتى تأسيس الإمبراطورية الفارسية، ولذلك آثر ملوك فارس استخدام اللغة الآرامية ليسهل عليهم إدارة إمبراطوريتهم مترامية الأطراف. ومع احتلال الإسكندر للشرق فرض اللغة اليونانية، كلغة رسمية مكان الآرامية، وبعد موته عام ٣٢٣م تمزقت إمبراطوريته الواسعة إلى ممالك ومنها المملكة السلوقية في سورية، ونتيجة لذلك مرّت اللغة الآرامية في مرحلة صعبة خلال الحكم السلوقي، لاسيما بعد أن أخذت الثقافة اليونانية تفرض نفوذها في منطقة الشرق، فقد أقبل المثقفون على تعلم اللغة اليونانية لمتابعة تحصيلهم العلمي بالإعتماد على المؤلفات اليونانية، ولينالوا مناصب وظيفية في الدولة، وبالرغم من انتشار الثقافة اليونانية، إلا أن اللغة الآرامية سرعان ما عوّضت ما فقدته في البلاد حيث استخدمها التدمريون والأنباط^(٢) حتى العهد المسيحي^(٣).

كانت الآرامية لغة الثقافة السورية المحلية، وقد أطلق الآراميون على أنفسهم اسم السريان بعد اعتناقهم الدين المسيحي؛ لأن الاسم الشعبي القديم صار عندهم عيباً يدل على الكفر^(٤). كانت الآرامية لغة السيد المسيح؛ لذلك انتشرت في سورية والشرق كله، وتعرّزت ونمت، وكانت لغة الحياة والتخاطب والتعليم حتى القرن السابع الميلادي. ورغم هذا الانتشار، فإن استعمالها ظل

(١) أبو عساف، علي، الآراميون تاريخ ولغة وتراث، دار أماني للنشر، ط١٩٨٨م، ص٧٩-٨١.

(٢) الأنباط: (١٥٠ق.م-١٠٦م) مملكة عربية قديمة، قامت في صحراء النقب وسيناء والأردن وأجزاء من شبه الجزيرة العربية. كانت عاصمتهم البتراء في الأردن. فقدت استقلالها في عهد الإمبراطور تراجان. انظر: عباس، احسان، تاريخ دولة الأنباط، دارالشروق، ط١٩٨٧، ص٦٨-٦٩.

(٣) أبو عساف، علي، الآراميون تاريخ ولغة وتراث، ص ٨٤-٨٦.

(٤) عبد التواب، رمضان، قواعد الساميات، مصر، منشورات الخائجي، ١٩٨١، ص١٢١.

مقتصرًا بشكل أساسي على النواحي الدينية، وبعض الطبقات الشعبية والوسطى والدنيا في المناطق الريفية المجاورة للمدن الكبرى^(١).

– اللغة اللاتينية:

كانت اللغة القومية للإمبراطورية الرومانية التي تُعدّ سورية أحدَ أجزائها، لذلك كان انتشارها وتعلمها أمراً ضرورياً، ولابد منه لوحدة الإمبراطورية. وتنتسب هذه اللغة إلى أسرة اللغات الهندو أوروبية، وقد اشتقت اسمها من سهل اللاتيوم حيث توطد نفوذ روما هناك، قبل أن تسيطر على إيطاليا، كما كانت اللغة الرسمية لقيادة الجيش وكتابة الوثائق التشريعية وأحكام القضاء، وقد قام السوريون الطامحون إلى تسلّم وظيفة سياسية أو اقتصادية في الإمبراطورية بشكل عام أو بالولاية بشكل خاص بتعلم هذه اللغة وإتقانها، فضلاً عن اعتمادها لغةً رسميةً في التعليم، وهذا ما أَمَنَ للرومان دوماً حاجاتهم من هؤلاء الموظفين^(٢).

– اللغة الاغريقية:

كان يجب على المثقفين في العصر الروماني من كتاب ومؤرخين ومعلمين تعلم هذه اللغة، للاطلاع على تراث اليونان الغني بالمعارف الثقافية، لذلك فقد تعلمها السوريون وكتبوا بها أعمالهم الأدبية والسياسية والاقتصادية في العصر الروماني. وقد عثر على كتابات في المناطق السورية المختلفة تؤكد ذلك كتابات التعرّفة الجمركية التي نقشت بنودها باللغة اليونانية في عهد الإمبراطور الروماني هادريان عام (١٣٧م)^(٣).

٢ – دور المرأة السورية في الفترة الرومانية:

أدت المرأة السورية أدواراً مختلفة في المجتمع، فهي الأم، ومديرة شؤون المنزل، ومربية الأولاد، وهي الراعية لبيتها وأولادها وحامية لهم، فضلاً عن مشاركتها في المجالات الأخرى خارج المنزل. ولم

(١) دويون، سومر، الآراميون، تعريب، ناظم الجندي، مراجعة، توفيق سليمان، دار أمان، ط٢، ١٩٩٩، ص١٩٨.

(٢) حماد، حسين فهد، موسوعة الآثار التاريخية (حضارات، شعوب، مدن، عصور، حرف، لغات)، الأردن، عمان، دار أسامة، ٢٠٠٣، ص٣٦٥.

(٣) قادوس، عزت زكي حامدة، آثار الوطن العربي في العصرين اليوناني والروماني (القسم الآسيوي)، دار المعرفة، ط٢، ٢٠٠٠، ص٨٩-٩٠.

يكن غريباً في مجتمع أعطى المرأة هذه المكانة الحضارية المهمة أن تظهر سيدات حاكمات قلما يعرف التاريخ مثلهن. ويقول جودفري تورتون في هذا الصدد: " لم يكن سبب اهتمام العالم بالتاريخ الروماني التحول الذي حدث في ذلك التاريخ، ولا السقوط الذريع للعظمة الرومانية فحسب؛ بل بسبب الدور الذي أدته النساء في إدارة شؤون الإمبراطورية، وما ظهر من عبقرية تلك النسوة، فالأسر التي حكمت روما بعد اغتيال كومودوس التي كان أولها أسرة سبتموس سيفيروس، قدمت لروما خمسة أباطرة استغرق حكمهم ثلاثة أجيال، غير أن منجزات تلك الأسرة وما قدمته للإمبراطورية مدينة لأعمال قامت بها أربع نسوة اشتهرت من العائلة المالكة، وهن الأختان جوليا دومنا وجوليا ماسيا وابنتاهما جوليا سيهما وجوليا ماميا، ويدعوهن بالأميرات السوريات ^(١) .

أ - سياسياً:

كان للنساء السوريات أثر كبير في الأوضاع السياسية داخل الإمبراطورية الرومانية عن طريق إحداث انقلاب شامل فيها، وإضفاء الصبغة الشرقية في نواحي الحياة المختلفة، فقد أصبحت الآلهة السورية تعبد من قبل الرومان، ويتبارك بها العامة والخاصة ^(٢) بعد أن أورثت الإمبراطورة جوليا دومنا ذلك لأبنائها ولزوجها الإمبراطور سيفيروس، فوضعت التماثيل الشرقية في المعابد، وأصبح لها التأثير الروحي والديني في الرومان، ثم أخذ الطابع الشرقي بالتوغل التدريجي داخل النظام القيصري من خلال المظاهر الشخصية للإمبراطور الذي أخذ يرتدي التيجان المرصعة بالأحجار الكريمة والذهب ^(٣).

كما أسهمت المرأة السورية أيضاً في امتداد النفوذ العربي إلى قلب السياسة الرومانية، حيث تقلد الكثير من السوريات مناصب مهمة في روما؛ بدءاً من مجلس الشيوخ إلى منصب رئيس الوزراء إلى أعضاء مجلس الحكام والوزراء، وإلى مناصب مفصلية في الجيش، كما شاركت في تشكيل المجلس الاستشاري، ومعظمهن من العالمات والفلاسفة والأدبيات السوريات من سائر المناطق الشرقية لمساعدة الإمبراطور الروماني، وتعيينهن بمناصب رفيعة في الدولة، وبعد ذلك غدت تلك المناصب وقفاً على السوريات في

(١) تورتون، جودفري، أميرات سوريات حكمن روما (١٩٣ - ٢٣٥م)، تحقيق، خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو، دمشق، دار الريم للنشر والتوزيع، ١٩٨٧، ص ١٢٣.

(٢) بابليون، جان، امبراطوريات سوريات، تاريخ فترة التأثير السوري في الإمبراطورية الرومانية، ترجمة يوسف شلب الشام، دمشق، العربي للطباعة، ١٩٨٧، ص ٢٤٥.

(٣) حنّي، فيليب، خمسة آلاف عام من تاريخ الشرق الأدنى، المجلد الأول، بيروت، دار المتحدة للنشر، ط ٢، ١٩٨٢، ص ١٧١.

الإمبراطورية، وكان للمرأة السورية أيضاً تأثيرها في الجيش، إذ اعتمد الرومان على الجنود السوريين، ولاسيما التدمريين في حروبهم الخارجية، لما أظهر هؤلاء من قوة وشجاعة وبراعة في استخدام السلاح، أما من الناحية الدستورية فقد كانوا أعضاء في مجلس السيناتور الروماني، وكان لهم الأثر الأكبر في إصدار القوانين ذات الصلة بالإمبراطورية^(١).

ومن أبرز النساء السوريات اللواتي حاولن تحقيق السلام والأمن والرخاء في الإمبراطورية الرومانية الإمبراطورة جوليا دومنا (الشكل ١٠) وأختها جوليا ماسيا التي كانت أول امرأة تدخل مجلس الشيوخ في روما لتطلع على كل تفاصيل الأوضاع السياسية والاقتصادية والعسكرية فيها. وعندما أيقنت أن المجتمع الروماني لا يقبل فكرة امرأة حاكمة قررت أن تحكم البلاد من وراء رجل، فعينت حفيدها إيلاجابالوس (٢١٨ - ٢٢٢م) إمبراطوراً، وجمعت بيدها السلطات الإدارية كلها، ساعدها في ذلك حفيدها وموافقة مجلس الشيوخ، التي بدأت بالتخلص منه تدريجياً بسبب دوره الكبير في المؤامرات والدسائس عليها^(٢). كما أسهمت المرأة السورية متمثلة بشخصية الملكة زنوبيا في تأسيس إمارة قوية في تدمر وقفت في وجه الإمبراطورية الرومانية، ونافستها في العظمة والفخامة والمكانة، فكان لها هيبتها ومكانتها، وعلاقاتها التجارية مع الحبشة وجزيرة العرب، واستطاعت أيضاً بسط سيطرتها على العديد من البلدان، وأطلقت زنوبيا عليها اسم الإمبراطورية الشرقية؛ لتصبح من أهم الممالك وأقواها في الشرق، حيث امتدت من النيل في مصر إلى مشارف القوقاز. وعندما أحس الرومان بالقوة العسكرية الكامنة للمملكة الشرقية ومركزها، الذي يتوسط الممتلكات الآسيوية، أدركوا خطورتها، وضرورة إعادتها إلى ممتلكاتهم، فحاولوا بشتى الوسائل والسبل، وعندما فشلت المفاوضات معها، تم توجيه جيش قوي، استطاع إخضاعها وأسر ملكتها واقتيادها إلى روما^(٣). وهنا يمكن القول أن المرأة السورية بإمكاناتها العقلية والروحية، قد أسهمت بشكل فاعل في رسم السياسة الرومانية والتحكم بها في أغلب الأحيان^(٤).

ب - دينياً:

شاركت النساء في الحياة الدينية سواءً بصفتهم كمتعبدات أو ضالعات في الدين أو كاهنات، وأسهمت في معظم الشعائر الدينية المحلية (العامة) والخاصة (العائلية) أو الشعائر الكبرى الرسمية

(١) غلف، بورسل، أباطرة و شيوخ رومان من المشرق العربي، دمشق، ط١، ٢٠٠٨، ص٧٦.

(٢) داوود، أحمد، تاريخ سورية الحضاري، ج٤، دار الرأي، ط١، ٢٠٠٦ ص٧٥.

(٣) طلاس، مصطفى، زنوبيا ملكة تدمر، دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٩، ص١٥٩.

(٤) عبده، سمير، التحليل النفسي للعقلية السورية، دمشق، دار حسن ملص للنشر، ط١، ٢٠٠٢، ص٣٢ - ٣٣.

والمفتوحة للعموم، وفي المواكب الجنائزية كنائحات مأجورات إلى جانب ممثلين كانوا يقومون بتمثيل حركات الميت^(١).

تمثلت الديانة عند الرومان في نوعين من العبادات، هما:

النوع الأول: ذو طابع خاص، ويسمى بالعبادات المنزلية أو العائلية، وهو عبارة عن عبادة أرواح الأسلاف، ومقر هذه العبادة الدينية المنزل، ويقوم رب الأسرة بأداء الشعائر الدينية والطقوس الخاصة بها.

النوع الثاني: ذو طابع عام لا يخص أسرة معينة بل المدينة بأسرها، وكان مقر هذه العبادات المعابد العامة. وأهم هذه العبادات عبادة النار المقدسة التي كان مقرها معبد فيستا^(٢).

لم يقتصر دور المرأة في العبادات الخاصة على أداء الطقوس فقط، بل كانت تقف إلى جانب زوجها وتحضه على التمسك بما يجمع الناس عليه في مجال العبادة، حرصاً منها على التزام بيتها وأولادها بما تقره الآلهة، ولهذا تحاشت خروج عصيان ممن حولها ضد الآلهة من جهة، وضد الحكام من جهة أخرى، وهو دور فاعل، أسهم في تأمين الراحة والاستقرار النفسي والاجتماعي لبيتها ولن حولها، وغدت بفضل حكمتها مرجعاً مهماً لمن حولها، وهيأت لهم من خلال الاحتكاك بمن حولها من وافدين جدد، وبتأديتها لدور المتدنية، دأب أولادها على أداء واجبهم الديني، وبالنسبة لدورها في العبادات العامة، فكان محدوداً عن طريق ذلك الفريق من الفتيات العذارى اللواتي يطلق عليهن اسم عذارى الآلهة فستا، وكُنَّ يحرصن على السهر على رعاية النار المقدسة في معبد فستا، وصناعة الحلوى المملحة التي كانت تقدم للآلهة، ومن الأعياد المخصصة للنساء عيد يسمى ماتروناليا، ويمثل بداية العام الروماني حيث تبدأ الطبيعة بالخصوبة، وتبدأ الحفلة علناً في الغابة المقدسة بتضحيات للآلهة، وتنتهي بحفل يقتصر على الأصدقاء، حيث يقدم الأولاد والأصدقاء والخادמות التحيات للنساء، أما الزوج فيكرم ربة البيت بالهدايا^(٣).

ج - اجتماعياً:

أسهمت المرأة بشكل واضح وفاعل في المجتمع الروماني، وأدت دوراً كبيراً في أسرته وعلاقاتها الاجتماعية، فقد كانت تستقبل ضيوف زوجها من أصدقاء ومعارف وتحضر لهم مكان الإقامة والطعام،

(١) جبري، عبد المنعم، المرأة عبر التاريخ البشري، دمشق، دار الأوائل للنشر، ٢٠٠٦، ص ١٤٤.

(٢) يوثيل، آ. بترى، تاريخ الرومان وأدبهم وحضارتهم وآثارهم، ترجمة، يوثيل يوسف عزيز، بغداد، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٧٧، ص ٩٢.

(٣) عباس، عبد الهادي، المرأة والأسرة وحضارات الشعوب وأنظمتها، ص ٧٢٤ - ٧٢٥.

وتحرص على طيب الإقامة عندهم. وقد كانت المرأة المتزوجة تحض زوجها على حضور المسارح، والسرك، والاحتفالات الدينية، والمهرجانات. أما العازبات فكن يجدن في هذه المشاركات الاجتماعية الفرصة الأفضل، لاختيار الزوج المناسب^(١).

كما تولت المرأة مهمة تربية وتعليم أبنائها، على الرغم من وجود المدارس التعليمية المتخصصة، غير أنها ظلت تؤمن أن الاهتمام بالأبناء وتوفير الجو العائلي الصحيح لنمو الطفل، يجعله قوياً في المستقبل وربما يكون مساوياً للمدرسة، وعدم الاتكال على العبيد في تربيتهم^(٢).

وعلى الرغم من المسؤوليات الكبيرة الملقاة على كاهل المرأة، فقد سعت بحكمتها إلى تأمين القيام بمختلف الواجبات الملقاة على عاتقها وعاتق زوجها، ووجدت الوقت المناسب للاهتمام بالأعمال الثقافية، من خلال مشاركتها بتأسيس الأندية الأدبية، وقد برعت في استيعاب التغييرات السياسية والاجتماعية للوافدين (الغزة) الجدد، فكتبت الشعر، وألقت المحاضرات، وأنشأت المعابد، كما تمكنت بعض النساء السوريات اللواتي ينتمين للأسر النبيلة من العمل داخل المحاكم، والمشاركة في فض النزاعات الأسرية الاجتماعية فيها، كما أسهمت أيضاً في مجالس المدن المحلية، وأدت دوراً مميزاً في تمتين العلاقات الاجتماعية، على سبيل المثال: الزيجات بين العائلات الأرستقراطية من أجل الحفاظ على الثروات وزيادتها (٣).

كان للمرأة السورية حقوق في الميراث إلى جانب الرجل، وقد أشارت الوثائق المتعلقة بالميراث من دورا أوروبوس العائدة للفترة الرومانية، أنه تم تقسيم أملاك رب الأسرة بالتساوي بين جميع الإخوة رجالاً ونساءً، مع الحفاظ على إرثها لصالح عائلتها، وهذا يؤكد استقلال المرأة القانوني والاقتصادي، وعزز مكانتها الاجتماعية كأمراة حكيمة وليس امرأة تابعة، إلا بما يضمن لبيتها الاستقرار والأمن والأمان^(٤).

كما يلاحظ انتقال اسم الأب للأبناء والفتيات الذين لديهم، فكانوا جميعاً يحملون ألقاب آبائهم، وليس اسم أمهاتهم. وتشير الدلائل المكتشفة إلى استقلالية المرأة في استخدام ثروتها وباسمها الخاص، فقد تم العثور على بعض المدافن التي تم شراؤها من قبل نساء نبيلات، ولم يرد أي ذكر لاسم الزوج أو اسم الأولاد، كما ورد في النقش الذي يعود لعام (٢٣٧م) ليشيمش بنت أوريليا سميرا، التي حصلت على

(١) زناتي، محمود سلام، المرأة عند الرومان، ص ٢١ - ٢٢.

(٢) قصاب، عبد اللطيف ياسين، المرأة عبر التاريخ، دمشق، ٢٠٠٢، ص ٣٩.

(٣) بابليون، جان، إمبراطورات سوريات، ص ٣٥ - ٤٠.

(٤) شيفمان، أ.ش، المجتمع السوري القديم، ص ١٣٥ - ١٣٦.

جزأين من الجهة الجنوبية لمدفن يوليوس أوريليوس مال، وقد فعلت ذلك لأجل أبنائها الذكور بالدرجة الأولى. وهذا الأمر مكتوب على المدفن "لها ولأبنائها الذكور"^(١).

أما نساء الطبقة العاملة، فقد تركزت أعمالهن في المنازل والأعمال البسيطة الأخرى كحياكة النسيج الذي كان لهن دور كبير في تطويره^(٢)، وهذا ما أكدته النقوش الجنائزية التي تمثل المرأة والآلهة السورية (أتراغاتيس)، وببدها المغزل المستخدم في النسيج^(٣). وأفادت المصادر الأدبية في الفترة الرومانية أن الغزل والنسيج شكلا جزءاً تقليدياً من تعليم المرأة، ولا سيما للمغزل المستخدم في النسيج وبمكانة دينية ورمزية عالية، حيث تحدث لوقيانوس السميساطي عن رمزية المغزل، وأهميته الاقتصادية، والدينية، وقيام المرأة السورية بنسج أغطية الرأس وتطريزها بأسلوب سوري، وتصديره إلى الغرب^(٤).

ظهرت النساء في المنحوتات التدمرية بكامل أناقتهن وتسريحة الشعر الرائعة على النمط الهلنستي، وهي موضة أدخلتها زوجة الإمبراطور الروماني أنطونيوس بيوس (١٣٨ - ١٦١ م)، حيث استخدمت هذه التسريحة في كل المدن السورية مع غطاء الرأس الرقيق الذي يغطي جزءاً من الرأس، كما احتفظت المرأة السورية بالتقاليد الشرقية واللباس المكون من العباءة والحجاب الرقيق والإكليل^(٥) والمجوهرات السورية الشهيرة، وهذا واضح من التماثيل العديدة للنساء السوريات اللواتي يرتدين هذه الأزياء التي اكتشفت في الساحل السوري الفينيقي وفي تدمر وحمص^(٦).

ويؤكد ذلك ما أظهرته منحوتة اكتشفت في مدينة حمص تعود للقرن الثاني الميلادي وتعرض في المتحف الوطني في دمشق، كتمثال امرأة واقفة ترتدي اللباس السوري والمجوهرات والأقراط والقلائد و"بروش" على الصدر والأساور وتصفيفة الشعر الرائعة، وغطاء للرأس (الشكل ٩). في حين يظهر النقش الموجود في متحف حلب امرأة في اللباس السوري، شعرها مفروق في المنتصف، وترتدي المجوهرات وتمسك في يدها مغزلاً^(٧).

(1) Baptiste, Jean., Les Notables De Palmyre. T 163. Beyrouth, 2002. P. 38.

(2) Finlayson, C., The woman of Palmyra, textile workshops and the influence of the silk trade in Roman Syria, USA, 2002. P. 73.

(3) Wiesbaden Drob, K., Textile trade and distribution from the ancient near east, contribution to the study of ancient world cultures, Harrassowitz Verlag, 2014. P. 66.

(٤) السميساطي، لوقيانوس، الآلهة السورية، تعريب، موسى ديب الخوري، دمشق، ط١، ١٩٩٣، ١٨٩.

(٥) الإكليل: هو عبارة عن عصاة للرأس مشغولة إما من أوراق الأشجار أو الأزهار، أو مصنوعة من المعدن على شكل زخارف معدنية ذهبية أو فضية.

(٦) السفان، جلال، أوضاع المرأة الاجتماعية في الحضارات القديمة، دمشق، مطبعة اليازجي، ٢٠٠٤، ص ٧٨.

(7) Skupinska L. I., Omnipotents et omniparens dea Syria, Aspects of her iconography. Zagreb, 2005, P. 383 - 384.

ثالثاً: المهرجانات والاحتفالات في المجتمع السوري أثناء العصر الروماني:

اهتم المجتمع السوري كغيره من المجتمعات الأخرى بالآلهة، ووجدوا أنه من الضروري إقامة الاحتفالات لتلك الآلهة لنيل الرضا، وللحصول على طمأننة المتعبد لها والساجد لعظمتها ولتأكيد عبوديته لها، وما المعابد إلا تفعيل حقيقي للإيمان. وكان أن أي إنسان لن ينال رضا الآلهة إلا بتقديسها وتقديم القرابين والأضاحي لها. وعلى الرغم من أن الثقافة الدينية تطورت وتنوعت، لكنها لم تصل إلى درجة العصيان وعدم تقديس الآلهة. والمجتمع السوري هذا حذو بقية المجتمعات، فأقام الاحتفالات والأعياد الوثنية والمهرجانات الكبرى، التي تقام في الغالب في مركز الدولة وعلى مقربة من الحكام، الذين عدّهم المجتمع أنصاف آلهة. كما أن الاحتفال في المدن الكبرى يحمل رمزية بمعنى أن المجتمع متقبل للواقع، وهي ناحية مهمة جداً للحكام، فالخضوع للآلهة، يعني الخضوع لهم أيضاً، والاحتفالات التي تقام هي تكريم للآلهة، وتحمل أسماء يونانية كـ (Olympia) و (Python) و (Actia)، حيث يقوم مجموعة من الرياضيين المحترفين بالتجول في المدينة من مكان إلى آخر بالاشتراك في تلك الاحتفالات والمهرجانات الوثنية، وقد وجد نقش يدون إنجازات هؤلاء الرياضيين ككتابة اسم ملاكم أو متسابق مشهور، وبفضل نشاطهم في المجالات المسموح بها (العروض التي يتقنها كل منهم) في أنحاء الإمبراطورية، نالوا العديد من الجوائز داخل سورية وخارجها، كالرياضي (Septimius Aurelius) من لاوديكية، وغالباً ما كانت هذه المنافسات تُنقش على العملات، البعض يقول تخليداً للحاكم، غير أنه لا النقوش ولا الدراسات المختصة أفادتنا بنقش تاريخ استلام الحاكم لعرشه، وتم تحميل القضاة والكهنة مسؤولية الإشراف والمراقبة على العملات المحلية، وتظهر النُصب التذكارية للدبة والخنازير البرية والظباء والغزلان وغيرها، أن هناك منافسات متنوعة ومختلفة، معظمها تجسد عملياً بالصيد لولع المجتمعات بالصيد الذي يدل على الرجولة، وربما يلفت أنظار الجميع، لما قام به من مبارزات ميدانية، ولاسيما في موسم الأعياد والمهرجانات، وكان من أهمها:

١ - الأعياد الدينية:

أ - أعياد الإله أدونيس^(١):

(١) أدونيس: يحظى الإله أدونيس برمزية خاصة به، لكثرة المعاني التي يحملها، وهو الإله الذي يبعث بعد موته إثر مهاجمة خنزير بري له، والطقوس المقامة له ترتبط بالفصول (الربيع-الصيف) انظر: ابن ذريل، عدنان، "الآلهة السورية"، الحوليات الأثرية السورية، ج١، مجلد ١٥، دمشق، ١٩٦٥، ص ٥٥-٧٦، ص ٧٦؛ انظر أيضاً: دوسو، رينيه، الديانات السورية القديمة، ترجمة، موسى ديب الخوري، دمشق، الأبجدية للنشر والطباعة، ط١، ١٩٩٦، ص ٣٨ -

أُحتفل بهذا العيد على مراحل، ولعدة أيام، ففي اليوم الأول كان يعلن فيه موت الإله من خلال نحيب النساء الباقيات على الإله اللواتي كن يحملن تماثيله بشكل جثمان ميت ويشيع للدفن، ثم يرمين بها في البحر، وفي اليوم الثاني يتم الاحتفال ببعثه. وقد اختلفت مواعيد الاحتفال بهذا العيد بين مدينة وأخرى، ففي الساحل الفينيقي كان يتم في الربيع، وفي المدن الكبرى كأنطاكية كان يحتفل به في أواخر الصيف^(١).

ب - عيد المشاعل في هيرابوليس (منبج)^(٢):

يصف لوقيانوس السميساطي هذا العيد بأنه أروع الأعياد التي حضرها وأكثرها احتفالية بقوله: «كان العيد يقام عند بداية الربيع، وهناك من يدعوه "بعيد المحرقة"، وفيه يقوم المتعبدون بقطع الأشجار الكبيرة، وينصبونها في ساحة المدينة، ثم يحضرون الماعز والخراف ورؤوساً أخرى من الماشية الحية، ويعلقونها على الأشجار، كما يضيفون إليها الطيور والنسيج وأدوات ذهبية وفضية، فإذا انتهوا من هذه التحضيرات حملوا التماثيل المقدسة وصقوها حول الأشجار، ثم أضرموا النار في المحرقة فلا تلبث أن تضطرم بكل ما فيها. ويحضر هذا الاحتفال جمهور غفير يفد من كل أنحاء سورية، ومن الأقطار المجاورة لها كافة، ويجلب كل شعب تماثيله المقدسة معه»^(٣).

ج - عيد ميّوما:

ميّوما اسم آرامي معناه ميناء، ولقد عُرف اسم ميّوما على أنه مرفأ مدينة غزة، ويُعدُّ هذا العيد من أكثر الأعياد شعبية في التاريخ القديم، وكان يقام في فصل الخريف، وقد وجه الخطيب ليبانيوس الأنطاكي أكثر من مرة انتقادات لهذا العيد واصفاً إيّاه، بأنه عيد مشين، ويجب دفنه، وعدم الاحتفال به، لأن الناس كانوا يقومون فيه بفعل المنكرات، والحقيقة لا يعرف الكثير من التفاصيل المتعلقة بهذا العيد، كمعرفة الإله الذي يقام العيد على شرفه، وقد تضمن العيد عروضاً مسرحية وألعاباً مائية من استحمام

(١) فريزر، جيمس، أدونيس وتموز، تعريب، جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٣، ١٩٨٢م، ص١٥٢-١٥٤.

(٢) هيرابوليس: كانت هذه المدينة مركزاً مهماً من مراكز العبادة الوثنية لثنائي الآلهة بعل وأترغاتيس، وقد احتفظت بمكانتها الدينية في القرنين الميلاديين الأول والثاني، ولكن أخذت الوثنية في التراجع أمام المسيحية في القرن الرابع للميلاد.

(٣) السميساطي، لوقيانوس، الآلهة السورية، ص٤٩ - ٥٢.

وسباحة ، ونشاطات ليلية ، كما تضمن العيد نشاطاً ليلياً فأفروديت^(١) وديونيزوس^(٢) والحب والخمر كان لهما حصة في ذلك العيد^(٣).

وهناك احتفالات أخرى ببقية الآلهة ، غير أنها لم تحظَ بما حظي أدونيس وغيره من قدسية واحترام ، ومن أبرز الآلهة الأخرى :

د - عيد الرحلة المقدسة للإله إيلجابالوس :

هو إله الشمس الذي ازدهرت عبادته في حمص خلال العصر الروماني ، علماً أن للشمس مكانة لدى سكان الشرق. وقد أسهم السوريون في نشر عبادته في الأماكن التي حلّوا فيها كالعبد السوري أونوس الذي حاول مع عبيد صقلية الثائرين في نشر هذه العبادة؛ فضلاً عن أن وصول عدد من الأباطرة السوريين إلى عرش روما أسهم في انتشار عبادته في الإمبراطورية الرومانية ، ووصلت عبادته إلى أوجها في عهد الإمبراطور ماركوس أنطونينوس الذي أطلق عليه معاصروه اسم إيلجابالوس؛ وذلك لأنه كان يشغل منصب كاهن إله الشمس^(٤). ولم يكن لهذا الإله تمثال منحوت كما هو معتاد في معابد الإغريق والرومان ، بل كان معبده يتضمن حجراً أسوداً ضخماً مخروطي الشكل. وقد مارس الإمبراطور إيلجابالوس في مدينة روما الطقوس نفسها التي كانت تمارس في مدينة إيميسا(حمص) حول عبادة إله الشمس الحمصي ، لذلك قام ببناء معبد على البلاتين بالقرب من قصره ، وشيد معبداً ثانياً للإله في حدائق ضواحي الإمبراطورية. وفي منتصف الصيف من كل سنة ، يُنقل الحجر المقدس على عربة تجرها ستة أحصنة بيضاء مزينة بألجمة من الذهب والبلاتين إلى معبده في الضواحي ضمن احتفالات رسمية. وكان الإمبراطور نفسه يسير أمام العربة ، أما عامة الشعب فالبعض منهم يركض على طرفي الطريق يحملون المشاعل ، والبعض الآخر يرمون الأزهار

(١) افروديت، هي إلهة الحب والجمال في الأساطير اليونانية التي تروي أنها ولدت من زبد البحر، وظهرت في القرب من قبرص. انظر: مصطفى، ممدوح، السايح، إبراهيم، تاريخ اليونان، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٨-١٩٩٩، ص٧٦.

(٢) ديونيزوس: هو إله الخمر والكروم عند الإغريق القدماء، وهو من أشهر رموز الميثولوجيا الإغريقية، ارتبط اسمه بمدينة طيبة. انظر: مصطفى، ممدوح، السايح، إبراهيم، تاريخ اليونان، ص٧٥.

(٣) شوفان، بيير، أواخر الوثنيين، تعريب، سلمان حروفوش، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٧م، ص٤٠٤-٤٠٥.

(٤) إلهام، فرانتس، إله الشمس الحمصي والديانات الشرقية في الإمبراطورية الرومانية، تعريب، إيرنيا داوود، مراجعة، فراس السواح، دمشق، دار المنارة، ط١، ١٩٩٠، ص٣٩ - ٤٠.

على طول الطريق. وكان على الجنود أن يرافقوا الإله في رحلته، وما أن يصل إلى مقره حتى تذبح الأضاحي وتقام الاحتفالات^(١).

٢- المعابد:

كانت المعابد مقراً لإقامة الآلهة والكهنة، ومركزاً للعبادات والأعياد، وقد سيطر رجال الدين على معظم نواحي الحياة، وذلك بموجب سلطتهم الدينية التي ألقت بظلالها على كل شيء في الحياة تقريباً، حيث تحكمت بالمقدرات الاقتصادية الكبيرة للبلاد، وأدت دوراً مهماً في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية أيضاً، وكانت المعابد الكبرى كمعابد دمشق وبعبك وحمص تتمتع باستقلال مالي كبير، وتوجد حول المعبد ضياع كبيرة يسكنها مزارعون وحرفيون يخضعون لضرائب يقدمونها للمعبد. كما كانت المذابح العنصر الأساسي في المعابد الذي لا غنى عنه، وقد عثر في مختلف المعابد السورية على نوعين من المذابح: المذابح المعدة لنحر الأضاحي وحرقتها، والمذابح النذرية^(٢).

أدت بعض المعابد دوراً مهماً في تجارة العبيد. أما في الحياة اليومية فقد برز دورها كمتصدرة لموزعي اللحوم وغيرها من المواد الغذائية، وكانت صاحبة أملاك واسعة، حتى أن خزينة معبد الإله بل في تدمر سكنت نقوداً خاصة بها للتداول المحلي^(٣).

على الرغم من أن السلطات الرومانية عملت على تجريد الملوك الكهنة من قوتهم السياسية في حمص وجبيل وأديسيا وهيرابوليس، غير أنهم احتفظوا ببعض السيطرة، ولاسيما عندما يتم استشارة الوحي في مراكز العبادة حول أمر يتعلق بالقرارات السياسية، إلا أن ظهور الديانة المسيحية في القرن الأول الميلادي، شكل منعطفاً مهماً في حياة هذه المعابد، ولاسيما في سورية؛ لأنها كانت مهداً للديانة المسيحية، ومنها انطلق المبشرون بالدين الجديد إلى أرجاء المعمورة المختلفة. واتخذ الصراع الوثني المسيحي شكلاً عنيفاً، عانى فيه المتعبدون الويلات، وأصبحت المنطقة تعيش مرحلة غليان تمخض عنه

(١) إلتهايم، فرانتس، إله الشمس الحمصي والديانات الشرقية في الإمبراطورية الرومانية، ص ١٢٤.

(٢) هيروسن، بطرس، التأثير السوري في الإمبراطورية الرومانية، ترجمة، جميل درغام، دمشق، دار العربي للترجمة والنشر، ط ٢، ١٩٩٧، ص ٢٥٦.

(٣) بتري. أ، مدخل إلى تاريخ الرومان وآدابهم وآثارهم، تحقيق يوثيل يوسف عزيز، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٧٥، ص ١١٠.

انتصار الديانة المسيحية، وحدوث تحولات جذرية على الأصعدة الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية كافة^(١).

٣ - طقوس العبادة:

أ - الاغتسال والطهارة:

كان الاغتسال والطهارة شرط أساسي قبل القيام بأي طقس تعبدي في سورية منذ القدم، وكانت تغسل الأيدي والوجوه، ويتم التطهر الذي لا يشمل الجسد فقط؛ بل يجب تنظيف غرف المنازل أيضاً، وهناك أنواع من الاغتسال الهدف منها الوقاية من الأمراض، كما أن قراءة الصلوات والأدعية على الماء قبل استخدامه، يساعد على إبعاد الشياطين^(٢).

ويتضح من أسطورة "أقهاث الأوغاريتية"^(٣) أن الإله إيل أمر بطل الملحمة بكيفية تقديم القرابين، وكان من بين الإجراءات الأولية لتقديمه النظافة الطقسية كالإغتسال والتطهر كرش الماء: "اغتسل وتدهن بالدم، اغسل راحتيك ورسغيك، اغسل يديك من الأصابع وحتى الكتف"^(٤). ويروي لوقيانوس أنه إذا رأى أحداً ميتاً فكان يجب عليه التطهر قبل دخول المعبد، وأنه إذا قدم أحداً للمشاركة في الاحتفالات المقامة في المدينة وجب عليه الاغتسال بالماء البارد، كما أن لمس بعض الحيوانات المقدسة كان يتطلب التطهر^(٥). وبذلك يكون كل من الاغتسال والتطهر والنظافة الشخصية من الأركان الأساسية في حياة المتعبدین في سورية على امتداد العصور المتلاحقة سواء كان للقيام بالصلوات أو للمشاركة بالاحتفالات أو لتقديم

(١) كرافتشوك، ألكسندر، الوثنية والمسيحية، تعريب، كبرو لحدو، دمشق، دار الحصاد، ط١، ١٩٩٦، ص ٨٩.

(٢) ميديكو، ه.ي. ديل، اللآلئ من النصوص الكنعانية، تعريب، مفيد عرنوق، بيروت، دارأمواج للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٨٩م، ص ٤٩-٥٠.

(٣) هي ملحمة من النصوص الأدبية في أوغاريت تعود إلى الألف الثانية قبل الميلاد، وهي كباقي الملاحم الكلاسيكية الأكثر شهرة في ملاحم الشرق القديم، وإن الأبطال الرئيسين فيها، هم أشخاص بشريون؛ علماً أن الآلهة تؤدي دوراً مهماً في أحداث الملحمة، كتبت نصوصها على ألواح من الطين بالخط الأبجدي المسماري وباللغة الأوغاريتية. للمزيد: السواح، فراس، ملحمة أقهاث الأوغاريتية (نموذج في الميثولوجية المقارنة)، بيروت، دار صادر، ط٣، ٢٠١٣، ص ١٨٧.

(٤) شيفمان، أ.ش، ثقافة أوغاريت، تعريب، حسان إسحاق، دمشق، الأبجدية للنشر، ط١، ١٩٨٨م، ص ٨٦.

(٥) السميساطي، لوقيانوس، الآلهة السورية، ص ٥٣-٥٤.

الأضاحي. ولذلك كان الماء موجود في كافة المعابد السورية بأي شكل من الاشكال سواء آبار أو خزانات أو أحواض^(١).

ب - الصلوات:

تعد الصلاة للإله في تدمير من العناصر الأساسية في التعبد، وكان يشترط الاغتسال قبل تأديتها، وقد شملت الدعوات والابتهالات للإله. وتبدأ الصلاة عادة بعرض الحالة الحاضرة (الصلاة بحالة الوعي)، ثم يأتي تعداد الصفات الإلهية، مع الإشارة إلى حالة التضرع، وتتركز الدعوات على إنهاء المصائب وعودة الازدهار والبعث، وكان على المصلي أن يرفع عينيه إلى السماء وهو واقف، ثم يركع، وأخيراً يرتمي على الأرض، ويبدأ بالبكاء والنواح ويشتم الآلهة الأخرى المعادين حتى يستجيب له الإله بعلى^(٢).

يمكن التمييز بين الصلوات وفق مبدئين، الأول من حيث الزمان، فهناك صلوات تقام في الأيام العادية أو أيام الأحداث الطارئة، أو أيام الأعياد، والثاني من حيث من ينفذها، فهي إما فردية يقوم بها المتعبدون، أو جماعية لرد مصيبة معينة، أو قد ينفذها الكهنة، وهنا يمكن ملاحظة الفرق بين صلاة الكهنة وصلاة المتعبدين أنفسهم، فصلاة الأفراد تضمنت الركوع ثم تلاوة الدعوات، في حين صلاة الكهنة تحتاج إلى مشقة أكبر، كالضجة التي كان كهنة هيرا بوليس يحدثونها في صلاتهم بضربهم على بعض الأواني المعدنية. ويبدو أن صلوات الكهنة وتضرعاتهم، كانت مكان ثقة المتعبدين الذين كانوا يبذلون الأموال لقاء رفع دعواتهم في أثناء صلاة الكهنة^(٣).

ج - النذور والأضاحي:

شكلت النذور والقرايين والتقدمات النذرية ركناً أساسياً في طقوس العبادة في سورية في العصور المختلفة؛ لأنها كانت وسيلة مهمة للتقرب من الآلهة وإرضائها، وقد وجدت مذابح مرتفعة في بعض المعابد السورية، وذلك حتى يتمكن أكبر قدر من المتعبدين من رؤية الطقوس؛ فضلاً عن أنه كان يعتقد، أن الارتفاع يساعد على التقرب من الآلهة في أثناء ممارسة أي طقس^(٤). ويمكن تصنيف النذور والقرايين والأضاحي وفق ثلاثة أنواع، هي:

- الخبز والبخور:

(١) دنتزر، جان ماري وغافليكوفسكي، ميشيل، المعبد السوري، تعريب، موسى ديب الخوري، دمشق، دار الأبجدية، ط١٩٩٦، ١، ص٣١.

(٢) زودن، ف.فون، مدخل إلى حضارات الشرق القديم، ترجمة، فاروق إسماعيل، ط٢، ٢٠٠٥، ص١٣١.

(٣) مونبيه، ماريو، الآلهة السورية، تعريب، موسى الخوري، ط٢٠١٩٩٢، ص١٣٨.

(٤) دنتزر، جان ماري وغافليكوفسكي، ميشيل، المعبد السوري، ص٢٥.

ذكر فليون الجبيلي أن الخبز والخمر كانا من القرابين التي قدمها البشر الأوائل للآلهة^(١).

وهناك من يقدم القمح والذرة والخمر، وكان على سكان الريف أن يقدموا الألبان والفواكه والزيوت والعسل، وكان البخور يحظى بأهمية كبيرة في الطقوس، وهذا ما تدل عليه النقوش التي تصور الكهنة أو المتعبدين في وضعية حرق البخور أمام المذابح، حيث كان الكاهن يضع حبات البخور في لهب المحرقة، ثم يسكب الزيت من أبريق^(٢).

– التقديمات النذرية:

يعد صنع التماثيل وتقديمها للمعابد طقساً من طقوس التقديمات والنذور والهدايا، فضلاً عن تقديم المذابح النذرية، فلقد كانت المذابح هي العنصر الأساسي الذي لاغنى عنه في المعابد، وقد عثر في مختلف المعابد في سورية على نوعين من المذابح، منها: المذابح المعدة لنحر الأضاحي وحرقها، ومنها المذابح النذرية، التي كانت أكثر أشكال النذر شيوعاً، يقدمها المتعبدون كشكر للإله ومن أجل حمايتهم وحماية أسرهم. كما يمكن تقديم تماثيل الآلهة كهدايا لتزيين المعابد، وقد وجد في عين جوج قرب هليوبوليس (بعلبك) تماثيل كان يقدمها المتعبدون^(٣).

– الأضاحي:

يُعدّ ذبح الأضاحي من أهم الطقوس التي مورست لإرضاء الآلهة، وكان يتم في الأعياد الدينية، أو في الحالات الطارئة التي تستدعي إرضاء الآلهة.

أما في مراكز العبادة الكبيرة، فكانت الأضاحي تقدم يومياً للآلهة، ويمكن التمييز بين نوعين من الأضاحي:

أ – الأضاحي الحيوانية والطيور، كانت تقدم كنوع من الوليمة للإله، وكانت الأعياد من أهم المناسبات التي تقدم فيها الأضاحي الحيوانية.

ب – أضاحي من البشر، حيث تقدم ضحايا من البشر في أثناء حدوث الكوارث الكبرى؛ لأنها تعد أعظم قربان يمكن أن يقدمه الإنسان للآلهة^(٤).

(١) الجبيلي، فليون: التاريخ الفينيقي، ص ٢٩.

(٢) دوسو، رنيه، الديانات السورية القديمة، بيروت، دار صادر، ط ٢، ١٩٨٤، ص ١٥٨، ص ٨٦.

(٣) سيرغ، هنري: آلهة الثلاث الشمسي بعلبك وهياكلها، تعريب، موسى ديب الخوري، الأبجدية للنشر، ط ١،

١٩٩٦، ص ٢٨.

(٤) بشور، وديع، الميثولوجية السورية، ص ١١٦.

ذكر لوقيانوس السميساطي، أنه في أثناء الأعياد في مدينة هيرابوليس كان الناس يضعون أطفالهم في كيس، ويلقون بهم من أعلى مداخل معبد المدينة، وهم يشتمونهم، قائلين بأنهم ليسوا أطفالاً بل ثيراناً^(١).

٤ - الدفن ومعتقدات ما بعد الموت:

اعتقد السوريون بوجود عالم آخر بعد الموت، وبقي هذا الاعتقاد سائداً في العصر الروماني، وتأتي أفضل الأمثلة للدفن في سورية من مدينة تدمر التي كانت صناعة التجهيز للحياة الأخرى رائجة، فكان هناك من تخصص للقيام بهذا الأمر، حيث يهتمون بالموكب ومن ثم الدفن، وتجهيز القبور بالشواهد والندب، واللمم وشق الأثواب، وعرض الميت على الأهل والأصدقاء. أما أبرز مظاهر تكريم الموتى بتدمر، فكانت الوليمة الجنائزية، حيث يشترك الأهل بتناول طعام معين، وتوضع الزهور أمام القبور^(٢).

كان لكل أسرة تدمرية مدفناتها الخاص، وكانت تنحت التماثيل النصفية للموتى على شهادات القبور، وفي صدر المقابر يوجد السرير الجنائزي الذي يضم رب الأسرة ومعه أفراد أسرته الذين كانوا يرتدون أغلى الملابس. أما النساء فقد تزينن بالحلي، وهن جميعاً فرحين بالحياة الأبدية^(٣). (الشكل ٨)

٥ - وسائل الترفيه:

لم تكتمل الحياة الاجتماعية في المدن الرومانية إلا بوجود المرافق الترفيهية، وكان يقال إن الخبز والتسلية هي ما كان يربط الإمبراطور بشعبه؛ أي تأمين الغذاء وأماكن اللهو وإقامة الاستعراضات الفنية، وبناء الحمامات التي استعاض عنها الأباطرة ببناء ميادين الصيد والمصارعة الدموية التي كان بعض الرومان يكرهون مشاهدتها.

أ - الحمامات:

عُدَّت الحمامات في الحضارة الرومانية وسيلة ترفهية، تزيل عن الإنسان متاعب الحياة وعيئها، ولهذا انتشرت الحمامات الخاصة والعامة لأصحاب الطبقات الراقية وكبار التجار والسماصرة ومن شابههم في المستوى الاقتصادي، التي اعتادوا بالتردد إليها. وقد جرت العادة أن يأخذ المعماري موقعاً استراتيجياً

(١) السميساطي، لوقيانوس، الآلهة السورية، ص ٥٥.

(٢) جانيف، محمد، "إشكالية التفسير" مجلة دراسات تاريخية، عدد ٧٧ - ٧٨، دمشق ٢٠٠٢، ص ١١؛ انظر

أيضاً: البني عدنان، تدمر والتدمريون، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٧م، ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٣) زهدي، بشير، "لمحة عن الحلي الذهبية القديمة وروائعها"، الحوليات الأثرية السورية، دمشق، مجلد ١٣،

١٩٦٣، ص ٧١-٩٨، ص ٧٧.

بالنسبة لمكان بناء الحمام مراعيًا تخطيط المدينة، وقد حظيت الحمامات الاهتمام الأكبر في البناء نظراً لتعدد استعمالاتها، فقد عدت في ذلك الزمن بمنزلة الأندية الاجتماعية، لما توفره من الراحة لمن يقصدها، فقد كان الناس يذهبون إليها مساءً بعد الانتهاء من أعمالهم، بقصد الاستحمام والترفيه وسماع الأخبار وممارسة الألعاب الرياضية وغيرها^(١).

أنفقت الدولة الكثير لتجهيز هذه الحمامات، فقد كانت مزخرفة بالفسيفساء ومزينة بأجمل التماثيل الرخامية؛ فضلاً عن تأمين ما تحتاجه من مواد أولية للاستحمام كالزيت والوقود والماء والعمال مقابل مبلغ زهيد يدفعه الزائر لقاء استخدامها، وقد اقتبس الرومان تقانة حمامات البخار، وتقانات مزج المياه الباردة والدافئة من الإغريق في آخر عهد جمهوريتهم، وكانت هذه الحمامات في حوالي القرنين الثاني والثالث في روما تدعى "بالنيو" (Balneo). وعلى الرغم من محاولات القيصرية منع الحمامات المختلطة، غير أن ذلك لم يؤثر في انتشارها وتكاثرها؛ لكونها تجارة رابحة، وكانت النساء تدفع أكثر من الرجال من أجل دخول هذه الحمامات. أما الأطفال فلم يدفعوا شيئاً، وهناك بعض الناس من كان يُفرط في الاغتسال حيث يغتسل لأكثر من خمس مرات في اليوم، وقد وجد في هذه الحمامات غرف خاصة لممارسة البغاء وإرضاء شهوات النساء والرجال؛ الأمر الذي أدى إلى تفشي الزنا، والعديد من الممارسات الجنسية الإباحية والشاذة كاللواط والسحاق... الخ^(٢).

عدت عملية بناء الحمامات في الأقاليم الجديدة بمنزلة نوع من أنواع فرض السيطرة على الأقاليم (الرومنة) ولا يوجد ما يشابهها أو يوازيها خارج العالم الروماني، حيث وجد في المدن الرومانية نوعان من الحمامات: الحمامات العامة التي تصلح للجميع، والحمامات الخاصة لبعض الأفراد كأعضاء مجلس الشيوخ والأغنياء الذين كانوا يخافون من الذهاب للحمامات العامة بعد حادثة اغتيال أحد أعضاء مجلس الشيوخ في الحمام، أضف إلى ذلك استمتاعهم بالرعاية الخاصة من قبل خدمهم، حيث كانت الحمامات في القرنين الأول والثاني الميلاديين أكثر مساحة وفخامة، كحمامات كركالا^(٣)، وقد أعطي الحمام اسماً جديداً وهو (Thermae) بدلاً من (Balneo)^(٤).

(١) بن عبد الله، زهية، "الحمامات في العهد الروماني"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ١٨، ٢٠١٥، ص ٩٢.

(1) Delaine, J., Benefaction and renewal bath building in Roman Italy, Roman bath and bathing: Journal of Roman Archaeology. 1992, P. 67.

(٣) كراكالا: ولد في ليون (فرنسا) عام ١٨٨م، اسمه الأصلي ماركوس أوريليوس أنطونيوس، ولقب فيما بعد بكاراكالا نسبة إلى العبادة التي كان يلبسها، اشتهر بإصلاحاته التشريعية، وعندما تولى العرش الروماني أصدر مرسومه الشهير عام ٢١٢م

كانت الحمامات في سورية مشابهة للحمامات الإمبراطورية، فقد وجدت حمامات فخمة من الطراز الإمبراطوري وحمامات عامة متواضعة. كما تتشابه الحمامات الرومانية من حيث المخطط الأساسي المكون من غرف متتابعة وأحواض ماء وبرك ونظام تدفئة مركزية ونظام لجر الماء، وكان الحمام قائماً على مبدأ الانتقال من البارد إلى الدافئ فالساخن، حيث كانت درجة حرارة الحمام الدافئ والساخن تعتمد على المناخ الخارجي، ففي فصل الصيف يجب أن تكون حرارة الحمام الدافئ نفس درجة حرارة الخارج، ويعتمد ذلك على فتحات تهوية، أما الساخن فيجب أن تزيد الحرارة على خمس درجات من الدافئ، ويعتمد على فعالية المرجل، أما في الشتاء، فيجب أن تزيد درجة حرارة الماء على (٣٠) درجة^(١). ويتألف الحمام من:

١ - المبنى الأساسي الذي يقع وسط الحمام، ويضم:

-صالة خلع الملابس.

-الصالة الباردة.

-الصالة الفاترة.

-الصالة الساخنة.

-الفرن.

-البهو.

-المرحاض.

-غرف التدليك.

٢ - فناء كبير يحيط بالمبنى الأساسي، وفيه أشجار وتماثيل ونافورات لإيجاد تكامل وتفاعل بين الحمام والطبيعة المحيطة به.

٣ - مبانٍ محيطة بالحديقة تحتوي على قاعات وخزان للماء.

الخاص بحقوق المواطنة. للمزيد: الشهابي، قتيبة، هنا بدأت الحضارة، دمشق، الأبجدية للنشر، ط١، ١٩٨٨، ص١٩٨.

(1) Bruun, Ownership of bath in Rome and the evidence from lead pipe installations, Roman bath and bathing , Journal of Roman Archaeology. first international, 1991, part 1, p. 75 - 83.

(2) Blyth P. H., The consumption and cost of fuel in hypocaust baths, Roman bath and bathing in: Journal of Roman Archaeology First international 1992, p. 90.

٤ - سور يحيط بالحمّام يضم أروقة ومحلات تجارية وحجرات خصصت للخدم الذين يعملون في الحمّام. وكانت تغطى الحمّامات بقباب تحتوي أحياناً على أشكال أسطوانية للإضاءة وسهولة تصاعد البخار، وأيضاً لتحقيق الضغط على الجدران الحاملة للقبة. أما الجدران فكانت بمنزلة معارض فنية للرسومات والموزاييك، وكان الهدف من ذلك عزله عن الوسط الخارجي ومؤثراته^(١).

وجد في كل مدينة من المدن السورية أكثر من حمّام، ويعتمد ذلك على مدى توفر المياه، فاستخدمت لذلك تقنيات معقدة لتأمين المياه، وإنشاء قنوات ضخمة لجرها من مناطق بعيدة، وكذلك كان هناك تقنيات لصرف الماء وتسخين الحمّام من خلال بناء الأرضيات المرفوعة التي تسمح للهواء الحار القادم من المواقد بالمرور فيها، وفي الوقت نفسه تعمل هذه المواقد على تسخين الماء الخاص بالاستحمام، وقد استخدم السوريون الحمّامات للراحة والترفيه واللقاءات الاجتماعية، ومناقشة بعض الشؤون العامة والخاصة، وألحقت بالحمّامات مرافق أخرى كالحدايق والمكتبات والصالات الرياضية والمسارح الكبرى. ومن أشهر الحمّامات السورية في العصر الروماني حمّامات بصرى حيث عثر على ثلاثة حمّامات: الحمّامات الجنوبية المبنية من الحجارة البازلتية، وحمّام السوق الذي تميز بأحواضه الواسعة البيضوية، والحمّام الخاص للعسكر الذي كان مخصص للفيلق المقيم في بصرى، ولم يبق منه سوى صالة واحدة مسقوفة^(٢).

كذلك الحمّامات في شهباء (فيليبوبوليس) شمال السويداء (١٩ كم)، في الطرف الشرقي من المدينة القديمة، وكانت تتألف من ثلاثة أقسام رئيسية: البارد، والفاتر، والساخن، وكانت تجلب المياه إليها من قرية الطيبة الواقعة على بعد ١١ كم من المدينة، وتوزع بواسطة قنوات فخارية إلى قلب جدرانها، وكذلك حمّامات تدمر ودورا أوربوس والرصافة وغيرها^(٣).

ب - وسائل ترفيهية أخرى:

وجدت وسائل ترفيهية أخرى تنوعت بين الريف والمدينة، وشاركت فيها طبقات المجتمع كافة، وكانت أنواع اللهو في المدن المتأثرة بالحضارة الهلينية أو الرومانية وفي المدن الساحلية، وهي من النوع

(١) عبد الجواد، توفيق أحمد، تاريخ العمارة والفنون في العصور الأولى، ج ١، ط ٢، ١٩٧٠، ص ٣٢٥.

(٢) المقداد، محمد رياض، "حمّامات بصرى في العهد الروماني والملوكي"، الحوليات الأثرية السورية، وزارة الثقافة،

المديرية العامة للآثار والمتاحف، مجلد ٤١، دمشق، ١٩٩٧، الصفحات (١٣٩ - ١٤٢)، ص ١٣٩-١٤٠.

(٣) جبلي، جورج، ن، حمّامات السويداء في العصر الروماني، مجلة آفاق المعرفة، العدد ٦٣٩، ٢٠٠٦، ص ١٧٢.

اليوناني والروماني العادي كالمصارعة وسباق العربات والمباريات الموسيقية والتمثيلية المسرحية^(١)، وتتواجد آثار المدرجات والمسارح وحلقات السيرك في المدن الكبرى^(٢)، فقد كانت انطاكية مدينة للابتهاج والمتعة والمسارح وحلقات السباق المزودة بأحواض سباحة، ولم تكن باقي المدن بعيدة عن هذه الأجواء، فقد بنيت فيها المسارح والحمامات والمدرجات بأيدي السوريين من أجل الجنود الرومان^(٣).

كان هناك أيضاً عروض الوحوش الكاسرة أو سباق العربات أو مباريات المجالدين، والكثير من المباريات والمشاهد الدموية، حيث يلقي العبد أو الأسير المسيحي للوحوش في الحلبة من دون أن يكون لذلك أي تأثير في مشاعر الجماهير المشاهدة أو الأباطرة، وإذا كانت الإنسانية قد انتفتت، فمردها التكرار وإلحاق التهم بهم؛ إرضاء لمشاعر المشاهدين، وبحسب ما ذكر محمد محفل في جلساته التلفزيونية والعلمية أن التهم لم ترمَ عليهم جُزافاً؛ بل كانت تستنبط من الأساطير الدينية التي لا تتيح للمشاهد التفكير بصحتها، واستمرت هذه المباريات الدموية المثيرة قروناً عدة رغم أصوات الاحتجاجات التي كانت تعلو بين الحين والآخر، وانتهى الأمر بأن ألقى أحد الرهبان المسيحيين بنفسه بين أنياب الوحوش الضارية كي يضع حداً للقتل، وذهب الأمر إلى أن مثل هذه المباريات كانت تجد من يشجعها من الأدباء، فكانت من وجهة نظرهم تقدم أمثلة عن الرجولة والشجاعة، غير أن هذه العروض لم تكن تقام بكثرة، وكانت تقام أيضاً المسرحيات والتمثيلات الإيمائية في شتى أنحاء ولايات الإمبراطورية الشرقية والغربية^(٤).

كما كانت هناك مجموعة من الفرق المتجولة تضم رجالاً ونساء يقومون بالغناء والرقص والتمثيل ضمن استعراضات خاصة. أما في الريف، فقد كانت تنتشر السباحة والاستحمام والصيد، ولا سيما صيد الخنازير البرية والذئب وصيد الصقور، وصيد الأسماك، وكانت رياضة الصيد من الهوايات المحببة لدى الطبقة الغنية، وانتشر السحرة والمهرجون وعازفو الناي والقيثارة والمؤدون على المزامير والصنوج والأشخاص الهزليون^(٥)، وكانت كل منطقة تقوم بمهرجاناتها تبدأ بإقامة الاستعراض والعروض الرياضية كافة من السباحة والملاكمة والقفز ورمي الرمح والمصارعة وتُختتم كل هذه الألعاب بالرقص والفكاهة. وقد

(١) حُتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ٣٣٣.

(2) Bouchier, E, Syria as a Roman province, p 16.

(3) Pollard, N, Soldiers, cities, and civilians in Syria, U. S. A, p 51 - 53.

(٤) سارتون، جورج، الحضارة الهلنستية في القرون الثلاثة الأخيرة قبل الميلاد، ترجمة لفييف من العلماء، القاهرة، دار المعارف، ط ٢، ١٩٧٨، ص ١٥٦.

(5) Bouchier, E, Syria as a Roman province, p17.

لجأ بعض الأباطرة إلى تشجيع إقامة المهرجانات والمباريات في المدن؛ لأنهم كانوا يدركون تماماً ما للأعياد والمهرجانات وألوان الترفيه من تأثير عميق في نفوس البشر^(١).

(١) باقر، طه، المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة، بغداد، مديرية الفنون والثقافة الشعبية، ط ٢، ١٩٦٢، ص ١٩٨.

الفصل الثالث

التأثير المتبادل بين المجتمعين السوري والروماني

أولاً: التأثير الروماني على المجتمع السوري.

- ١ - التأثير الروماني عن طريق منح الامتيازات الرعوية.
- ٢ - التأثير الروماني عن طريق الخدمة العسكرية.
- ٣ - التأثير الروماني على اليهود.
- ٤ - انعكاسات التأثير الروماني العمراني ، على الحياة الاجتماعية.

ثانياً: التأثير السوري على المجتمع الروماني.

- ١ - من الناحية السياسية.
- ٢ - من الناحية الدينية .
- أ - دور التجار السوريين في نقل التأثير السوري إلى روما.
- ب - دور الجنود السوريين في نقل التأثير الديني إلى المجتمع الروماني.
- ج - ظهور المسيحية وانتشارها.
- ٣ - من الناحية الثقافية.

أولاً: التأثير الروماني على المجتمع السوري:

لم تستطع فترة حكم الرومان أن تحدث في البلاد السورية تغيراً ملحوظاً في التركيبة السياسية والاجتماعية لسبب جوهري له وجهان:

الوجه الأول: هو أن الحضارة اليونانية التي كانت متفوقة على حضارة الرومان كانت قد تعمقت تأثيراتها في سورية على مدى أكثر من قرنين، وأن الرومان أنفسهم ورثوا هذه الحضارة وانسجموا معها. أما **الوجه الثاني:** أن الرومان انحصروا هدفهم باحتلال سورية عسكرياً واقتصادياً، لجعلها قاعدة في وجه خصومهم الفرس، وتحويلها إلى مقاطعة لا تنفذ مواردها.

كان التأثير الحضاري على السوريين في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بصورة متفاوتة، بالمقابل بدا تأثير الحضارة السورية واضحاً في المجال الديني، ولاسيما السوريين الذين تقبلوا المسيحية بروح حضارية، وتجنبوا المشاركة في الصراع الدائر، الذي لامس بعض الكهنة السوريين ممن زجوا بأنفسهم في الصراع. وهذا يعني أن السوريين أثروا وتأثروا بالحضارة الرومانية، وصنعوا تاريخهم الحضاري من خلال الاحتكاك والتواصل مع الآخرين، والاستفادة من مخزون حضارتهم، ونقلوا تراثهم إلى الرومان والعالم.

١ - التأثير الروماني عن طريق منح الامتيازات الرعوية:

كان التأثير الروماني يتضاءل، كلما بعدت المسافة عن روما عاصمة الإمبراطورية، ولم يكن في سورية سوى عدد قليل من المقيمين الرومان^(١). ليكونوا بمنزلة مركز لنشر الثقافة اللاتينية، وكان أغلب هؤلاء من الموظفين الحكوميين الذين يجيئون الضرائب ويتحكمون في القضايا المهمة، ويحضرون الألعاب والاحتفالات، ولكنهم كانوا يُعاملون كأجانب، لكنه تعامل حضاري، لدرجة أنهم أنسوهم آلام الغربة، لكن بحدود تخوفاً من مهامهم السرية.

منح الأباطرة الرومان السكان الوطنيين في مستعمراتهم، مثل بيروت وهليوبوليس حق الرعوية الرومانية ليتمتعوا بمكانة مميزة بين سكان الولايات، كما أن بعض المدن الأخرى التي لم تكن من المستعمرات أعطيت حق الرعوية أو بعض الامتيازات إما عن طريق المنحة أو المعاهدة، فقد تمتعت مدينة صور بحق الإعفاء من الضرائب العادية، وكانت سياسة (فرّق تسد) تعد أسلوباً سياسياً رومانياً قديماً طبق

(١) حجل، بدري، سورية وتاريخها الحضاري، ٢٠٠٤، ص ٢٠٥.

ليمنع المدن أو الجماعات المختلفة من التكتل ضد روما.^(١)، وقد تباين الأباطرة الرومان في منح الرعوية الرومانية، حيث إن الإمبراطور أغسطس (٢٧ق.م - ١٤م)^(٢) والإمبراطور تيبيريوس (١٤ - ٣٧م)^(٣) أغلقا الباب أمام من يريد هذا الحق، أما الإمبراطور كلاوديوس (٤١ - ٥٤م)^(٤) فقد فتح الأبواب على مصراعيها أمام من يريد، وفي عهد سبتيموس سيفيروس (١٩٣ - ٢١٢م)^(٥) أطلق الحرية المطلقة لأعظم فقهاء القانون في ذلك الوقت، وهم بابيبيان وألبيان لإظهار حذبهم على الإنسانية^(٦).

وقد ازدادت فيما بعد وبشكل ملحوظ سياسة منح الامتيازات الرومانية لغير الايطاليين، عندما اعتلى العرش تراجان (٩٨-١١٧م) الذي كان من أصل إسباني. وبلغت هذه السياسة ذروتها في سنة (٢١٢م) حين أصدر كركلا (٢١١-٢١٨)^(٧) مرسومه المشهور الذي قضى بتوسيع الحقوق السياسية الرومانية، لتشمل جميع رعايا الإمبراطورية الأحرار الذين ولدوا ضمن حدودها^(٨)، ومنذ ذلك الحين،

(١) حتّي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ٣٧٣.

(٢) أغسطس (٢٧ق.م - ١٤م): أول إمبراطور للإمبراطورية الرومانية، وكان له الفضل بتحويل روما من جمهورية إلى إمبراطورية خلال السنوات المضطربة عقب اغتيال يوليوس قيصر العظيم، تميز عصره بالسلام والازدهار. للمزيد: الزين، محمد، دراسات في تاريخ الرومان، ص ١٠١-١٠٤.

(٣) تيبيريوس (١٤-٣٧م): اسمه الكامل تيبيريوس يوليوس قيصر، وهو الإمبراطور الروماني الثاني بعد قيام الإمبراطورية الرومانية، أحد رجال روما العظماء الذين أسسوا وحملوا الحدود الشمالية للإمبراطورية الرومانية. للمزيد: الزين، محمد، دراسات في تاريخ الرومان، ص ١٠٦-١١٠.

(٤) كلاوديوس (٤١ق.م - ٥٤م): اسمه الكامل تيبيريوس كلاوديوس نيرو جرمانيكوس، قام بتنفيذ أعمال مهمة في كثير من أجزاء الإمبراطورية الرومانية، وإحلال السلام في روما واستعادة حكم القانون، وأثبت أنه إمبراطور فعال رغم عدم رغبة مجلس الشيوخ به بادئ الأمر. للمزيد: الزين، محمد، دراسات في تاريخ الرومان، ص ١١١-١١٥.

(٥) سبتيموس سيفيروس (١٩٣-٢١٢م): ولد ١٤٦م في المستعمرة الفينيقية لبثس على ساحل ليبيا، وشغل عدة مناصب عسكرية مهمة، حتى شجعت فرقة لعرش روما الذي فاز به على حساب منافسيه. انظر: إيمار أندريه وأوبوايه، جانين، روما وإمبراطوريتها، ترجمة، فريد داغر وفؤاد ج. أبوريحان، بيروت، منشورات عويدات، ط ٢، ١٩٨٦م، ص ٣٧٢-٣٧٣.

(٦) David, SH., Augustus Casar, London, New York 1991, p.7.

(٧) حتّي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ٢٧٣.

(٨) اليازجي، عيسى، مآثر سورية في العصر الروماني، بيروت، دار الفكر للأبحاث، طبعة أولى، ١٩٩١م، ص ١١٩.

أصبح بموجب هذا القانون أي سوري مواطناً رومانياً بحكم الواقع ، ويحق له استلام أعظم وظيفة في الدولة ، إذا كان أهلاً لها^(١).

غير أن فوائد هذا المرسوم كانت مقتصرة في الواقع على النفوذ الاجتماعي وبعض الفوائد الاقتصادية ، فقد عَدَّ الشخص الذي حصل على حقِّ المواطنة الرومانية أنه أصبح تابعاً للبيت الإمبراطوري ، وأمن لنفسه دعم السلطات ومساعدتها في تسيير أموره في المجالات الاقتصادية والاجتماعية ، ولا بد أن صيحة بولس "إنني مواطن روماني"^(٢) ، "وإنني أرفع أمري إلى قيصر"^(٣) ، قد ردها كثير من السوريين في تلك الأيام استناداً إلى المرسوم.

وهناك بعض الحالات التي قد يحصل فيها الشخص الواحد على صفة المواطنة في عدد من المدن ، ولكن هذا الامتياز لا يعطى إلا لأشخاص متميزين في بعض المجالات مثل العلم والرياضة أو غير ذلك ، ويشير أحد النقوش الرومانية في عام (٦٠م) إلى "تيسري كلا خرباتروي" من انطاكية ، بطل عدد من المباريات الرياضية ، حيث منحه نيرون حق المواطنة الرومانية^(٤).

يخطئ من يتصور أن الإمبراطور كركلا أصدر مرسومه تعاطفاً مع أصوله السورية ؛ بل لأن الواقع السياسي يقتضي توسيع الجنسية بعدما غدت الحضارة الهلنستية تزداد نفوذاً وعلى حساب الحضارة الرومانية ، وتشكل مجموعة من القوميات المختلفة في مجال الفكر والسياسة^(٥).

إن الجنود السوريين الذين أدوا الخدمة العسكرية في الجيش الروماني ، وعادوا إلى بلادهم بعدما حصلوا على المواطنة الرومانية بمجرد أنهم قد تطوعوا في الجيش ، والشخص الذي يحصل على هذا الحق تكون له امتيازات عديدة: كحق الإعفاء من الضرائب ، ومن الالتزامات المحلية للمدينة كافة ، ومن الالتزامات العسكرية أيضاً ، وله أيضاً حق المشاركة في الاجتماع الشعبي. ويمكن للشخص الذي حصل على المواطنة الرومانية التدرج في المناصب العليا للدولة ، ففي حال توفر الإمكانيات المادية يمكن أن ينتقل إلى جهاز إدارة المستعمرة ، ومن ثم الانتماء إلى فئة الفرسان وحتى فئة السيناتورية ؛ وبالتالي إلى المستويات الرفيعة في الإمبراطورية ، وكان الأشخاص الذين حصلوا على المواطنة الرومانية يتخذون لأنفسهم أسماء الأباطرة المتواجدين في أثنائها في السلطة ؛ أي إن هذا المواطن أصبح تابعاً للبيت الإمبراطوري ، وأمن لنفسه

(١) حجل ، بدري ، سورية وتاريخها الحضاري ، ص ٢٠٥.

(٢) أعمال الرسل ، ٢٧ : ٢٢.

(٣) أعمال الرسل ، ١١ : ٥.

(٤) للمزيد انظر : شيفمان ، أ ، ش ، المجتمع السوري القديم ، ص ١٥٨ - ١٦٩.

(٥) حجل ، بدري ، سورية وتاريخها الحضاري ، ص ٢٠٥.

دعم السلطات ومساعدتها له، وفتحت له مختلف مجالات النشاط الاقتصادي والاجتماعي المختلفة، ومن الطبيعي أن يقدم هذا المواطن كل الدعم والولاء للسلطات الرومانية. وتبين عددٌ من النقوش المكتشفة في سورية، الأسماء الثلاثية للأشخاص (اسمه واسم عائلته واسم الإمبراطور في تلك المرحلة)، وفي هذا إشارة إلى المواطنة الرومانية التي حصل عليها هؤلاء المنقوشة أسماؤهم، وتتضمن بطولاتهم وأعمالهم لإظهار مكانتهم ووضعهم الاجتماعي^(١).

وتزودنا النقوش التدمرية بمعلومات عن المواطنة الرومانية قبل عام (٢١٢م)، حيث إنّه قبل هذا التاريخ لم تكن المواطنة الرومانية منتشرة جداً، ولكنها كانت موجودة ومن حق بعض النبلاء التدمريين، وقد تم اكتشاف حوالي (٢٥) إثباتاً لمواطنين رومان من أصول تدمرية قدموا خدمات كبيرة للإمبراطورية. كما حدثت تغييرات كبيرة بعد عام (٢١٢م) في عهد الأسرة الأنطونية، حيث أصدر الإمبراطور كراكلا قراراً منح حقوق المواطنة الرومانية، فتم منحها للكثير من السكان غير الرومان، حيث أعفى الجنود القدماء ووالديهم وأبناءهم وزوجاتهم من أشكال الضرائب كافة، وتذكر بعض الوثائق مواطنين رومان من أصل سوري منحوا هذا الامتياز وراثياً، ولم يكن أعضاء مجلس الشيوخ الروماني في عهد الأسرة الأنطونية من نسل الرومان القدماء فقط؛ بل من ممثلي الأرستقراطية النبيلة من الولايات الشرقية "سورية"، وشكلوا نسبة الثلث في مجلس الشيوخ الروماني في نهاية عهد الأنطونيين، ومن أشهر المواطنين الرومان السوريين: إيميليونك من الساحل الفينيقي في القرن الأول الميلادي، وكان نائب قنصل في آسيا وشغل وظيفة سفير مترجم في روما، وقد أدى أبناء هذا الرجل من بعده دوراً مهماً في روما. وبوليوليان من الساحل الفينيقي أيضاً الذي كان أجداده مواطنين رومان منذ النصف الأول من القرن الأول الميلادي، وبعد أشهر محام في روما على الإطلاق في تلك الفترة. والأنطاكي بيريكل فديب ومبيان الذي حصل أجداده من طرف أبيه وأمه على المواطنة الرومانية منذ النصف الأول من القرن الأول الميلادي، وقد أصبح سيناتوراً^(٢). إن البحث عن تفسير لظهور السوريين في روما كان في إطار السياسة العامة للأباطرة الرومان تجاه الولايات، ولاسيما الولايات الشرقية، فيسعى منهم لكسب الأرستقراطية المحلية إلى جانبها. ومن الواضح أن الوضع الاجتماعي للأشخاص الذين حصلوا على المواطنة الرومانية لم يكن واحداً، فمنهم الحرفيون،

(1) Dabrowa, E., The Governors of Roman Syria from Augustus to Septimius Severus, Bonn, 1998, P. 117 - 128., Yon, Jean, Baptiste, Les Notables De Palmyre, P. 120 - 122.

(2) Dabrowa, E., The Governors of Roman Syria, p 113 - 114.

ومنهم الأغنياء وأصحاب الثروة الذين استطاعوا تقديم الهدايا الثمينة التي وصلت قيمتها لحوالي (١٠٠٠٠) دينار، ومنهم رؤساء مجالس المدن^(١).

إن الشيء المؤكد أن السوري الذي حصل على المواطنة الرومانية لم يفقد مواطنته الأصلية، وأن الإمبراطور كراكلا أعطى حق المواطنة لكل سكان الإمبراطورية. أما الأهداف التي سعى إليها الإمبراطور لتحقيقها من وراء إصدار هذا المرسوم ليست واضحة، ولكن أهمية مرسوم كراكلا في أنه جعل كل الأراضي تابعة للإمبراطورية، وجعل كل أفرادها مواطنين رومان بعد أن كانوا تابعين للسلطة الإمبراطورية، وبذلك تكون القاعدة الاجتماعية لسلطة الإمبراطورية الرومانية قد توسعت إلى أقصى حد ممكن^(٢).

٢ - التأثير الروماني عن طريق الخدمة العسكرية:

يعد الجيش في العصر الروماني أهم جزء في الدولة، لأنه يشكل نواة قوة الإمبراطورية، ولدوره المتميز في الحياة الاجتماعية للإمبراطورية الرومانية، فقد كان الجنود الرومان أداة للدمج والتوحد مع المجتمعات المحلية عن طريق الزواج. كما تميزوا عن السكان المحليين بوضعهم الاقتصادي والقانوني والاجتماعي الجيد. وهناك دلائل كثيرة تشير إلى العلاقات القانونية بين المحاربين، وتلاحمهم في أماكن خدمتهم العسكرية. حيث تذكر إحدى الوثائق المكتشفة في سورية قيام محارب من الوحدات العسكرية بشراء قطعة أرض كانت نظرياً لأحد المدنيين، وقام جندي آخر بالشهادة مع صديقه، وهذه إحدى الدلائل التي تؤكد الصلات القوية بين أفراد الجيش الروماني، غير أن هذا لا يعني أن المحاربين الذين يؤدون الخدمة العسكرية لم ينخرطوا في المجتمع السوري، وذلك مثبت بالعديد من الوثائق الأثرية، ومنها وثيقة من دورا أوروبوس لمحارب اسمه (Julius Germanus) كشاهد على طلاق زوجين اسميهما آرميين. ومن الملاحظ أن الجنود في سورية وبلاد الرافدين كان معظمهم من الأجانب، وذلك في القرنين الأول والثاني الميلاديين، وهذا ما تبينه الوثائق الرسمية، حيث إن بعض الجند عادوا إلى بلادهم بعد انتهاء خدمتهم العسكرية^(٣). وتوضح تلك الوثائق أن قسماً منهم فضل البقاء في مجتمع اعتاد على التعايش معه لسنوات، كما فعل بعض الجنود الذين قضوا فترة خدمتهم في سورية أو بعد إحالتهم إلى التقاعد،

(١) شيفمان، أ، ش، المجتمع السوري القديم، ص ٦٠.

(٢) الدبس، يوسف، تاريخ سورية الديني والديني، ص ٢٠٧.

(3) Rostovtzeff, M. La Syrie Romaine, Rewiewed work, Revue Historique, T. 175 Rostovtzeff, P. Pierre. - Presses Universitaires de France, France, 1935. P. 10.

وهي ظاهرة طبيعية؛ لأن بعضهم كَوْنُ عائلة في مناطق خدمتهم، وبقائهم. نالوا مكانة مرموقة ومهمة في المجتمع السوري ويتضح ذلك من خلال ثلاثة نقوش:

– النقش الأول (T. Aurelius' Decymus) قائد المئة الذي أهدى الآلهة قرابين في عام (١٩٣م)، وربما استقر في جنوب سورية.

– النقش الثاني: تمثال منقوش عليه باللغة الإغريقية (m. Septimiusmaynus) قائد المئة في فيلق (Scythia) الرابع من قبل مجلس شوري جزيرة أرواد لمواطنهم ذي النوايا الحسنة.

– النقش الثالث: إهداء للشخص نفسه (قائد المئة) من قبل أخيه الذي حصل على منصب عسكري مهم في سورية^(١). ولم يفدنا النقش باسمه ومن أي مدينة، وما جنسيته.

أرسل الرومان الجنود السوريين إلى أماكن بعيدة لتأدية خدمتهم العسكرية، كبريطانية وميديا ونوميديا؛ فضلاً عن خدمتهم في الفياق المحلية السورية، وقد كان من أهم الأسباب التي دفعت السوريين للتطوع في الجيش الروماني، هو الحصول على حق المواطنة الرومانية؛ هذا الأمر الذي سمح بنشر روح الوحدة في الجيش الروماني وإزالة الحواجز بين الوحدات الأساسية والوحدات المساعدة. حيث كانت الحياة اليومية لهذه الوحدات العسكرية الرومانية في سورية مفعمة بالنشاط الاقتصادي والعلاقات الاجتماعية، فعلى الرغم من وجود الجنود الرومان في ثكناتهم الخاصة على أطراف كل مدينة في سورية، فقد أتى إليهم الحرفيون الماهرون لصناعة وصيانة المعدات العسكرية، وقام التجار بجلب السلع الأساسية كالقمح والزيت والنبذ والمواد الخام إلى الجنود حيث كان الجيش الروماني من كبار المستهلكين لهذه السلع، واشتروا منهم غنائم الحرب. وكانوا يتعرفون إلى بعضهم بعضاً، فينشأ بينهم نوع من التآلف الاجتماعي الذي تطور أحياناً إلى عقد زواج أو مصاهرة^(٢).

كما أن لتجنيد السوريين في الفياق الرومانية والوحدات المساعدة في سورية فضل في تطور الصلات العائلية بين المدنيين والفياق المجندة محلياً، ومن الممكن أن يكون زواج هؤلاء الجنود من أهم عوامل دمج الأجانب في المجتمع السوري. ولم يستطع الجنود عقد قران شرعي إلا في عهد الإمبراطور سبتيموس سيفيروس، في عام (١٩٧م) الذي منح الجنود هذا الامتياز ليسهم بدمجهم في المجتمع السوري واستقرارهم واستقرار عائلاتهم. وينص هذا القانون على "إعطاء المواطنة الرومانية لأولاد وزوجات الجنود". فقد كانت هناك مجموعة من القوانين الحازمة التي تحرّم على الجندي في الجيش الانخراط في الحياة المدنية، كي لا

(1) Pollard, N., Soldiers, cities, and civilians in Syria, The university of Michigan Press 4th, USA, 2000, p. 154 - 159.

(2) روستوفيتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ص ١٠٦.

يؤدي ذلك إلى ضعف مكانة الجيش، ويشغله عن ضبط الأمور في المدن المسؤول عنها، غير أن هذه القوانين لم تكن منفذة بالكامل، فقد بقي الزواج أداة استطاع الجنود من خلاله الاندماج مع المدنيين، كما تمكن المدنيون من تعزيز مكانتهم من خلال ارتباطهم مع الجنود، مما أعطاهم الامتيازات القانونية والاجتماعية التي كان يتمتع بها هؤلاء الجنود^(١).

أدى ذلك كله إلى خلق تبادل اقتصادي تجاري واجتماعي فطري، لادخل للجهات الرسمية في تقويته ولا الحد منه.

لم تكن مهمة الجيش الروماني في سورية حمايتها من الأعداء فقط؛ بل شمل نواحٍ أخرى، كقيام الإدارة المحلية الرومانية بحفظ الأمن وجباية الضرائب والتدخل في الشؤون المدنية المحلية، وقد وصل الأمر في بعض الأحيان إلى ابتزاز الناس للحصول على الأموال والأراضي، والأدلة على تدخل ضباط الرومان في أمور المنطقة السياسية كثيرة، أهمها العديد من النقوش المكتشفة في أماكن مختلفة في سورية، كإهداءات القواد المئة في الفيالق الرومانية في سورية، والنقش العائد للقرن الثاني الميلادي، " القائد روستيكو سابنسو باتور رئيس قائد المئة كم من حصناً أنشأه "، ونقش آخر يعود للقرن الثاني الميلاد، "في بيوس كيلير من قبل مجلس شورى المدينة في تدمر"، وهذا النقش يوحي بانخراطه في السياسة المحلية للمدينة حيث وصف كقائد فرسان ومواطن وعضو مجلس لمكانته وشهرته^(٢).

وورد على لسان الخطيب الشهير لبيانوس الأنطاكي عن تدخل الضباط رفيعي المستوى بسياسة حكومة مدينة أنطاكية، دون الالتفات لدورهم العسكري، وتدخلوا أيضاً بالضرائب وأجبروا القرويين على الدفع لهم بحجة أنهم المدافعون عنهم^(٣).

إن معرفة الأصول العرقية والجغرافية للجنود الذين كانوا يؤدون خدمتهم العسكرية في سورية هو أمر غاية في الصعوبة، وذلك لقلة النقوش التي تحتوي على موطن الجندي وأصله، إلا أن هناك بعض الأدلة المادية المكتوبة حول أصول جنود الفيالق الرومانية التي كانت غالبيتها تشير إلى أنهم كانوا مواطنين رومان من أصل إيطالي. ومنذ بداية الاحتلال الروماني لسورية عام ٦٤ ق.م، وفي عهد الإمبراطور كلاوديوس (٤١ ق.م - ٥٤ م) ونيرون (٥٤ - ٦٨ م) كان حوالي نصف المجندين في الفيالق المربطة في سورية من

(١) شيفمان، أ. ش، المجتمع السوري القديم، ص ١٣٢ - ١٣٣؛

Pollard, N., Soldiers, cities, and civilians in Syria, p. 151 - 155.

(٢) كلينغل، هورست: آثار سورية، ترجمة: قاسم طوير، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٨٥، ص ١١٣.

(٣) لبيانوس، أنطاكية القديمة، ترجمة، محمد الزرقعة، دمشق، دار إسكندرون، ١٨، ٢٠٠٤، ص ١٨٨.

أصل سوري، وبحلول عهد الإمبراطور تراجان (٩٨-١١٧م) تزايد عدد الجنود المحليين السوريين في الفياق الرومانية، فكل أربعة أو خمسة جنود سوريين يقابلهم جندي واحد من أصل إيطالي.

وقد اعتمد الرومان منذ بداية حكمهم لسورية على استخدام فرق احتياطية، وبالتدريج أصبحت هذه الفرق الرومانية نفسها تتألف من عدد كبير من السكان الأصليين، وكان أفراد الجيش يصبحون بصورة آلية مواطنين رومان^(١).

كان انضمام الجنود السوريين إلى الجيش الروماني يحتم عليهم أن يصبحوا مواطنين رومان، وعلى الرغم من ذلك فقد تمسكوا بعباداتهم وتقاليدهم الخاصة الاجتماعية منها والدينية، ويشير إلى ذلك سبعة عشر مشهداً مكتوباً عليها عبارة الإله ملكاب^(٢) موجودة خارج تدمر، وفيها أيضاً خمسة عشر مشهداً يشير إلى جنود سوريين من تدمر كانوا يخدمون في الجيش الروماني^(٣).

كان الجنود السوريون في الوحدات الرومانية يرابطون في مختلف أجزاء الإمبراطورية، فمثلاً، عندما ذهبت الفرقة الثالثة إلى إيطاليا لتساعد في توطيد حكمهم حياً جنود هذه الفرقة الشمس المشرقة "حسب العادة السورية"^(٤)، وكانت الفرق المرابطة في "نوميديا" تضم عدداً كبيراً من المحاربين السوريين القدماء من أفامية ودمشق وجرابلس وببيروت وصيدا وصور، وكانت اللاتينية لغة الجيش، فاستعملها الجنود السوريون الذين خدموا في الولايات الغربية حتى بعد عودتهم، واتخذ بعضهم أسماء رومانية^(٥).

بناء على ما تقدم يمكن القول: إن المحاربين القدماء الرومان استوطنوا في سورية منذ القرن الأول وحتى القرن الثالث الميلادي، وكان من بينهم جنود أدوا خدمتهم العسكرية كمقاتلين في قطعات الجيش المتواجد في سورية، حيث أقاموا فترة طويلة، وانقطعت علاقاتهم مع أوطانهم، وبنوا علاقات جيدة في أماكن تواجدهم، واندمجوا مع الجماعات المدنية. أما العسكريون ذوي الأصل المحلي الذين أدوا خدمتهم العسكرية في أماكن بعيدة عن مسقط رأسهم، عادوا إلى وطنهم سورية وإلى عائلاتهم بعد أن أنهوا خدمتهم العسكرية.

(١) حجل، بدري، سورية وتاريخها الحضاري، ص ٢٠٦.

(٢) إله شمسي عبد في تدمر وصور على أنه يركب عربة، ويقربه هالة ذات أشعة.

(3) Lucind, D., The Palmyrenes of Dura Europos, Leiden, Brill, Nether Land, 1999, P 181 - 182.

(٤) حتّي، فليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ٢٧١.

(٥) حجل، بدري، سورية وتاريخها الحضاري، ص ٢٠٦.

٣ - التأثير الروماني على اليهود:

وجدت جماعات يهودية في بداية العصر الإمبراطوري في انطاكية ودمشق وأفامية ولاوديكييا وصور وصيدا، ومن غير المشكوك فيه أنهم وجدوا في تلك المدن المهمة والتاريخية أمنهم وأمانهم، وقد عانت هذه الجماعات اليهودية في فلسطين من التشتت بعد تمردهم ضد الرومان في الأعوام (٦٦ - ٧٠ م)، وتواجدوا بعد تشتتهم في مناطق بلاد ما بين النهرين في عام (١٦٥م)، وكان أتباع الديانة اليهودية أقل فئات المجتمع استجابة لتأثيرات الحضارة الرومانية التي لم تفلح السنون في تغيير عقليتهم. كما كانوا بشكل عام أقل الفئات انفتاحاً على مظاهر الحضارة الهلنستية والرومانية فلم يستطيعوا تقبل تأثيراتها، يستثنى من ذلك أفراد الطبقة الأرستقراطية الذين أقبلوا على الحضارة الرومانية، واستطاعوا بولائهم للرومان احتكار الوظائف العامة^(١). وقد أطلق عليهم اسم "الصدوقيين"^(٢). وأما الناس العاديون من اليهود، فقد عرفوا بتسمية "الفريسيين"^(٣)، وعدوا استمراراً لجماعة المتدينين الذين وجدوا في زمن المكابيين، وهم الذين تمسكوا بتقاليد ديانتهم القديمة.

ومنذ بداية الاحتلال الروماني لسورية في عهد بومبي، عومل اليهود كجماعة متميزة وتركت لهم حرية ممارسة شؤونهم الدينية، ولم يحاول الأباطرة أن يفرضوا عليهم شيئاً من الالتزامات تجاه العرش أو الجيش الروماني، لذلك بقي اليهود في حالة من الانطواء والعزلة، وساعد هذا في تغذية شعورهم العنصري المتطرف، كما أدى إلى انفصال نهائي بينهم وبين المسيحيين، وكان لا بد من حدوث الاضطرابات مع الرومان التي تحولت إلى حركة مسلحة سنة (٦٦م) أثناء حكم نيرون (٥٤-٦٨م)^٤ الذي كلف فسبسيان (Vespasianus) بإخضاع اليهود والقضاء على تمردهم، حيث استطاع بين عامي (٦٧ - ٦٨م) إخضاع بعض المناطق الريفية التي تجمع فيها اليهود، واستعادها منهم بالقوة. وعندما كان فسبسيان على

(١) طعيمية، صابر عبد الرحمن، اليهود بين الدين والتاريخ، مكتبة النهضة المصرية، ط ١، ١٩٧٢، ص ٣٠٠.

(٢) الصدقيون: هم فرقة يهودية مؤلفة من المثقفين الأغنياء، جاء اسمها من (صدوق) الذي كان كبير الكهنة في أيام داود وسليمان، وحفظت رئاسة الكهنوت في عائلته، فسمي خلفاؤه وأنصاره بالصدوقيين. انظر: جوهر، هاني، اليهود في فلسطين في العصرين البطلمي والسلوقي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٥م، ص ١٤.

(٣) الفريسيون: وهي إحدى فئات اليهود التي تناهض فئة الصدوقيين، وأكثر منهم عدداً، ومتشبهون بمبادئهم وآرائهم. انظر: الحلو، عبدالله، سورية القديمة، ص ٩٣٤.

(٤) حجل، بدري، سورية وتاريخها الحضاري، ص ٢٠٦.

وشك محاصرة أورشليم توفي نيرون ، وتولى هو عرش الامبراطورية ، وعهد إلى ابنه تيتوس (Titus) مهمة إخضاع اليهود.

قام تيتوس بتشديد الحصار عليهم ، ومع الحصار الشديد ضعفت مقاومة المدينة. وفي أيلول سنة ٧٠م تمكّن الرومان من دخولها. وشتت القائد تيتوس بقية اليهود الموجودين خارج أورشليم ، ومنعهم من العودة إليها. والواقع أنه بعد تدمير أورشليم بهذا الشكل وتبديد الجماعات اليهودية اختفى كيان اليهود كتجمع سياسي ، ومن بقي منهم وجد نفسه مضطراً للاندماج في طبقة الرومان المسيطرين والانصهار معها ؛ باستثناء جماعات قليلة ، لم تعد تشكل خطراً على الدولة ، وقد بقيت متوزعة في بعض الأرياف. وباختفاء الكيان السياسي تراجعت الديانة اليهودية نفسها ، ولم يستطع دعايتها أن يلقوا قبولاً لدى أي من المجتمعات^(١).
أما في فترة حكم الإمبراطور هادريان (١١٧-١٣٨م) ، فقد قام اليهود بتمردهم (١٣٢ - ١٣٥م) بقيادة "شمعون بن كوزيبا" الذي رأى فيه مواطنوه المخلص لهم من الرومان ، ولكن هادريان سحق هذه الثورة ، وحول أورشليم إلى مستعمرة رومانية^(٢).

باختصار تلك هي حال اليهود في ذلك العهد ، فقد منعهم معتقداتهم الدينية من تأدية أي دور في التفاعل الحضاري ، ليس فقط مع الرومان فحسب ؛ بل ومع السكان الأصليين أيضاً ، فلو كان لهم روابط اجتماعية مع غيرهم لكان بالإمكان أن تأخذ الثورة ضد الرومان طابعاً قومياً تشارك فيه عناصر وطنية من غير اليهود بدل أن تأخذ طابعاً دينياً محضاً ، وإن دورهم السلبي في التفاعل الحضاري قد أكد غربتهم عن جميع الأقوام ، والسبب في ذلك هو معتقداتهم التي فرضت على كل معتنقيها من مختلف الأقوام والسلالات نوعاً من السلوك الخاص على اتباع الديانات الأخرى.

٤ - انعكاسات التأثير العمراني الروماني على الحياة الاجتماعية :

تمتعت سورية بمزيج من الفن الهلنستي_ السوري ، ومن ثم تطور هذا الفن واندمج مع فن العمارة الروماني. كما تأثرت العمارة السورية بالطابع الشرقي اليوناني ، وهذا ما بدا واضحاً في هندسة المعابد السورية في الفترة الرومانية كمعبد بل الشهير في تدمر ، وقد برع المهندسون السوريون في مجال الهندسة

(١) حتي ، فليب ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ص ٣٧٥ - ٣٧٦.

(٢) إيمار ، أندريه ، جانين أوبوابه ، روما وإمبراطوريتها ، ت ، يوسف داغر فريد ، منشورات بيروت ، عويدات ، ١٩٦٤ ، ص ١٩٠.

المعمارية، ولع اسمهم وكان أشهرهم المهندس المعماري الشهير أبولودور الدمشقي، وله عدة أبحاث وتصاميم لآلات الحصار وآلة اقتحام الأسوار (الدبابة) ومن أهم أعماله:

المسرح والملاعب في روما، وجسر الدانوب الشهير (الشكل ١٦ - ١٧)، والميدان التراجاني، والحمامات التراجانية، وعمود تراجان الشهير، والأسواق التراجانية، معبد البانثيون، وأعمال كثيرة وعديدة.

لم يضاف الرومان شيئاً كثيراً إلى الحضارة السورية من الناحية العمرانية، وذلك إذا استثنينا مسارح اللهو وملاعب الوحوش والحمامات والمعابد الوثنية التي شيدت في سورية في العصر الروماني، فالحضارة السورية لم تجد ماتستعيره من روما؛ بل التأثير الحضاري السوري كان واضحاً على الرومان في جميع نواحي الحياة^(١).

امتلك أغلب المدن السورية مسارح، بعضها ظاهر والباقي لم يكتشف بعد، فالسلوقيين بنوا مسارح على أنقاض المسارح القديمة، ومن ثم أتى الرومان حيث قاموا بالتجديد والإصلاح وإضفاء الطابع الروماني عليه كمسرح بصرى و غابالا (جبله) و تدمر، وشهباء وغيرها، وتحتوي هذه المسارح على مدرجات وقاعات الطرب وعروض المجالدين والمهرجانات^(٢).

إن بناء المسارح والمدرجات أسهم بشكل كبير في الترفيه عن جميع طبقات المجتمع من خلال حضور عروض المسرحيات، كما أن عروض المصارعين التي كانت تتم في باحة المسرح تعد بمنزلة صمام أمان يقوم بتنفيس ما يختلج في نفوس عامة الشعب من مشاعر مكبوتة^(٣). وذلك لأن الإثارة التي تصاحب مشاهد العنف بين المصارعين تخفف من إحساس الجماهير بالبؤس الذي يعانون منه في حياتهم اليومية. أما الأباطرة فكانوا يستغلون أي فرصة لتأكيد شرعية سلتطهم، ولذلك كانوا يسارعون لتنظيم هذه العروض المكلفة، كونها تجسيدا رمزياً لقوتهم^(٤).

ومن أهم المسارح:

(١) اليازجي، عيسى، مآثر سورية في العصر الروماني، ص ٤٣.

(2) Sartre, M., palmyre la cite des caravans, archeology, france, 2008, p 687.

(3)Fowler, in fifteen volumes, volume x,771e-854d, harverd university Plutarch's:Moralia an English translation by Harold press,1960,p181 . north

(3)Bauman.A.,Richard:human Rights in ancient Roman,London and New York,2000,p125.

- مسرح أفامية (Apamea): من أكبر المسارح في العالم الروماني، يعد من أهم المسارح المدرجة وأكثرها اتساعاً^(١)، يجتمع فيه عامة الناس وجنود الحامية الرومانية بقصد التسلية^(٢).

- مسرح جبلة (Gabala): يقع في وسط المدينة الحديثة في الجهة الشرقية من المدينة القديمة وذلك بجوار السور الروماني، يُرجعُ بعضُ المؤرخين تاريخُ بنائه لعهد الإمبراطور جستنيان، لكن من خلال الدراسة المعمارية لبنائه وزخارفه يمكن أن نرجع تاريخ بنائه إلى القرن الثاني الميلادي، يتسع لحوالي ٨ آلاف متفرج^(٣). (الشكل ١١)

مسرح بصرى (Bostra): بني ما بين عامي ١١٧ - ١٣٨ م خلال فترة حكم هادريان، وهو من المسارح الرومانية القليلة المحفوظة، كانت تتم فيه العروض الأدبية والمسرحيات التراجيدية والاحتفالات الدينية المترافقة مع الرقص والموسيقى^(٤)، ويتسع لـ (١٠) آلاف متفرج^(٥). (الشكل ١٢ - ١٣).

مسرح تدمر (Palmyra): يعود بناؤه إلى القرن الثاني الميلادي في فترة الأسرة السيفيرية، كان يستخدم كمسرح وحلبة مصارعة^(٦)، بني على أرض منبسطة خلافاً للتقاليد الرومانية، ويعد مثلاً لاندمج الفن السوري مع الفن اليوناني والروماني^(٧). (الشكل ١٤)

ثانياً: التأثير السوري على المجتمع الروماني:

لم تشهد سورية تحولات كبيرة نحو الرومنة كما هو الحال في باقي الولايات الرومانية، وذلك نتيجة لوجود حضارة موغلة في القدم وثقافات عديدة ضمتها، ومن أهمها الثقافة الإغريقية^(٨)، حيث انتشر السوريون على طول شواطئ البحر الأبيض المتوسط، وازدهرت أماكن تواجد جالياتهم اقتصادياً واجتماعياً

(١) عامر، غالب، داوود، تمر، جبل العرب في العصور القديمة، دمشق، ط٢، ١٩٩٨، ص٥٧.

(2) Finlayson, C, New excavations and a reexamination of the great Roman theater at Apamea, American Journal Archaeology, p. 116.

(٣) جاموس، بسام، المسارح في سورية، منشورات وزارة الثقافة، ط١، ٢٠١٢، ص١٤.

(4) Sega, A., Theatres in Roman Palestine and provincia Arabia, New York, 1995, p. 141 - 143.

(5)-Sartre, M., palmyre la cite des caravans, archeology, p. 681-682

(6) Finlayson, C, women from Palmyra, p. 310.

(٧) جاموس، بسام، المسارح في سورية، دمشق، ص٤٢.

(٨) كلينغل، هورست، "تدمر والتجارة العالمية في العصر البرونزي"، ترجمة، بسام جاموس، الحوليات الأثرية

السورية، المجلد ٤١، دمشق، ١٩٩٦، الصفحات (١٢٧ - ١٣٠)، ص١٢٩.

ودينيّاً في جزيرة ديلوس وصقلية وفي الموانئ الإيطالية^(١). ولقد أثر السوريون في المجتمع الروماني في المجالات الآتية:

١ - من الناحية السياسية: تميزت الحضارة السورية في كل أدوار تاريخها وفي علاقاتها مع العالم بأنها أعطت أكثر مما أخذت، وفي عهد الإمبراطورية الرومانية لم تكن المسيحية هي الجانب الوحيد الذي عكس التأثير السوري فيها؛ بل كان هناك الجانب السياسي أيضاً من خلال حكم الأباطرة السوريين للإمبراطورية الرومانية. ومن الناحية الدينية والثقافية الأباطرة السوريون يحكمون روما.

أ - حكم الأباطرة السوريين لروما:

حكم روما في الفترة الواقعة بين (١٩٣ - ٢٣٥ م)، عددٌ من الأباطرة السوريين الذين ينتمون إلى أسرة سبتيميوس سيفيروس، وتميز عصرهم بكونه العصر الذهبي للتشريع، وظهر مؤلفات الفقهاء الكبار، أمثال: بابينيان و ألبيان و غايوس، التي تُعدُّ أصل الحقوق المسماة (رومانية). وفي عهد كراكلا تم إنجاز عمل حقوقي كبير بإصدار القانون الأنطوني لعام (٢١٢م)، وبمقتضاه تم تحديد الحقوق المدنية الرومانية، لتشمل جميع رعايا الإمبراطورية الرومانية الأحرار.

ومن هنا تأتي أهمية التعريف بهذه الأسرة السورية التي حكمت روما بإنجازاتها المميزة^(٢) وفي

مقدمة أفرادها:

لوسيوس سبتيميوس سيفيروس (Lucius Septimius Severus) (١٩٣ - ٢١١ م) ولد سبتيميوس عام ١٤٦م في لبة^(٣) الفينيقية القريبة من طرابلس الغرب في ليبيا، تعلم البلاغة والقانون في قرطاجنة، ثم أكمل تعليمه في روما، وفي عام (١٧٣م) أصبح عضواً في مجلس الشيوخ في روما^(٤)، وفي عام (١٨٧م) تزوج من "جوليا دومنا" الابنة البكر لكاهن حمص باسيانوس مدفوعاً بعدة أسباب، منها: مكانة أسرتهما الدينية وثقافتها، فضلاً عن أن أحد كهنة معبد أفامية، تنبأ له بأنه سيقترن بأميرة سورية ستجلب له الحظ

(١) دروس، ميلر، "بصرى في بلاد العرب مدينة نبطية رومانية في بلاد الشام"، تحقيق، شوقي شعت، الحوليات

الأثرية السورية، مجلد ٣٦-٣٧، ١٩٨٧، ص١٣٣-١٤٢، ص١٣٤.

(٢) إيمار، جانين، روما وإمبراطوريتها، ص٢٦٠.

(٣) لبة: مستعمرة فينيقية بناها مهاجرون سوريون من صيدا وصور. انظر: اليازجي، عيسى، مآثر سورية في العصر

الروماني، ص٣٤.

(٤) صائب، سعد، دور سورية في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ، ص٦٣.

والسعد، أما جوليا دومنا فقد فسرت تنبؤاتها على أنها ستتزوج من رجل سيصبح ملكاً في المستقبل^(١)، وتزوج منها سفيروس عام (١٨٧م)، ورزقا بولدين أحدهما كراكلا "لوسيوس سبتيموس باسيانوس"^(٢). عين حاكماً على صقلية، ثم أصبح قنصلاً عام (١٩٠م)، ثم حاكماً على مقاطعة بانونيا^(٣)، ثم قائداً لجيوش الدانوب، وعندما اغتال الحرس البريتوري في آذار (١٩٣م)، الإمبراطور كومودوس، أعلنته فرقة إمبراطوراً، فزحف على رأس جيش إلى روما ودخلها من دون مقاومة تذكر. ثم أعلن نفسه إمبراطوراً عليها وسارع بالقضاء على خصمه بسكينوس ينجر^(٤). قسم سورية إلى قسمين القسم الأول يضم سورية الكوماجينية وسورية المجوفة؛ أي السهول على ضفتي العاصي إلى أنطاكية والبحر وعاصمته اللاذقية، وعسكرت فيه فرقتان، والقسم الثاني شرق الأردن وبعليك وحمص ودمشق وتدمر حيث كلفت فرقة واحدة للاستقرار بها والدفاع عنها^(٥). سعى سبتيموس لتوفير الأمن والاستقرار على الحدود الشرقية لولاية سورية، حيث القوة الفرثية التي توالى هجماتها على الحدود^(٦).

ازداد تأثير الحضارة الشرقية على الإمبراطورية الرومانية في فترة حكم سفيروس، فمن الناحية السياسية أخذت الأفكار الشرقية بالتوغل داخل النظام الإمبراطوري من خلال أسلوب الحكم، حيث جعل سفيروس من حكمه شخصياً. أما من الناحية الدستورية فقد فتحت أبواب النفوذ السوري في روما على مصراعها، حيث تدفقت عناصر سورية على مجلس السيناتو في روما وبلغ عدد أعضاء المجلس من أصل سوري في القرنين الثاني والثالث الميلاديين واحداً وأربعين شخصاً، وهذا الرقم لم

(١) بابليون، إمبراطوريات سوريات، ص ٢٨.

(2) Birley, A., Septimius Severus, The African emperor, London, p. 76 - 77.

(٣) بانونيا: جزء كبير من النمسا وهنغاريا (المج)

(4) Brian, C, Greek and Roman military Writers, London, New York, 2004. P142.

(5) Boatwright, Mary - J. Gargola Richard, Paniel - Talbert J. A., The Roman from village to Empire, New York Oxford university press, 2004, p 410.

(6) Isaac, B., The limits of Empire "The Roman Army in The East", c. champion Roman imperialism , USA, 2004, pp. 278 - 283.

تشهده من قبل في تاريخها^(١)؛ فضلاً عن مناصب عليا، سواءً كمنصب قنصل أو مناصب قيادية في الجيش والمجلس الاستشاري الذي أحدثته جوليا دومنا^(٢).

لم يكن سفيروس قائداً عسكرياً فحسب؛ بل كان مصلحاً اجتماعياً وسياسياً وتشريعياً، كذلك فقد أحدث تغيرات أساسية تناولت البنية الهيكلية الرومانية، وعمل على الاهتمام بالجيش، وزاد من مرتبات الجنود وسمح لهم بالزواج، ووزعهم على فرق، وجعل لكل فرقة قائداً، واهتم بالفلاحين والطبقات الاجتماعية المعدمة ومنحهم العطاءات، وعمل على تشييد المباني العديدة خارج محيط روما.

أما من الناحية التشريعية، فعمل على تقليص سلطة مجلس الشيوخ والحد من سلطته القضائية، وعهدها إلى إدارة خاصة تشرف على تطبيق العدالة، وأحاط نفسه بالمستشارين المعروفين بالنزاهة والعلم كالققيمين السوريين الكبارين بابنيان وألبيان، وتوفي سفيروس في ساحة المعركة في بريطانيا ٢١١ م^(٣).

كراكلا (٢١١ - ٢١٨ م):

ولد في ليون (فرنسا) عام ١٨٨ م، اسمه الأصلي ماركوس أوريليوس انطونينوس، ولقب فيما بعد بكراكالا نسبة إلى العباءة التي كان يلبسها. وهو الابن البكر لسبتيموس سفيروس من زوجته السورية جوليا دومنا، تتلمذ على يد الفقيه السوري بابنيان وحصل منه على ثقافة قانونية عالية، وكان من أبرز الأباطرة الذين تركوا أثراً اجتماعية واضحة، فاشتهر بإصلاحاته التشريعية، فعندما تولى العرش أصدر مرسومه الشهير (كاراكالا) عام ٢١٢ م، الذي قضى بمنح حقوق المواطنة الرومانية لجميع رعايا الإمبراطورية. ولم تقتصر أعماله على إصلاح الشؤون التشريعية، بل اهتم أيضاً بتشديد العديد من المباني والحمامات الفخمة المعروفة باسمه، وتعد أول بناء يشاد بالأسمنت المسلح^(٤).

إيلاغالوس (٢١٨ - ٢٢٢ م):

تولى الحكم بعد مصرع كراكلا كاهن معبد حمص إيلاغالوس، وتعد فترة حكمه من أكثر الفترات التي مرت بها روما تأثراً بالطابع السوري، والتي انتقلت إلى روما بشخص الإمبراطور إيلاغالوس^(٥)،

(١) غلف، بورسل، أباطرة وشيوخ رومان من المشرق العربي، دمشق، ط ١، ٢٠٠٨، ص ٦٠-٦٣.

(٢) تورتون، جودفري، أميرات سوريات حكمن روما (١٩٣ - ٢٣٥ م)، تحقيق خالد أسعد عيسى، دمشق، دار الريم للنشر والتوزيع، ١٩٨٧، ص ٣٣٨، ٣٣٧.

(٣) اليازجي، عيسى، مآثر سورية في العصر الروماني، ص ٣٥.

(٤) صائب، سعد، دور سورية في بناء الحضارة الإنسانية، ص ٦٤.

(٥) وردة، نخلة، حضارة أنطاكية عبر العصور، دمشق، ط ٢، ١٩٥٦، ص ٥٥.

فقد استبدل عبادة الإله جوبتر بعبادة الإله الحمصي، وحرص على إظهار عظمة هذا الإله الذي يمثل طبيعة الشمس، وأمر بعبادته متقدماً على سائر آلهة روما^(١).

قام الإمبراطور بنقل الحجر الأسود الهرمي الذي يرمز إلى هذا الإله إلى روما، وأنشأ له معبداً خاصاً مميّزه على سائر الأشكال المقدسة، وبنى قربه مذبحاً، وكان الإمبراطور شخصياً يمارس الطقوس والشعائر في المعبد على الطريقة السورية، يتبعه في ذلك جميع رجال الدولة، ثم أنشأ معبداً آخر في ضواحي روما، وجعل الحجر ينتقل بين المعبدتين على عربة محلاة بالذهب والأحجار الكريمة، لكن هذا التحول العقائدي أثار المتعصبين من القادة الرومان فتآمروا عليه وقتلوه، وأعيد الحجر إلى موطنه الأصلي في سورية^(٢). وصاحبَ هذا التأثير التحكم بمقاليد الحكم من قبل جدته جوليا ميسا التي اتخذت لنفسها لقب (Augusta)، كما قامت بتشكيل مجلس من النساء شبيه بمجلس السناتور تقوم هي على رئاسته، مهمته البحث في أمور اللباس والمراسيم والاستقبال، ودعمت حفيدها إسكندر سفيروس للوصول إلى الحكم^(٣).

– إسكندر سفيروس (٢٢٢ – ٢٣٥م):

هو ماركوس أوريليوس ألكسندر أغسطس، ويعرف باسم إسكندر سفيروس، وكان على قدر عال من الثقافة القانونية؛ مما جعله يؤثر رجال القانون على سواهم، ويعتمد عليهم في إدارة الحكم، فأحاط نفسه بأسماء سورية لامعة منهم أولبيان وموديسينوس وبولس الذين عدوا "آباء الحقوق الرومانية"، كما أعفى دمشق من الضرائب وحول بصرى إلى مستعمرة وزار تدمر، وعهد إلى أولبيان قيادة الحرس الإمبراطوري، غير أن الحرس لم يكونوا راضين عن إسناده القيادة لشخصية مدنية، فثاروا عليه، وقتلوه، وقتلوا أولبيان^(٤).

(1) Nock, A. D. and Hov. Lld, M. A., The Development of Paganism in Roman Empire, The Cambridge Ancient History, vol(xii), University Press, 1981, PP212-214.

(٢) إلتهايم، فرانتس، إله الشمس الحمصي والديانات الشرقية في الإمبراطورية الرومانية، ص ٤٢-٤٦.

(٣) حاتم، أنور، "الذكريات السورية في روما"، الحوليات الأثرية السورية، ١١م، ١٢، دمشق، ١٩٦١ - ١٩٦٢م، ص ١٦٥ - ١٧٥، ص ١٦٨.

(4) Gary, F. A., Critical History of Early Rome, University of California, press, 2005, p. 4.

فيليب العربي (٢٤٤ - ٢٤٩م):

بعد عشر سنوات من مصرع إسكندر سفيروس، وفي عام ٢٤٤م، شهدت روما ولاية سوري آخر على عرشها وهو فيليب العربي^(١)، ولد في عام ٢٠٤م في بلدة شهباء، قرب مدينة بصرى، التي سماها (فيليبوبوليس) وأعطاه لقب مستعمرة^(٢). أصبح قائداً للحرس الإمبراطوري بسبب صفاته المتميزة، واكتسب شهرة واسعة إثر حملاته على قبائل الدانوب، قام بعدة إصلاحات شملت مختلف ميادين الحياة الأمنية والاجتماعية، منها: ١- إلغاء السخرة والقضاء على العبودية.

٢- التخفيف من أعباء المصادرات العامة غير القانونية.

٣- العفو عن المعتقلين السياسيين في العهود الرومانية السابقة.

٤- السماح بعودة المنفيين.

٥- وجوب الاهتمام بالزراعة وطرق تنمية الموارد المائية واتخاذ مايلزم لحماية المزارعين.

٦- الاهتمام بالمدن السورية وخاصة شهباء، حيث أنشأ مباني جديدة كال مسرح والأقنية، والحمامات، والشوارع الرئيسية.

٧- سمح للمسيحيين بحرية العبادة.

٨- اهتم بكل ما من شأنه كسب ثقة الشعب.

٩- كان من أهم الإصلاحات التي أدت إلى وقف تدهور الإمبراطورية اتباعه سياسة التفاهم مع الساسانيين خاصة^(٣).

وهكذا يمكن القول: إن الأباطرة السوريين حكموا روما فترة طويلة، وكانوا من القادة الذين أسهموا في نهوضها في مجالات عدة، ولاسيما التشريع. وكان لانتهاه عصر الأباطرة السوريين آثار سيئة على تطور حركة التشريع، فلم يظهر فقهاء عظماء خلال حقبة طويلة، وتوقفت حركة التأليف التي رعاها هؤلاء الأباطرة وشجعوها.

(1) Forsythe, Gary, A Critical History of Early Roman, University of California Press, 2005, P5.

(٢) شيفمان، أ، ش، المجتمع السوري القديم، ص ٢٤٦.

(٣) حمدان، عبد المجيد، "الإمبراطور الروماني فيليب العربي"، مجلة دراسات تاريخية، عدد ٨٥ - ٨٦، دمشق ٢٠٠٤، ص ٩٢.

٢ - من الناحية الدينية:

انتشر الطابع الشرقي الهلنستي في المجتمع السوري، وبعد مجيء الرومان لم يغيروا كثيراً في الوضع الاجتماعي، ولا سيما من الناحية الدينية التي حافظت على شقيتها، وقد منح الرومان الشعوب التي حكموها الحرية الدينية في المعابد، فوضعت الآلهة الرومانية إلى جانب الآلهة السورية الشرقية، فكانت العبادة في سورية ظاهرها روماني وباطنها سوري شرقي وبأسماء يونانية رومانية، غير أنها كانت هي نفسها الآلهة السورية^(١).

كان للأباطرة الرومان السوريين دور مهم في التأثير على الدين الروماني، فكل إمبراطور كان يستهويه إله يسارع بضمه للآلهة الرومانية، فالإمبراطور كومودوس^(٢) (Commodus) (١٨٠ - ١٩٢ م) اهتم بالآلهة الشرقية ميثرا^(٣) وهرقل^(٤). وقد عبد الرومان اثني عشر إلهاً مثل اليونان، وقدسوا جوبيتير^(٥) ومنيرفا، وفي فترة الأسرة السيفيرية بنيت معابد للآلهة المختلفة، من بينها معابد للربة الشرقية "أتاراغتس".

إن هذه التأثيرات المتبادلة بين الشرق والغرب قديمة جداً، ولا يمكن تحديدها بزمن أو طرف معين، فالحروب والغزوات والهجرات والاستيطان والتجارة كلها كانت متواصلة وقديمة عبر الزمن، وهي التي مهدت الطريق لهذا التأثير والتأثير في عهد الاحتلال الروماني لسورية، فقد عمل الرومان على

(١) لوقيان، الآلهة السورية، ص ١٢٦.

(٢) كومودوس: اسمه لوكيوس أوريليوس كومودوس، وهو ابن الإمبراطور الفيلسوف ماركوس أوريليوس، سادس الأباطرة الأنطونيين الرومان، والإمبراطور الروماني الثامن عشر الذي حكم بين عامي (١٨٠-١٩٢ م). M. P. Spiedel, "Commodus the God-Emperor and the Army". Journal of Roman Studies. 83: 109-114 (1993).

انظر: محفل، محمد، دراسات في تاريخ الرومان، ص ١٤٢.

(٣) ميثرا: إله النور الفارسي، انتشرت عبادته في عالم البحر المتوسط، وانتشرت معابده في أصقاع مختلفة في الإمبراطورية الرومانية. انظر: Ulansey, David., The origins of Mithraic mysteries, Oxford University press, 1989, pp4-5.

(٤) هرقل: وهوابن الإله زيوس، وأحد أبطال الإغريق، ارتبط اسمه بالآلهة هيرا التي أرسلت بعد ولادته ثعبانين إلى مهده للقضاء عليه لكنه أمسك بهما وخنقهما؛ مؤكداً بذلك أصله الإلهي. انظر: عثمان، سهيل، الأصفر، عبد الرزاق، معجم الأساطير اليونانية والرومانية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٢، ص ٤٣٥-٣٣٦.

(٥) جوبيتير: هواله السماء والرعد والبرق، كما عُدَّ إله النصر وممثلاً للكرامة الوطنية عند الرومان. انظر: الدباغ، تقي: آلهة فوق الأرض، جامعة بغداد، د.ت، ص ١٠٧.

توحيد المناطق المختلفة كافة في ظل إمبراطورية واحدة؛ مما سهل التواصل والتنقل بشكل أكبر، حيث تنقل الأباطرة والتجار والجنود السوريون في كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية حاملين معهم حضارتهم؛ مما جعل التأثيرات السورية في الحضارة الرومانية تبلغ شأناً بعيداً. وقد ذكر الشاعر الهجاء المشهور جوفينال الذي توفي عام (١٤٠م) " أن نهر العاصي السوري صارت مياهه تصب منذ فترة طويلة في نهر التيبر حاملاً معه لغته وتقاليده "؛ مؤكداً بذلك الوجود والتأثير السوري في روما^(١).

بدأ انتشار عبادة الآلهة الشرقية وطقوسها في روما، فقد تقدمت أول الأمر بشيء من التردد ثم تدفقت على العالم الغربي بسرعة أكبر حتى طغت أخيراً على ديانة روما الموروثة من العصر القيصري، فقد كانت آلهة مصر وآسيا الصغرى هي الآلهة السائدة في تلك المرحلة، فاحتلت إيزيس وسيرابيس مكان الصدارة، وشيدت لهذه الآلهة معابد في مدينة روما، ونقشت صورها على القطع النقدية^(٢).

كان للنساء الدور الأكبر في تأثر الرومان بالديانة الشرقية، فقد أورثن أولادهن عبادة الآلهة السورية للتبرك بها، وانتقل هذا التأثير إلى سيفيروس الذي عمد إلى وضع التماثيل الدينية الشرقية في المعابد، وبدؤوا بالاحتفالات بآلهة الشمس^(٣). وقد أظهر كركلا عظمة آلهة الشمس التي تمثل طبيعة الشمس، وأمر بعبادتها مقدماً إياها على سائر آلهة روما، غير أن هذه الأعمال أدت إلى كره الرومان له في الولايات كلها^(٤).

لم تقم سورية بدور المصدر لعباداتها المحلية إلى روما فحسب؛ بل كانت بوابة عبور لآلهة أخرى، كالإله ميترا "إله النور الفارسي"، وموطنه الأصلي في إيران يعود إلى (١٤٠٠ ق.م)^(٥). وقد كان للأباطرة الرومان دوراً مهماً في نشر العبادات المحلية تلك، فكل إمبراطور كان يستهويه إله من خارج مجمع الآلهة الرومانية الرسمي كان يسعى لرفع مكانته، فمثلاً الربة الفريجية الأم سيبيل (Cybele) لاقت تعظيماً

(١) حاتم، أنور، "الذكريات السورية في روما"، الحوليات الأثرية السورية، مجلد ١١، دمشق، ١٩٦١، ص ١٦٥ - ١٧٥.

(٢) إلتهايم، فرانكس إله الشمس الحمصي والديانات الشرقية في الإمبراطورية الرومانية، ص ٥٤.

(٣) غلف، بورس، أباطرة وشيوخ رومان من المشرق العربي، ص ٦٠ - ٦٣.

(4) Nock, A. D. and Hov. LLD, M. A: The development of Paganism in Roman Empire, The Cambridge Ancient History - Vol (XII) University press, 1981, pp. 212 - 214.

(٥) الماجدي، خزعل، المعتقدات الآرامية، ليبيا، الشروق، ٢٠٠٠، ص ٣.

كبيراً من الرومان من قبل الإمبراطور "كلاوديوس" (٤١ - ٥٤م) والإله "أوزيريس" قَدِمَ إلى الرومان من قبل الإمبراطور "غايوس" (٣٧ - ٤١م)^(١)

أما العائلة السيفيرية فقد حملت معها تغيرات كبيرة، حيث بدأت ببناء معابد جديدة للآلهة في روما، ولكن التأثير الأكبر جاء عندما حاول الإمبراطور "إيلاغالوس" جعل إله الشمس الحمصي هو الإله الرئيس في العالم الروماني، وقام بنقل الحجر الأسود المقدس معه من حمص إلى روما، حيث كان همه أن يضعه في المعبد الذي أنشأه على البالاتيوم بالقرب من القصر، ليجمع في المكان المقدس كل الرموز الدينية المهمة عند الرومان، كما قام بتشييد معبد ثان للإله في الحدائق الإمبراطورية في الضواحي، وعندما قتل إيلاغالوس أعيد الحجر المقدس إلى موطنه في مدينة حمص لينتهي معه تربع إله الشمس الحمصي إيلاغالوس على قمة الآلهة الرومانية، لأن هذه التجديدات الدينية كانت بعيدة كل البعد عن عادات وطقوسهم الرومان التقليدية^(٢).

أ - دور التجار السوريين في نقل التأثير الديني السوري إلى الرومان:

كان لانتشار السوريين في أنحاء الإمبراطورية الرومانية أهمية كبرى في نقل ديانتهم أينما ذهبوا، فالتجار والصناع السوريون أسهموا بدور مهم وكبير في نقل العبادات والآلهة السورية إلى أماكن إقامتهم، فوصل التجار السوريون إلى روما ونهر الدانوب وليون في فرنسا وإسبانيا، وأينما وجد الصناع والتجار السوريون كانوا يشيدون مذابحهم لعبادة آلهتهم الشهيرة التي من أهمها الإله السوري الشهير بعل، والآلهة أتراغتس، وقد اكتُشف العديد من النصب التذكارية المكتوبة باللغة الآرامية السورية من قبل المقيمين التدمريين في روما للآلهة التدمرية، كما كان لهم دورٌ في نشر عبادة الآلهة السورية، حيث كانوا يشيدون معابدهم في الأماكن التي يقيمون فيها، فكان بعل غزة يعبد في أوستيا، وبعل بيروت يعبد في أماكن بعيدة حتى في إسبانيا، ووجدت في بيتولي (Puteoli) في إيطاليا مذابح قدمها أحد المصلين من الذذهب إلى الإله النبطي دوساريس (Dusares) ذو الشرى (Usgara)، وعثر أيضاً في هذه المدينة على كتابات مكرسة لجوبيتير إله هليوبوليس بعلبك، وبينما كانت هذه النصب التذكارية في الغرب تكتب باللاتينية بصورة رئيسة، فقد عثر على نصب مكتوب باللغة الآرامية من أحد التدمريين المقيمين في روما

(١) غايوس: اسمه كايوس يوليوس قيصر جرمانيكوس، قام بالعديد من الإصلاحات في بداية حكمه، واغتيل من قبل الجنود عام ٤١م. انظر: الزين، محمد، دراسات في تاريخ الرومان، ص ١١٠.

(2) Histoire Augusta les Empereurs Romains, Troduction du Latin Edition bilingu Latin francais par. Andre chastagnb - Robert la font - Paris, p. 494 - 497.

وموجه لآلهة تدمر، وكان من سعة انتشار التجار التدمريين في العالم أنهم بنوا في العاصمة الرومانية روما معبداً في حي يدعى حي الشرقيين، وبذلك يكون التجار السوريون قد أسهموا في نقل معبوداتهم وآلهتهم معهم إلى جانب بضائعهم في كل مكان يحطون ترحالهم فيه^(١).

ب - دور الجنود في نقل التأثير الديني السوري إلى الرومان:

كان للجنود السوريين الذين يؤدون الخدمة العسكرية في أنحاء الإمبراطورية دور كبير ومهم في نقل الآلهة والعبادات السورية الشرقية وبشكل خاص الإلهين ميثرا والإله بعل، وعبادة هذين الإلهين، كانت تحتل المقام الأول بين الجنود السوريين، وانتقال هذه العبادة إلى مختلف أنحاء الإمبراطورية الرومانية، ويعود سبب انتشارها لبقاء الجنود السوريين في أماكن خدمتهم العسكرية لوقت طويل جداً، وكان هذا التأثير كبيراً وعميقاً بسبب الطابع العالمي الذي حملته الإمبراطورية الرومانية والمساحات الجغرافية الواسعة التي ضمتها، حيث خدم الجنود السوريون، فكرموها وأقاموا النصب من أجلها في كل مكان تواجدوا فيه؛ تاركين بصماتهم الدينية في أرجاء الإمبراطورية الرومانية الواسعة، فمن المعروف أن الرومان كانوا يستخدمون الرماة التدمريين في الجيش الروماني في أماكن بعيدة مثل بريطانيا، وقد وجد بالقرب من سور هادريان شمال إنكلترا أبيات نظمها أحد الضباط في مدح آلهته السورية^(٢). وبشكل خاص للإلهين التدمريين ملكابل وبرحبول، وكان كلاهما من الآلهة ذوي الطبيعة الشمسية، حيث عثر على سبعة عشر شاهداً على عبادة الإله ملكابل تعود لجنود خدموا في الجيش الروماني^(٣).

ومن أهم الآلهة التي انتشرت عبادتها عبر الجيش خلال العصر الروماني الإله جوبيتير دوليخي (Jupiter Dolichenus) الذي يحتل المكانة الأولى من العبادات السورية، والإله الفارسي ميثرا (Mithras) الذي انتشرت عبادته في سورية، ليصبح في القرنين الثاني والثالث الميلاديين أحد أهم الآلهة ذات الطابع العسكري الحامية للجيش الروماني، وقد عثر في أحد الوثائق التي تدل على انتشار ديانة الإله بعل دوليخي خارج سورية، وهذا الإله يرمز إلى العاصفة والمطر والرعد والخصب، والسبب في ذلك أن متعبيده الأساسيين كانوا جنود الوحدات السورية، ولاسيما المناطق الحدودية، ولذلك فإن معظم الوثائق المتعلقة بعبادة الآلهة السورية عموماً وجدت في المقاطعات الواقعة على تخوم الإمبراطورية

(١) خياطة، محمد وحيد، "علاقات تدمر الخارجية تجارياً ودينياً"، الحوليات الأثرية السورية، مجلد ٤١، ١٩٩٦م، الصفحات (١٦٣ - ١٦٨)، ص ١٦٥.

(٢) عيسى، أسعد، تاريخ حمص، مطبعة السلامة، ط ١، ١٩٣٩، ص ٣١٥.

(3) Lucinda, D., The Palmyrenes of Dura Europos, pp. 181 - 182.

الرومانية^(١). ومن هذه الوثائق التي تدل على انتشار ديانة الإله بعل دوليخي، وثيقة عسكرية عبارة عن نقش هيكل لهذا الإله في بلدة لامباسيس (Lambasis) في أفريقية، مقدمة من قائد الكتيبة ومؤرخة (١٢٥ - ١٢٦م)، ويمكن تقدير أن انتشار عقيدة بعل دوليخي - جوبيتير دوليخي - في الجيش الروماني من خلال الهياكل التي بنيت للإله من قبل كل الوحدات، ويعزى سبب نجاح انتشار عبادته إلى جهود الجنود؛ فضلاً عن جهود السوريين الآخرين الذين عبدوه بل حتى الفرس المتعبدون له^(٢).

ج - ظهور المسيحية وانتشارها:

لا توجد الكثير من المعلومات حول حياة السيد المسيح قبل المعمديته، فالمدونات المسيحية كانت تسعى لتحقيق غايات تعليمية دينية أكثر من سعيها لاستعادتها لسيرة يسوع المسيح. بدأ يسوع المسيح بشارته في نهر الأردن، بعد تلقيه المعمودية على يد يوحنا المعمدان "يحيى" وبدأ دعوته في كفر ناحوم^(٣) في منطقة الجليل بعد رفض الناصرة له، وقد جاب يسوع مع تلاميذه الحواريين الاثني عشر أرجاء الجليل مبتعدين عن المدن الكبرى، وكانت تتقاطر إليه حشود المولعين بالتبشير بقرب قيام مملكة الإله على الأرض^(٤).

شكل ظهور الديانة المسيحية منعطفاً مهماً في تاريخ العالم القديم عامة، وفي سورية خاصة، وذلك أن سورية بحدودها الطبيعية كانت مهد الديانة المسيحية، ومنها انطلق الكثير من المبشرين بالدين الجديد إلى مختلف أرجاء المعمورة، وقد رفض المسيحيون الاعتراف بالآلهة الوثنية وطقوسها وفي مقدمتها الطقوس المتعلقة بتأليه الأباطرة الرومان والسجود لتماثيلهم، وتقديم الأضاحي باسمهم، وهذا ما جعلها تشكل خطراً على سلامة الإمبراطورية الرومانية وتماسكها، وحلّت عليهم لعنة الملاحقات والاضطهاد التي حصدت الكثير منهم. وقد أسهم هذا الاضطهاد والتنكيل في نشر الدين الجديد في أماكن أخرى كثيرة على طول البلاد وعرضها، وفي كل الإمبراطورية الرومانية؛ إذ تشتت تلامذة المسيح من أورشليم إلى كل متجه، حيث قاموا بالتبشير ونشر العقيدة في كل مكان وصلوه، فدخلت المسيحية المدن الكبرى وخاصة أنطاكية قبل أن تصل إلى روما، وصار بعض اليهود من معتنقيها^(٥).

(1) Millar, F., The Roman near East, p. 248.

(2) Speidel, Michael, P., The religion of Jupiter Dolichenus in the Roman army E. J Brill - Leiden, 1978, p. 4 - 13.

(٣) كفرناحوم: مدينة تقع إلى الشمال من بحيرة طبرية.

(٤) سفينسيسكايا، إ، س، المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، تعريب، حسان ميخائيل إسحق، دمشق، دار علاء الدين، ط٢، ٢٠٠٧، ص ٦٣ - ٦٤.

(٥) حتّي، فليب، تاريخ لبنان منذ أقدم العصور، ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

بدأت المسيحية للمواطن الروماني حتى أواخر القرن الأول كمذهب يهودي غامض، وأنها من الفلسفات الكثيرة الأخرى التي كانت تنتشر من الشرق الأدنى، وعندما أعلنت المسيحية تحديها للديانات القديمة، حارب الكتاب اليونان واللاتين الدين الجديد، وكانت الأديان القديمة بالنسبة لهؤلاء الكتاب تعرف بالأمجاد، وكانت بالنسبة للرومان رموزاً للسلطة الإمبراطورية، فضلاً عن ذلك فقد بدت بعض مظاهر الدين الجديد غريبة على الفكر الروماني واليوناني، وقد أزيلت الهوة بفضل جهود بولس والآباء المسيحيين الأوائل، حيث إن هؤلاء الكتاب أعطوا للمسيحية شكلها الهليني، وجعلوها ملائمة للانتشار في العالم^(١).

كان الرومان في سياستهم العامة كالإونان متسامحين مع ديانات الشعوب الأخرى وآلهتها وثقافتاتها؛ لدرجة أنهم سمحوا حتى في روما بممارسة طقوس عبادات من أصل فارسي ومصري وبممارسة الطقوس اليهودية، وكان تسامحهم مع الديانات الأخرى مادام أتباع هذه الديانات على ولائهم للإمبراطورية الرومانية؛ خاضعين لإدارتها لا يظهرون تحدياً للعبادات الرومانية أو السلطة الحاكمة، ولا يقومون باضطرابات أو يشكلون مصدر خطر. ولكن بعد رفض المسيحيين الاعتراف بالآلهة الوثنية وطقوسها وفي مقدمتها الطقوس المتعلقة بتأليه الأباطرة الرومان، والسجود لتمائيلهم وتقديم الأضاحي باسمهم، هذا جعلها تشكل خطراً على سلامة الإمبراطورية الرومانية وتماسكها وحلّت عليهم لعنة الملاحقات والاضطهادات التي حصدت الكثير منهم، فأخذ الأباطرة ينظرون إليهم كمصدر خطر يهدّد نظامهم الاجتماعي رغم عدم قيامهم باضطرابات، حيث اصطدمت الديانة المسيحية مع التقاليد الدينية الرومانية الوثنية، وبدأ التباعد واضحاً بين كلا الطرفين، على الرغم من أن المسيحيين لم يقفوا أي موقف معادٍ للحكومة والسلطات الرومانية؛ لأنها كانت بالنسبة لهم جزءاً من العالم الآثم المحكوم بالهلاك^(٢).

آمن المسيحيون بأن نهاية العالم وشيكة، وتطلعوا بآمالهم إلى يوم القيامة، مثل اهتمامهم بواجباتهم وحياتهم الدنيوية، كما رفضوا الاشتراك في كل مظاهر التأييد التي كانت تطلبها حكومة الإمبراطورية، وذلك لأنها تضمنت طقوساً تتعارض مع المبادئ المسيحية، ولاسيما طقس السجود أمام تماثيل الأباطرة أو إحراق البخور وسكب النبيذ^(٣)، في حين كانت هذه الطقوس التي يشترك فيها الجميع هي القاسم المشترك للشعب بغض النظر عن الجنس أو الوطن أو اللغة التي يعبرون بها عن حبهم وولائهم لرأس

(١) حتّى، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ٣٦٥ - ٣٦٦.

(٢) سفينيسكايا، المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، ص ١١٥.

(٣) جينبير، شارل، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة، عبد الحليم محمود، القاهرة، دار المعارف، ط ٣، ص ٢١٠ -

الإمبراطورية^(١)، وتعرض للقتل والتعذيب أو العقاب كل من رفض ممارسة هذه الطقوس، وعُدُّوا مصدراً للخطر. ونظر الأباطرة لهذه الفئة الراضية للالتزام بالتقاليد المعروفة بوصفها مصدراً يهدّد وحدة الإمبراطورية وسلامتها، فكان المسيحيون يحاطون بمظاهر الشك والريبة، وبأنهم مصدر لأي مصيبة أو كارثة تحل بالدولة لامتناعهم عن احترام عادات الأجداد وتقاليدهم، فكانوا الفئة التي يطالها العقاب بعد كل كارثة^(٢).

تباينت ردود الفعل الشعبية من الديانة المسيحية الآخذة بالانتشار، ففي البداية كان معظم معتنقي المسيحية من الطبقات الدنيا الذين يمارسون شتى المهن، ومن بينهم العبيد أيضاً، وبسبب تكاثر عدد المعتنقين للمسيحية من هذه الفئات، تنبّهت الفئات الغنية على هذا الدين الذي كان دين الفقراء والجهلة. وأظهرت معاداتها له، ورأت في اعتناقه من قبل هؤلاء الفقراء نذيراً بانقلاب الأوضاع الاجتماعية^(٣).

لم تعد المسيحية مع مرور الوقت دين الطبقات الفقيرة، فقد انضم إلى جموعها أشخاص من جميع الطبقات الاجتماعية والثقافية، لذلك بدأ المتعبدون يطوعون أنفسهم على قبول العادات الشائعة، ودخلوا في الجيش ومارسوا الحياة العامة؛ مما أدى إلى تلاشي الأفكار التي كانت سائدة سابقاً عنهم^(٤). وساعد على ذلك انضمام بعض المثقفين لصفوف المسيحيين، وحاولوا جاهدين الدفاع عن المسيحية أمام السلطات والمجتمع الروماني، لكن في المقابل بقي الكثير من المثقفين على موقفهم المعادي للمسيحية فجاءت كتاباتهم وخطاباتهم تحمل النقد والاستهزاء من هذه الديانة^(٥).

وهكذا نستنتج أن الديانة المسيحية انطلقت من سورية ونادت بالمحبة والسلام وعبادة إله واحد، إلا أن تعاليمها تعارضت مع التقاليد الدينية الرومانية الوثنية، التي دعت إلى تقديس الأباطرة الذين عدّوا الأداة الرئيسة للديانة الرومانية، فقاموا باضطهاد أتباعها. أما بالنسبة للمجتمع فالبعض تقبل تعاليمها

(1) Mathew, B, En Cyclopedia of the Roman empire Facts on File, 2004, p. 399.

(٢) كرا فتشوك، ألكسندر، الوثنية والمسيحية، تعريب، كبرولحدو، دمشق، دار الحضارة، ط١، ١٩٩٦، ص٣٧.

(٣) السقف، ألكار، الدين عند الإغريق والرومان والمسيحيين، ص٣٤٧.

(٤) جينيبيير، شارل، المسيحية نشأتها وتطورها، ص٢١٣.

(٥) باسوك، دانييل، المسيحية وأساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم، تعريب، سعد رستم، دمشق، صفحات للدراسات والنشر، ط٢، ٢٠٠٧، ص٢٩.

والبعض رفضها، وبقيت مضطهدة حتى ازداد عدد المسيحيين، وشكلوا كياناً اجتماعياً قوياً متماسكاً، وتم الاعتراف بها ديناً رسمياً .

٣ - من الناحية الثقافية:

كانت سورية مركزاً ثقافياً مهماً، وصلت تأثيراته إلى الإمبراطورية الرومانية، حتى أن بعض الأباطرة حرصوا على أن يكون ضمن بلاطهم أدباء ومثقفون سوريون، في جميع المجالات الفكرية، وعدت كتاباتهم منارة للفكر الإنساني آنذاك.

أ- في مجال الشعر:

ظهر عدد كبير من الشعراء السوريين الذين تنوعت موضوعاتهم الشعرية، ومن هؤلاء الشعراء:

١- برديسان الرهاوي:

ولد في مدينة الرها عام ١١٥٤م ، نشأ في قصر ملكها معنو الثامن وعرف بأنه أول شاعر سرياني تغنى الناس بشعره^(١). اتهم بالهرطقة من قبل الكنيسة السريانية فدخل معها حرباً متواصلة رغم اعتناقه المسيحية وإخلاصه لعقيدته، بيد أنه أراد أن يكون حر التفكير يؤمن بعقله لا بعاطفته، فكان من افكاره التي سببت هُجوماً عليه اعتقاده بأن إله الكون إله واحد، وأن النفس البشرية مخيرة، كما آمن بالثواب والعقاب، وأهم إنجازاته على الصعيد الشعري أولاً اشتهر بنظم التراتيل الدينية وتلحينها ومنها مئة وخمسون نشيداً على طريقة مزامير داوود^(٢)، ثانياً أنشأ فرقة عرفت بالديسانية ضمت أصحاب الثقافة والغنى. من أهم القصائد التي حفظها التاريخ إلى الآن القصيدة التي حملت عنوان أنشودة الروح^(٣). جاءت أهميته الاجتماعية من خلال قصائده، التي عكست جوانب من الواقع الاقتصادي والاجتماعي في ذلك العصر، حيث يدلنا نص الانشودة على الوضع الاقتصادي الجيد والغنى الواضح، ويدلنا على وجود الطبقات الاجتماعية وذلك عندما ذكر أصله الشريف رغم وجوده بين أهل مصر ومعاشرته لهم. هكذا

(١) كامل، مراد، والبكري، محمد حمدي، تاريخ الأدب السرياني، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د.ت ، ص ٨٠.

(٢) هيو، أحمد أرحيم، المدخل إلى اللغة السريانية، دمشق، مطبعة دار الكتب، ١٩٨٩م، ص ٥٣.

(٣) أحد أسفار العهد القديم ويصل عددها إلى ١٥١ مزموراً.

(٤) هيو، أحمد أرحيم، المدخل إلى اللغة السريانية، ص ٥٤

اشتهر اسم برديسان الرهاوي تاريخياً عن طريق الفرقة التي أسسها والقصائد التي تركها لنا والتي عكست واقع عصره وأبرزت جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

٢-أوبيان الكيليكى

ينتسب إلى أسرة شهيرة من مدين كوريكوس الواقعة في مقاطعة كيليكيا^(١)، التي أخذ منها لقبه الكيليكى، قابل أوبيان الإمبراطور ماركوس أوريليوس^٢ وقدم له قصيدة مطولة حملت عنوان الصيد البحري مؤلفة من ٣٥٠٠ بيت شعري^(٣)، وقد نالت إعجاب الإمبراطور، ومن أهم آثار أوبيان الشعرية قصيدته الصيد البحري التي وصفها أحد الشعراء بقوله (لقد جمع أوبيان في كتابة طائفة المخلوقات البحرية التي تسبح في المياه المالحة، وقدم بهذا للقراء الشباب وليمة عظيمة من صيد البحر)^(٤) وضمت هذه القصيدة خمسة أجزاء تحدثت عن عالم البحر والصيد . وتركت كتاباته أثراً إيجابياً في مجتمعه، فأقام له أهالي مدينته تمثالاً تخليداً لذكراه، كما سمي أحد تلال المدينة باسمه^(٥). وطرحت قصيدته مجموعة من القضايا الاجتماعية التي تدور حول الحب والخير والتعاون بين البشر.

تحدث الشاعر أوبيان الكيليكى من خلال قصائده عن المعايير الأخلاقية في المجتمع، وعن كيفية التعايش السليم بين المخلوقات، وهذا يعد من أهم آثاره في المجتمع على الصعيد الشعري.

ب-الخطابة والبلاغة

ظهر في العصر الرومانى خطباء سوريون نالوا شهرة كبيرة في أرجاء الإمبراطورية الرومانية، دفعت الأباطرة الرومان إلى طلبهم لتزيين بلاطهم ومجالسهم الثقافية. ومن هؤلاء الخطباء:

(١) تقع كيليكيا في شمال سورية

(٢) ماركوس أوريليوس: وهو ماركوس أنيوس فيروس أوريليوس، ولد عام ١٣١م من عائلة اسبانية، تسلح بالعلم حتى أنه دعي الفيلسوف على العرش الرومانى.

(٣) Bunson, Mathew., encyclopedia of Roman empire, facts on file, inc, 2004, p399.

(٤) أسعد عيسى، تاريخ حمص، منشورات السايح، طرابلس، المنشورات الجامعية، ج ١، ١٩٨٣م، ص ٣٣٩.

(٥) هندي، إحسان، شعراء سورية في العصر الهلنستى، دمشق، الهيئة السورية العامة للكتاب، ٢٠١٠، ص ٥٥.

١- أدريانوس الصوري:

ولد في مدينة صور عام ١١٣م^(١)، عرف كبليغ وفيلسوف، وترك بصمته في فن المرافعات، فكان يرافع أمام المحاكم ويعلم الناس هذا الفن، وبرز كخطيب أمام الجماهير المتعلمة وقد هاجر من صور إلى مدينة أثينا تبوأ كرسي البلاغة فيها، وتحدث عن علمه الغزير، وكان تلاميذه يدعونه بالفينيقي، وكان يعتز بهذا الأصل ويقول: إن الحرف يأتيكم مرة أخرى من فينيقية^(٢) (أي إن فينيقية مهد العلم والثقافة والخطابة في رأيه)، كما سحر الرومان ببلاغته وإيقاعات خطابه التي كانت الدعوات إليها توزع في مجلس الشيوخ الروماني في القرن الثامن الميلادي^(٣) وبذلك قدم للشعوب علماً غزيراً في مجال البلاغة والخطابة وخاصة المركزين العالميين أثينا وروما، وعلم الناس البلاغة والخطابة^(٤).

٢- انتيباتر

ولد في عهد الإمبراطور الروماني سبتيموس سيفيروس، وهو من مدينة هيرابوليس، امتاز بفن كتابة الرسائل، فعينه سيفيروس سكرتيراً خاصاً له، كما عمل معلماً لولديه كراكالا وغيتا، وحظي بمكانة اجتماعية رفيعة، وحصل على مناصب متعددة، وقد كانت أهميته الاجتماعية أنه امتاز بفن كتابة الرسائل الشعرية التي جعلته معلماً مهماً في مجتمعه.

٣- لوقيانوس السميساطي (١٢٥-١٩٢م)

ولد في عهد الإمبراطور هادريان (١١٧-١٣٨م) في مدينة سميساط على الفرات الأعلى، جاءت أهميته الاجتماعية من كونه يعد من أشهر الخطباء السوريين. عمل لوقيانوس بإخلاص على إصلاح الناس وتبديد الكثير من الأوهام والأباطيل التي كانت مسيطرة على العقول وحاول تبديد عيوبهم من خلال

(1) Hamond , N , G , L, Scullard., The Oxford Classical Dictionary edition, Oxford, p10.

(2) Philostratus and Eunapius., The lives of the Sophists, ed A and H: Wilmer Wright (London, 1992) ,p.269.

(٣) الحوراني، يوسف، مجاهل تاريخ الفينيقيين (خلال سانخونياتن البيروتي وفليون الجبيلي)، بيروت، منشورات دار الثقافة، ١٤، ١٩٩٩، ص١٢١.

(٤) حتّي، فيليب، لبنان في التاريخ، ترجمة، أنس فريحة، مراجعة نقولا زيادة، بيروت، مؤسسة فرانكلين، ١٩٥٩، ص٢٥

منطلقه الثابت الذي يقوم على أن استئصال كل فكرة خاطئة من رأس مواطن أجدى بكثير من استئصال ورم من جسد إنسان^(١) فحاول إرساء مفاهيم التعاون والعدالة والإصلاح في المجتمع وتحكيم العقل والمنطق في القول والفعل وتغيير رؤية الناس للوجود، وأكد أن الفكر السليم يقود إلى بناء حضارة إنسانية ناجحة. كما سخرَ لوقيانوس من المعتقدات الدينية وخاصة الخرافات الشرقية التي دخلت الأفكار الغربية واستهزأ من خلالها بالأفكار السائدة بين الناس عن العالم الآخر^(٢)، وهاجم جشع المملّكين وأطماعهم من خلال كتاباته ومحاوراته التي كان من أشهرها (بلوتون وهرمز) ، وتحدث عن الغنى والفقر وأثرهما في فساد الصانع لان الصانع إذا صار غنياً فقد الرغبة في مواصلة العمل وازداد إهمالاً وفساداً في مهنته^(٣).

ج- في مجال الفقه

تعد سورية في مجال التشريع أم الحقوق، ولا يزال العالم مديناً لها في هذا المجال، فقد برز فيها عدد من الأعلام يعدون بحق آباء الحقوق المسماة رومانية؛ بل آباء الفكر في أوروبا والعالم. ومن أشهر الفقهاء السوريين:

١- غايوس

ولد في عهد الإمبراطور الروماني هادريان، عاش بين (١٣٠-١٨٠م)، ويعد أحد أبرز الفقهاء السوريين الخمسة ، أخذت مؤلفاته صفة رسمية في العهود الإمبراطورية ، وتأتي شهرتها من كونها عدت مرجعاً يلتزم به القضاة عند بتّهم بالدعاوي، شأنها في ذلك شأن مؤلفات الفقهاء السوريين بابينيان و ألبان وبولس وموديسنيوس، أتت مكانته الإجتماعية من خلال تصنيف مدوناته القانونية مصدراً رئيساً للحقوق، وتألفت من أربعة أجزاء الأول يبحث في حقوق الأسرة، والثاني في حق الملكية، والثالث في الموارث، والرابع في الأصول والأشكال. وقد جعلت هذه المدونات مادة تدريسية في المدارس والجامعات الأوربية، كما ازدادت شهرته الإجتماعية عندما جعلت هذه المدونات موضوع شرح وتعليق شراح وفقهاء القانون الروماني

(١) لوقيانوس، أعمال لوقيانوس، ترجمة، سعد صائب ومفيد عرنوق، دار المعرفة، ط ١، ١٩٨٧م، ص ٩.

(٢) لوقيانوس، مسامرات الأموات، ترجمة، إلياس سعد غالي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، (د. ت).

ص ١٨.

(٣) أفلاطون، الجمهورية، ترجمة، فؤاد زكريا، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٢٩٦-٢٥٧.

ومرجعاً هاماً لا بد منه للتعرف هذا القانون وأصوله وتطوره، ومن أعماله التي اكتسبت صيتاً واسعاً شروحه لقانون الألواح الاثني عشر الذي عمل به الرومان^(١).

٢- بابينيان

ولد عام ١٤٠م في مدينة ايميسا (حمص) اسمه إيميلْيوس بابنيانوس، لقب بأمير الفقهاء، وشغل العديد من المهام في عهد أسرة سفيروس التي حكمت روما، فكان مستشاراً خاصاً لسبتيْموس سفيروس وقائداً لحرس ابنه كراكالا^(٢)، وحظي بمنزلة اجتماعية رفيعة إذ عُدَّ حجة في التشريع وصاحب الكلمة الفصل في أي خلاف بالرأي، وقد زاول عمله القانوني كاستاذ في مدرسة الحقوق ببيروت، ترك بابينيان مؤلفات ذات أهمية قانونية، من أبرزها الأسئلة والأجوبة وهما مجموعتان قانونيتان صيغتا بلغة لاتينية، وطرحتا قضايا قانونية وأجابتا عنها، وكان يدرسها لطلاب الحقوق، كما عد بابينيان مرجعاً مهماً وأساسياً في مجتمعه وأسهم في مختلف الشؤون القضائية والإدارية، وعرف بعلمه الغزير وأسلوبه القوي^(٣).

٣- ألبيان

ولد في مدينة صور اسمه الكامل دوميتيوس ألبيانوس، شغل عدة مناصب رفيعة في الإمبراطورية الرومانية، وتولى منصب القضاء في روما، فاق أسلوبه بابينيان بقربه للإذهان والفهم وسهولته، اشتهر بوفرة مؤلفاته وشروحه القانونية، من أهم مؤلفاته (في القانون المدني) والتي أثرت بشكل كبير في التشريعات الأوروبية، كما وعدت كتاباته وشروحه مرجعاً رئيسياً للقضاة^(٤).

د- العلوم الفكرية

ازدهرت العلوم الفكرية في العصر الروماني، حيث ظهر علماء سوريون في جميع الاختصاصات وتنوعت كتاباتهم وتركوا أثراً كبيراً في الحياة الاجتماعية في سورية خلال الحكم الروماني.

(١) اليازجي، عيسى، مآثر سورية في العصر الروماني، ص ٦٠-٦١.

(٢) حتّي، فليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ٣٦٠.

(٣) اليازجي، عيسى، مآثر سورية في العصر الروماني، ص ٦٢.

(٤) حتّي، فليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ٣٦٠-٣٦١.

١-التاريخ

أدى السوريون دوراً كبيراً في هذا العلم، فقد ظهر مؤرخون بارزون وفي كتاباتهم حسهم الوطني والاعتزاز بوطنهم سوريا ومنهم:

-فليون الجبيلي(٦٤-١٤١م)

يعد من أعظم المؤرخين السوريين، أرخ لموضوعات دينية ومدنية وحضارية عديدة، أتت أهميته في وسطه الإجتماعي إثر الاعتماد على كتابة (التاريخ الفينيقي)^(١)، الذي هو عبارة عن سجل للتقاليد والأساطير الفينيقية وكان بمنزلة العمود الفقري في البحث، كما دعم البحث بإبرازه الفضل السوري في الاكتشافات والاختراعات على مر الزمان، وكما أظهر فليون الجبيلي حسه الوطني واعتزازه بوطنيته وبين المستوى الثقافي والحضاري لفينيقية فقد عرض التاريخ الفينيقي بشكل متتابع ومتلاحق^(٢)، وأبرز الدور الفينيقي في الإنجازات الحضارية في تاريخ البشرية؛ لتبرز مكانته الإجتماعية كمؤرخ وباحث حقق صدًى واسعاً في مجال دراسته.

٢-الجغرافيا :

تعد الجغرافيا من أهم العلوم الفكرية بسبب توصل العلماء إلى خرائط دقيقة استند إليها البحارة والمستكشفون في رحلاتهم التي قاموا بها. ومن أهم الجغرافيين:

-مارينوس الصوري:

عاش في أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني الميلادي، كان أول من استعمل الطرق العلمية في الكتابة عن الجغرافية، وقد انتفع من الأخبار التي كان البحارة والرحالة السوريون يجلبونها معهم إلى مدينتهم الأم صور، ومن أبرز ما أفاد به المجتمع في مجال الجغرافيا الخريطة التي وضعها في جغرافيته والتي أصبح دليلاً لجميع الرحالة والمستكشفون، ومن أعظم إسهاماته في هذا الميدان وضع المصورات على أساس خطوط الطول والعرض وقد سجل قصة منبع نهر النيل التي تبدأ من الساحل الشرقي لإفريقية عند نقطة تقع شمالي سنجار بقليل. ومن الجدير بالذكر أنه أورد خريطة للعلم كله، أكملها من بعده بطوليمايوس

(١)Hitti, Philip., Lebanon inHistory,p201.

(2)Cross,f,l., The Oxford Dictionary OF THE Christian church,Oxford press1941,1091.

الذي اعترف بأنه تلميذ مارينوس، وأنه بنى كل مؤلفاته على كتابات مارينوس مقتنعاً كمعلمه بكروية الأرض^(١).

٣- الطب

-أرخيجينس:

لمع في مجال الطب مؤلف آخر هو أرخيجينس الطبيب الأفامي، الذي أفاد مجتمعه من خلال علمه في هذا المجال، عاش في القرنين الأول والثاني الميلاديين، و كان طبيباً محبوباً بين أفراد الطبقة الراقية، وقدّم العديد من الاكتشافات الطبية، وخاصة في مجال الأمراض العقلية، وقد كتب أرخيجينس رسالة عن النبض التي لاتزال فائدتها قائمة حتى يومنا هذا، وخلفه عددٌ من التلاميذ الذين تمتعوا بمرتبة عالية في المهنة على مدى سنين^(٢). وهذا يدل على مدى مكانته العالية في مجال الطب في المجتمع.

مارس الطب في روما في عهد الامبراطور ترايان(٩٨-١١٧م)، حيث نال شهرة واسعة بسبب مهارته وعلمه، وقد ذكره جوفينال في أشعاره.

(1) Wlattaker.C.R., Roma and Fronters, New York & London, 2004, p158.

(٢) حُتّي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ٣٥٤.

الخاتمة

إن البحث في موضوع الحياة الاجتماعية في أيّ عصر يحتاج إلى كثرة الاطلاع على المصادر والمراجع التي تناولته في إحدى جوانبه ، ولا سيّما إن كان مليئاً بالمشكلات المعقدة مثل العصر الروماني الذي قدّمت له دراسة موسّعة في الجانب الاجتماعي.

وكان من ضرورة البحث التطرّق لشرح مفصّل لسورية في العصر السابق للروماني وهو السلوقي. وقد أثمر البحث عن نتائج عدّة، أهمّها:

- ١- التلاقي والتعايش الفكري والثقافي السلوقي السوري، مما جعل مجتمع الإغريق أكثر تأثراً بالحياة الشرقية من تأثر السكان المحليين بمظاهر الحياة الإغريقية.
- ٢- بدت الفروق بين طبقات المجتمع السلوقي واضحة بشدّة، وقد برزت ثلاث طبقات هي: (الإغريق والمقدونيّين) التي يندرج تحتها طبقات عديدة عليا ووسطى ودنيا، وتنقسم إلى حكومية وغير حكومية. و(طبقة الأهالي الوطنيين السوريين) وتألّفت من طبقات عليا ووسطى ودنيا. أمّا الطبقة الثالثة فهي (طبقة العبيد) وهي أشدّ الفئات الاجتماعية فقراً وبؤساً.
- ٣- كان للدين دور مهمّ في حياة السوريين والمقدونيّين الذين تمسّكوا بمعتقداتهم الدينية، فقد أيّد السلوقيون السياسة القائمة على خلق الحرية الدينية لرعاياهم. كما أسهمت المرأة بشكل فعّال في المجتمع على الصعيدين العائلي والاجتماعي.
- ٤- تميّز العصر الروماني _وهو محور هذا البحث_ عن العصور السابقة له بعدّة ميّزات، منها:
 - أ- وصول السكان المحليين إلى عرش الحكم الروماني بعدما كان الحكم محصوراً في العصر السلوقي بالسلوقيين.
 - ب- حصول المرأة على حق السيادة والحكم بالإضافة إلى دورها الفعّال في الحياة الاجتماعية والعائلية.
 - ج- إدخال عبادة الآلهة السورية إلى جانب عبادات الرومان، كما ظهرت المسيحية كدين يدعو إلى التسامح وعبادة الرب بدلاً من عبادة الأوثان.
 - د- قيام الرومان بالتجديد من الناحية العمرانية، لمسارح اللهو وملاعب الوحوش والحمامات والمعابد الوثنية، وذلك بإضافتهم للطابع الروماني عليها.

هـ- كانت سورية مركزاً ثقافياً مهماً بدا تأثيره واضحاً في مجالات عدّة منها الشعر والخطابة والبلاغة والفقه والعلوم الفكرية ، فقد برز عدد من الشعراء والبلغاء والخطباء ممن أثروا الحضارة الرومانية.

المصادر و المراجع

أولاً: المصادر العربية

١. أفلاطون، الجمهورية، ترجمة، فؤاد زكريا، القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٨٥م.
٢. ليبانيوس، أنطاكية القديمة، ترجمة، محمد الزرقة، دمشق، دار إسكندرون، ط١، ٢٠٠٤.
٣. فيلون، التاريخ الفينيقي، ترجمة، عيد مرعي، دمشق، الأبجدية للنشر، ط١، ١٩٩٣.
٤. سترابون، جغرافية سترابون، ت، محمد المبروك الزويب، الكتاب ١٦، بنغازي، منشورات جامعة قار يونس، ٢٠٠٦.
٥. لوقيانوس، الآلهة السورية، تعريب، موسى ديب الخوري، دمشق، ط١، ١٩٩٣.
٦. لوقيانوس، مسامرات الأموات، ترجمة، إلياس سعد غالي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، (د. ط)، (د. ت).
٧. لوقيانوس، أعمال لوقيانوس، ترجمة، سعد صائب ومفيد عرنوق، دار المعرفة، ط١، ١٩٨٧م.
٨. أعمال الرسل، ٢٧ : ٢٢.
٩. أعمال الرسل، ١١ : ٥.

ثانياً: المراجع العربية

١. أبو عساف، علي، الآراميون تاريخ ولغة وتراث، دار أماني للنشر، ط١، ١٩٨٨م.
٢. أحمد علي، عبد اللطيف، مصادر التاريخ الروماني، بيروت، ١٩٧٠.
٣. أحمد علي، عبد اللطيف، التاريخ الروماني (عصر الثورة من تيبيريوس إلى أكتافيوس)، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٠.
٤. أسعد عيسى، تاريخ حمص، منشورات السايح، طرابلس، المنشورات الجامعية، ج ١، ١٩٨٣م.
٥. إسماعيل علي، أحمد علي، تاريخ بلاد الشام القديم، مجلد (١)، طبعة أولى، ١٩٩٨، دمشق، مركز الشام للخدمات والطباعة، ١٩٩٨.
٦. أمهرز، محمود، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت، دار النهضة العربية، ط١، ٢٠٠٩.

٧. باقر، طه، المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة، بغداد، مديرية الفنون والثقافة الشعبية، ط٢، ١٩٦٢
٨. جاموس، بسام، المسارح في سورية، منشورات وزارة الثقافة، ط١، ٢٠١٢
٩. جبيري، عبد المنعم، المرأة عبر التاريخ البشري، دمشق، دار الأوائل للنشر، ٢٠٠٦.
١٠. جوهر، هاني، اليهود في فلسطين في العصرين البطلمي والسلوقي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، ٢٠٠٥م.
١١. جيبون، إدوارد، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية، دار الكتاب العربي، د.ت، ج١.
١٢. حنّ، فيليب، خمسة آلاف عام من تاريخ الشرق الأدنى، المجلد الأول، بيروت، دار المتحدة للنشر، ط٢، ١٩٨٢.
١٣. حلمي محروس، اسماعيل، الشرق العربي القديم وحضارته، القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٧.
١٤. البيومي، محمد رضا، الحياة الاجتماعية وحقوق المواطنة في الدولة السلوقية، جامعة الزقازيق، ١٩٩٩.
١٥. الحلو، عبد الله، سورية القديمة، دمشق، مطبعة ألف باء، ٢٠٠٤.
١٦. الحلو، عبد الله، صراع الممالك في التاريخ السوري القديم، بيروت، بيسان للنشر والتوزيع، ١٩٩٩.
١٧. الحوراني، يوسف، مجاهل تاريخ الفينيقيين (خلال سانخونياتن البيروتي وفيلون الجبيلي)، بيروت، منشورات دار الثقافة، ط١، ١٩٩٩.
١٨. داوود، أحمد، تاريخ سورية الحضاري، ج٤، دار الرأي، ط١، ٢٠٠٦.
١٩. الدباغ، تقي: آلهة فوق الأرض، جامعة بغداد، د.ت.
٢٠. الدباغ، تقي، الفكر الديني القديم، بغداد، ط١، ١٩٩٢.
٢١. درويش، مصطفى محمود، تاريخ اليونان، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٩، ١٩٩٨.
٢٢. دوسو، رنيه، الديانات السورية القديمة، بيروت، دار صادر، ط٢، ١٩٨٤، ص١٥٨.
٢٣. زناتي، محمود سلام، المرأة عند الرومان، الإسكندرية، دار الجامعات المصرية للطباعة والنشر، ١٩٥٨.
٢٤. زهيراتي، متوديوس، الإسكندر الكبير فتوحاته وريادة الفكر اليوناني في الشرق، دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط١، ١٩٩٩.
٢٥. سارة، خليل، تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، جامعة دمشق، ٢٠٠٤-٢٠٠٥
٢٦. السفان، جلال، أوضاع المرأة الاجتماعية في الحضارات القديمة، دمشق، مطبعة اليازجي، ٢٠٠٤.

٢٧. السقاف، ألكار، الدين عند الإغريق والرومان والمسيحيين، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ط١، ٢٠٠٤.
٢٨. سليم، أحمد، تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٩٠.
٢٩. السواح، فراس، ملحمة أقهات الأوغاريتية (نموزج في الميثولوجية المقارنة)، بيروت، دار صادر، ط٣، ٢٠١٣.
٣٠. شاهين، علاء الدين، حضارات بلاد الشام والعراق القديم، القاهرة، دار الفكر، ٢٠٠٧.
٣١. الشريف، علي، تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر، القاهرة، (د. ط) ، ٢٠١٠.
٣٢. شفيق جحا، وآخرون، حضارات العالم في العصور القديمة والوسطى، بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٩٩.
٣٣. الشناوي، أحمد، عادات الزواج وشعائره، مصر، دار المعارف، ١٩٥٧.
٣٤. الشهابي، قتيبة، هنا بدأت الحضارة، دمشق، الأبجدية للنشر، ط١، ١٩٨٨.
٣٥. الشيخ، حسين، دراسات في تاريخ وحضارة اليونان والرومان، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧.
٣٦. الشيخلي، عبد القادر، الوجيز في التاريخ القديم، بغداد، جامعة بغداد، ط١، ١٩٩٠.
٣٧. صبحي، أحمد محمود، في فلسفة الحضارة الإغريقية، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، (د. ت) ١٩٧٢.
٣٨. طعيمية، صابر عبد الرحمن، اليهود بين الدين والتاريخ، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٧٢.
٣٩. طلاس، مصطفى، زنوبيا ملكة تدمر، دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٩.
٤٠. العابد، مفيد، إنشاء المدن في إطار السياسة السلوقية لهلينية سورية، القاهرة، ١٩٧١م.
٤١. العابد، مفيد، دراسات في تاريخ الإغريق، الطبعة الرابعة، دمشق، دار الكتاب، ١٩٩٠ - ١٩٩١.
٤٢. عاشور، لبيب، الآلهة في المجتمع السلوقي، بيروت، دار صادر، ط٢، ٢٠٠٥.
٤٣. عامر، غالب، داوود، تمر، جبل العرب في العصور القديمة، دمشق، ط٢، ١٩٩٨.
٤٤. عباس، احسان، تاريخ دولة الأنباط، دارالشروق، ط١، ١٩٨٧.
٤٥. عباس، عبد الهادي، المرأة والأسرة في حضارات الشعوب وأنظمتها، ج٢، دمشق ١٩٨٧.
٤٦. عبد التواب، رمضان، قواعد الساميات، مصر، منشورات الخائجي، ١٩٨١.
٤٧. عبد الجواد، توفيق أحمد، تاريخ العمارة والفنون في العصور الأولى، ج١، ط٢، ١٩٧٠.

٤٨. عبد الفتاح، سامي، محاضرات في تاريخ مصر في عصري البطالة والرومان، القاهرة، (د. ت).
٤٩. عبده، سمير، التحليل النفسي للعقلية السورية، دمشق، دار حسن ملص للنشر، ط١، ٢٠٠٢.
٥٠. عثمان، سهيل، الأصغر، عبد الرزاق، معجم الأساطير اليونانية والرومانية، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٨٢.
٥١. عكاشة، علي، اليونان والرومان، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩١.
٥٢. عمران، كامل، مقومات المجتمعات القديمة والحديثة، بيروت، دار النهضة، ١٩٧٤.
٥٣. غلاب، محمد السيد، الساحل الفينيقي وظهيره في أم الجغرافية والتاريخ، بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٦٩.
٥٤. غلف، بورسل، أباطرة وشيوخ رومان من المشرق العربي، دمشق، ط١، ٢٠٠٨.
٥٥. فرج، توفيق حسن، القانون الروماني، بيروت، الدار الجامعية للطباعة والنشر، ١٩٨٥.
٥٦. فرح، أبو اليسر، الشرق الأدنى في العصرين الهلينستي والروماني، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط٢، ٢٠٠٢.
٥٧. فرح، نعيم، التاريخ القديم وماقبله، دمشق، مؤسسة الأمالي والمراسلات الجامعية، ١٩٧٩-١٩٨٠.
٥٨. قادوس، عزت زكي حامدة، آثار الوطن العربي في العصرين اليوناني والروماني (القسم الآسيوي)، دار المعرفة، ط٢، ٢٠٠٠.
٥٩. قصاب، عبد اللطيف ياسين، المرأة عبر التاريخ، دمشق، ٢٠٠٢.
٦٠. كامل، مراد، والبكري، محمد حمدي، تاريخ الأدب السرياني، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د. ت.
٦١. الماجدي، خزل، المعتقدات الآرامية، الشروق، ليبيا، ٢٠٠٠.
٦٢. محفل، محمد، دراسات في تاريخ الرومان، ج١، دمشق، المطبعة الجديدة، ١٩٨١-١٩٨٢.
٦٣. محمود، مراد، تاريخ النساء الفلاسفة، دار الفكر، ٢٠٠٧.
٦٤. مصطفى، ممدوح، السايح، إبراهيم: تاريخ اليونان، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٨-١٩٩٩.

٦٥. المقداد محمد رياض، "حمامات بصرى في العهد الروماني والمملوكي"، الحوليات الأثرية، دمشق، وزارة الثقافة، المديرية العامة للآثار والمتاحف، مجلد ٤١، ١٩٩٧.
٦٦. مكاوي، فوزي، الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والروماني، القاهرة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، ط١٩٩٩.
٦٧. هبو، أحمد أرحيم، المدخل إلى اللغة السريانية، دمشق، مطبعة دار الكتب، ١٩٨٩م.
٦٨. هندي، إحسان، شعراء سورية في العصر الهلنستي، دمشق، الهيئة السورية العامة للكتاب، ٢٠١٠.
٦٩. وردة، نخلة، حضارة أنطاكية عبر العصور، دمشق، ط٢، ١٩٥٦.
٧٠. اليازجي، عيسى، مآثر سورية في العصر الروماني، بيروت، دار الفكر للأبحاث، طبعة أولى، ١٩٩١م.
٧١. يحيى، لطفي عبد الوهاب، وآخرون، التاريخ اليوناني والروماني، القاهرة، مطابع مجموعة مؤسسات الهلال، ط١، ١٩٨٦.
٧٢. يحيى، لطفي، تاريخ اليونان والرومان، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط٢، ٢٠٠٩.

ثالثاً: المراجع العربية

١. ألتهام، فرانتس، إله الشمس الحمصي والديانات الشرقية في الإمبراطورية الرومانية، تعريب، إيرنيا داوود، مراجعة، فراس السواح، دارالمنارة، ط١، دمشق، ١٩٩٠.
٢. إيمار، أندريه، جانين أوبوابه، روما وإمبراطوريتها، ت، يوسف داغر فريد، منشورات عويدات، بيروت لبنان، ١٩٦٤.
٣. بابليون، جان، امبراطوريات سوريات، تاريخ فترة التأثير السوري في الإمبراطورية الرومانية، ترجمة يوسف شلب الشام، دمشق، العربي للطباعة، ١٩٨٧.
٤. باسوك، دانييل، المسيحية وأساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم، تعريب، سعد رستم، صفحات للدراسات والنشر، ط٢، دمشق، ٢٠٠٧.
٥. بتري. أ، مدخل إلى تاريخ الرومان وآدابهم وآثارهم، تحقيق يوثيل يوسف عزيز، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٧٥.

٦. براستد، جايمس هنري، العصور القديمة، ترجمة، داود قربان، بيروت، المطبعة الأميركية، ط٢، ٢٠٠٩.
٧. بيكرمان، ي، الدولة السلوقية، ت: حسان إسحاق، ط١، دمشق، دار الأبجدية، ١٩٩٣.
٨. تارن، وليم، الحضارة الهلينستية، ترجمة، عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٦.
٩. تورتون، جودفري، أميرات سوريات حكمن روما (١٩٣ - ٢٣٥م)، تحقيق، خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو، دمشق، دار الريم للنشر والتوزيع، ١٩٨٧.
١٠. جينبير، شارل، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة، عبد الحليم محمود، القاهرة، دار المعارف، ط٣.
١١. حتّي، فيليب، لبنان في التاريخ، ترجمة، أنس فريحة، مراجعة نقولا زيادة، مؤسسة فرانكلين، بيروت، نيويورك، ١٩٥٩.
١٢. حتّي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة، جورج حداد، وعبد الكريم رافق، ج١، بيروت، دار الثقافة، ١٩٥٨.
١٣. حتّي، فيليب، تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر، ترجمة، أنيس فريحة، مراجعة نقولا زيادة، بيروت، دار الثقافة، ط٣، ١٩٧٨.
١٤. الدبس، يوسف، تاريخ سورية الديني والدنيوي، مراجعة، مارون رعد، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٨٩٥.
١٥. دنتزر، جان ماري وغافليكوفسكي، ميشيل، المعبد السوري، تعريب، موسى ديب الخوري، دمشق، دار الأبجدية، ط١، ١٩٩٦.
١٦. دويون، سومر، الآراميون، تعريب، ناظم الجندي، مراجعة، توفيق سليمان، دار أماني، ط٢، ١٩٩٩.
١٧. ددلي، دونالد، حضارة روما، تعريب، جميل الذهبي، فاروق فريد، القاهرة، دار النهضة، ١٩٧٧.
١٨. ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، مراجعة لجنة من الاختصاصيين بإشراف سعيد اللحام، م٢، بيروت، دار نوبليس، ط١، ٢٠٠٨.
١٩. رستوفتزف، ميخائيل، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، مراجعة زكي، محمد سليم، دمشق، ١٩٩٦.
٢٠. زودن، ف.فون، مدخل إلى حضارات الشرق القديم، ترجمة، فاروق إسماعيل، ط٢، ٢٠٠٥.

٢١. سارتون، جورج، الحضارة الهلنستية في القرون الثلاثة الأخيرة قبل الميلاد، ترجمة لفييف من العلماء، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٧٨.
٢٢. سفينسيسكايا، إ، س، المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، تعريب، حسان ميخائيل إسحق، دمشق، دار علاء الدين، ط٢، ٢٠٠٧.
٢٣. سيريج، هنري: آلهة الثلاث الشمسي بعلبك وهياكلها، تعريب: موسى ديب الخوري، الأبجدية للنشر، ط١، ١٩٩٦.
٢٤. شوفان، بيير، أواخر الوثنيين، تعريب، سلمان حرفوش، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٧م.
٢٥. شيفمان، أ.ش، المجتمع السوري القديم، ترجمة، حسان إسحاق، دمشق، منشورات مؤسسة الوحدة، ١٩٨٧.
٢٦. شيفمان، أ.ش، ثقافة أوغاريت، تعريب، حسان إسحاق، دمشق، الأبجدية للنشر، ط١، ١٩٨٨م.
٢٧. فريزر، جيمس، أدونيس وتموز، تعريب، جبرا ابراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٣، ١٩٨٢م.
٢٨. كرا فتشوك، ألكسندر، الوثنية والمسيحية، تعريب، كبرولحدو، دمشق، دار الحضارة، ط١، ١٩٩٦.
٢٩. كلينغل، هورست، آثار سورية، ترجمة: قاسم طوير، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٨٥.
٣٠. كيندر، هيرمن، تاريخ العالم من البدايات حتى الزمن الحاضر، ترجمة إلياس عبدو الحلو، بيروت، مكتبة الشرقية، ط٢، ٢٠٠٣.
٣١. مونيه، ماريو، الآلهة السورية، تعريب، موسى الخوري، ط٢، ١٩٩٢.
٣٢. ميديكو، ه.ي. ديل، اللآلئ من النصوص الكنعانية، تعريب، مفيد عرنوق، بيروت، دارأمواج للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٨٩م.
٣٣. هيروسن، بطرس، التأثير السوري في الإمبراطورية الرومانية، ترجمة، جميل درغام، دمشق، دار العربي للترجمة والنشر، ط٢، ١٩٩٧.
٣٤. وورث، تشارلز، م.ب، الإمبراطورية الرومانية، رمزي عبده جرجس، الإقليم الجنوبي، وزارة الثقافة، ١٩٩٩.

رابعاً: المجلات العربية.

١. ابن ذريل، عدنان، "الآلهة السورية"، الحوليات الأثرية السورية، ج١، مجلد ١٥، دمشق، ١٩٦٥، ط١، دمشق ١٩٩٦.
٢. بن عبد الله، زهية، "الحمامات في العهد الروماني"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ١٨، ٢٠١٥.
٣. جانيف، محمد، "إشكالية التفسير" مجلة دراسات تاريخية، عدد ٧٧ - ٧٨ - دمشق ٢٠٠٢.
٤. جبلي، جورج، ن، حمامات السويداء في العصر الروماني، مجلة آفاق المعرفة، العدد ٦٣٩، ٢٠٠٦.
٥. حمدان، عبد المجيد، "الإمبراطور الروماني فيليب العربي"، مجلة دراسات تاريخية، عدد ٨٥ - ٨٦، دمشق ٢٠٠٤.
٦. حمدان، عبد المجيد، "العبيد عند الرومان خلال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد"، مجلة دراسات تاريخية، العددان ١١٧-١١٨، دمشق، ٢٠١٢.
٧. كاظم عجيل، رجاء، الديانة في بلاد اليونان، مجلة آداب ذي قار، العدد ٢، المجلد ٢.
٨. حاتم، أنور، "الذكريات السورية في روما"، الحوليات الأثرية السورية، مجلد ١١، دمشق، ١٩٦١.
٩. حاتم، أنور، "الذكريات السورية في روما"، الحوليات الأثرية السورية، م ١١، ١٢، دمشق، ١٩٦١ - ١٩٦٢ م.
١٠. حداد، جورج، "عناصر السكان في انطاكية في العصر الهلنستي الروماني"، الحوليات الأثرية السورية، م ١، دمشق، ١٩٥١.
١١. زهدي، بشير، "بناء المدن وتنظيمها"، الحوليات الأثرية السورية، مجلد ٤ - ٥، دمشق ١٩٥٤ - ١٩٥٥.
١٢. خياطة، محمد وحيد، "علاقات تدمير الخارجية تجارياً ودينياً"، الحوليات الأثرية السورية، مجلد ٤٢، ١٩٩٦ م.
١٣. زهدي، بشير، "لمحة عن الحلي الذهبية القديمة وروائعها"، الحوليات الأثرية السورية، دمشق، مجلد ١٣، ١٩٦٣.

١٤. شعث، شوقي، "المكتشفات الأثرية الأروادية"، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مجلد ١٦، ج ١، ١٩٦٦.

١٥. كلينغل، هورست، "تدمير والتجارة العالمية في العصر البرونزي"، ترجمة، بسام جاموس، الحوليات الأثرية السورية، المجلد ٤٢، دمشق، ١٩٩٦.

١٦. دروس، ميلر، "بصرى في بلاد العرب مدينة نبطية رومانية في بلاد الشام"، تحقيق، شوقي شعث، الحوليات الأثرية السورية، مجلد ٣٦، ١٩٨٧.

١٧. خامساً: الموسوعات

١٨. زيادة، نقولا، فلسطين من الإسكندر إلى الفتح العربي، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، ستة مجلدات، مجلد ٢، ط ١، بيروت.

١٩. حماد، حسين فهد، موسوعة الآثار التاريخية (حضارات، شعوب، مدن، عصور، حرف، لغات)، الأردن، عمان، دار أسامة، ٢٠٠٣.

سادساً: المصادر الأجنبية

1. Coquais , R ., Inscriptions Grecques et Latines, VII , 1970.
2. Inscriptiones Grecques et Latines de la Syrie. - Publication commence par Louis Jalabert et Rene Mouterde, continue par Claude Mondesert et Jean - Paul Rey Coquais, I - VII. - Edited by J. P. Rey - Coquais. Paris, 1967.
3. Corpus Inscriptionum Latinarum. Edited by Deutsche Akademie der Wissenschaftenzu Berlin, Akademie der Wissenschaften der DDR. G. Reimer, 1893. III. 6671.
4. Corpus Inscriptionum Semiticarum, Vol. I, Académie des inscriptions & belles-lettres, Ed. By Reipublicae Typographeo. Paris, 1881. II. 3919.
5. Flavius Josephus, The works of Flavius Josephus, translated by William Wh. Ston A. M, London, book VII.
6. Plutarch, Les oeuvres Morales & Meslees de plutarque, translates de grec en françois par Jacques A MYOT, Paris: M. de vascosan, 1572, R Paris: Mouton. etc, 1971.

7. Malalas, Johanna: Book 8:12.

سابعاً: المجلات الأجنبية

1. AL Maqdissi, Michel., The Syrian coast, sea routes, edited by Nicholas Stampoldis, Athens, 2003.
2. Blyth P. H., The consumption and cost of fuel in hypocaust baths, Roman bath and bathing in: Journal of Roman Archaeology First international 1992.
3. Bruun, Ownership of bath in Rome and the evidence from lead pipe installations, Roman bath and bathing , Journal of Roman Archaeology. first international, 1991, part 1.
4. Cross,f,l., The Oxford Dictionary OF The Christian church,Oxford press1941,1091.
5. David , S., Augustus Caesar, London & New York, 1991,.
6. Delaine, J., Benefaction and renewal bath building in Roman Italy, Roman bath and bathing: Journal of Roman Archaeology. 1992.
7. Finlayson, C, New excavations and a reexamination of the great Roman theater at A pamea, American Journal Archaeology.
8. Franz ,C., The Frontier Provinces of the East, the CAH ,Vol (XI), Cambridge University press,1980.
9. Hamond , N , G , L, Scullard., The Oxford Classical Dictionary edition, Oxford.
10. Julian Bennett, Trajan: optimus princeps : a life and times ,New York & London: Routledge, 1997.
11. Nock, A. D. and Hov. LLD, M. A: The development of Paganisin in Roman Empire, The Cambridge Ancient History - Vol (XII) University press, 1981 .
12. Nock,A,Dand Hov.LLD,M.A.,The development of Paganisin in Roman Empire, The Cambridge Ancient History – Vol (xll) University,1981.
13. Rostovt zeff .M., "Syria and the East", CAH, vol. vii, 1964.
14. Rostovtzeff, M. Hadad and Atragtis at Palmyra, American Journal of Archeology, USA, 1933.
15. Skupinska L. I., Omnipotents et omniparens dea Syria, Aspects of her iconography. Zagreb, 2005.
16. Spiedel, M. (1993). "Commodus the God-Emperor and the Army". Journal of Roman Studies. 83.

ثامناً: المراجع الأجنبية

1. Abed Elghany, M., Zenon in Syria and Palestine, Alexandria Eil Mondo Ellenistico Roman , Roma, 1950.
2. Baptiste, Jean., Les Notables De Palmyre. T 163. Beyrouth, 2002.
3. Bauman.A.,Richard human Rights in ancient Roman,London and New York,2000.
4. Bevan , E .,The House of Sleucus ,first published , London 1902.
5. Bikerman,E.,Institution des Seleucides,Paris,1938
6. Birley, A., Septimius Severus, The African emperor, London.
7. Boat wright, Mary - J. Gargola Richard, Paniel - Talbert J. A., The Roman from village to Empire, New York Oxford university press, 2004, p 410.
8. Bouchier, E., Syria as a Roman Province, New York, 1962.
9. Brian, C, Greek and Roman military Writers, London, New York, 2004.
- 10.Brody, L. Yale University and Dura – Europos from excavation to Exhibition, Yale university, 2008.
- 11.Bunson,Mathew.,encyclopedia of Roman empire, facts on file,Inc,2004.
- 12.Butcher, K. Tow Syrian deties Syria. Archéologie, art et histoire, 2007.
- 13.Dabrowa, E., The Governors of Roman Syria from Augustus to Septimius Severus, Bonn, 1998.
- 14.David , SH., Augustus Gasar, London , New York 1991.
- 15.Downey, G., A history of Antioch in Syria from Seleucid to the Arab conquest. press, New Jersy, 1961.
- 16.Downey, G., Ancient Antioch ,Princeton, 1963.
- 17.Finlayson, C., The woman of Palmyra, textile workshops and the influence of the silk trade in Roman Syria, USA, 2002.
- 18.Fowler, in fifteen volumes, volume x,77le-854d, harverd university press,1960. Plutarch's:Moralia an Enghlish translation by Harold north
- 19.Gary, F, A., Critical History of Early Rome, University of California, press, 2005.
- 20.Giuliani, C. Maamoun, A. Apollodorus of Damascus and Trajan's Column: From Tradition to Project, L'Erma di Bret Schneider, 2003.
- 21.Heichelheim , F , M., Roman Syria (an economic survey of ancient Rome) , New York.
- 22.Herbert, A. Strong, M, A. Lucian s De Dea Syria, with life of Lucian, The Syrian goddess, London, 1913.

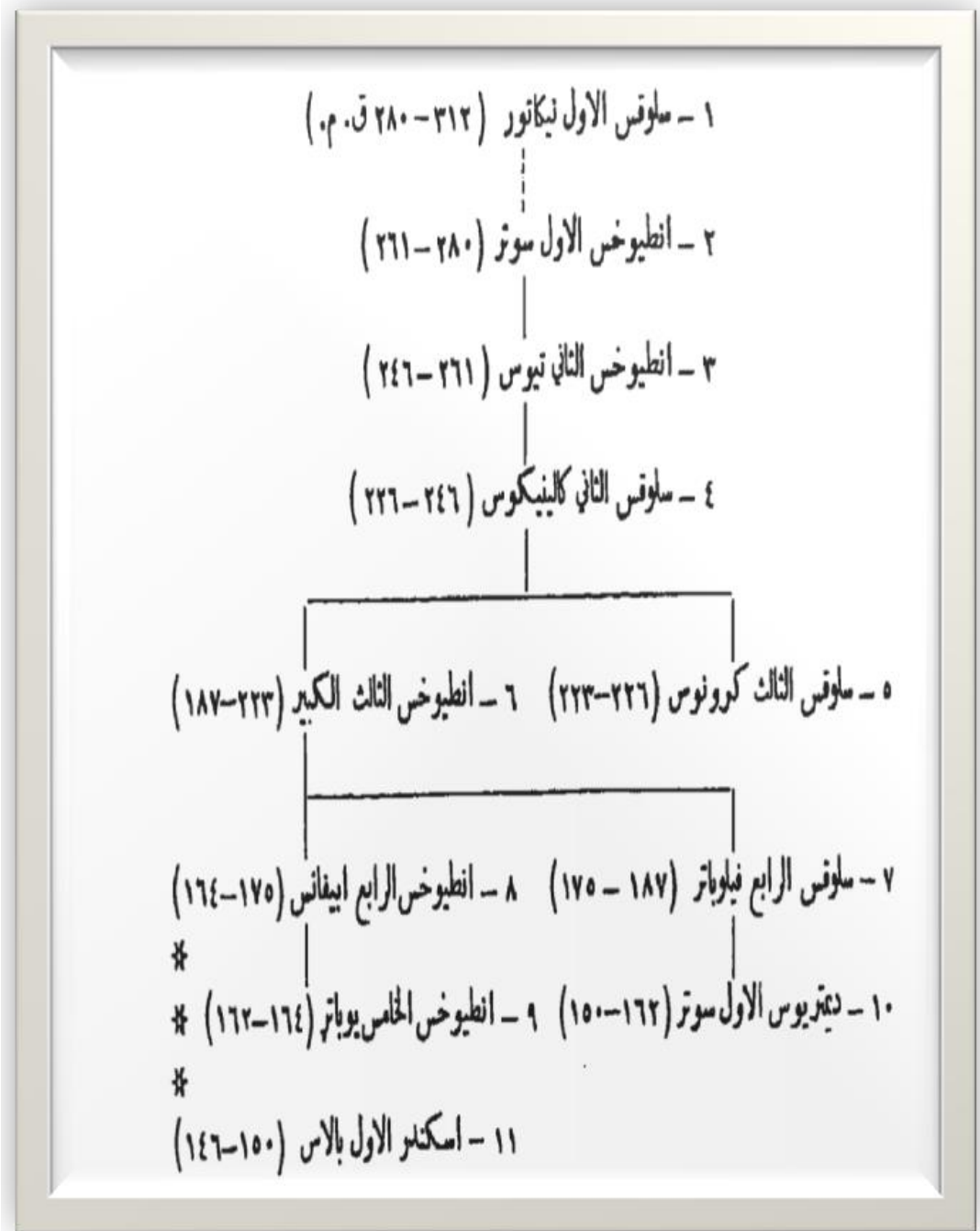
23. Histoire Augusta les Empereurs Romains, Traduction du Latin Edition bilingue Latin français par. André Chastagnier - Robert La Font - Paris.
24. Hitti, Philip., Lebanon in History, London, 1967.
25. James, Henry., The conquest of Civilization, New York and London, 1938
26. Jones, A. H. M., Cities of the Eastern Roman province. Oxford. 1977.
27. Jones, A. H. M., The Greek city, Oxford, 1940.
28. Isaac, B., The limits of Empire "The Roman Army in The East", c. champion Roman imperialism, USA, 2004, pp. 278 - 283.
29. Luciani, D., The Palmyrenes of Dura Europos, Leiden, Brill, Netherlands, 1999.
30. Mathew, B., Encyclopedia of the Roman Empire Facts on File, 2004.
31. Millar, F., The Roman Near East, second printing, Harvard 1994.
32. Müller, W., Asian and Europa, Leipzig, 1938.
33. Olmstead, A. T., History of Persian Empire, Chicago, 1948.
34. Pharr, C., Sociologie du mariage chez les Romains, 1934.
35. Philostratus and Eunapius., The lives of the Sophists, ed A and H: Wilmer Wright (London, 1992).
36. Pollard, N., Soldiers, cities, and civilians in Syria, The University of Michigan Press 4th, U. S. A, 2000.
37. Rostovtzeff, M., The social and Economic history of the Hellenistic world, New York, vol1, 1998.
38. Rostovtzeff, M. Hadad and Atratis at Palmyra.
39. Rostovtzeff, M. History of ancient World. Oxford, 1962
40. Rostovtzeff, M. La Syrie Romaine, Reviewed work, Revue Historique, T. 175 Rostovtzeff, P. Pierre. - Presses Universitaires de France, France, 1935.
41. Rostovtzeff, M., History of ancient world, Oxford, 1962.
42. Sartre, A. Sartre, M. Palmyre la cite des caravanes, Archeologie, France, 2008.
43. Sartre, M. D. Alexander and Zenobia, Fayard, Paris, 2001.
44. Segal, A., Theatres in Roman Palestine and provincia Arabia, New York, 1995.,
45. Speidel, Michael, P., The religion of Jupiter Dolichenus in the Roman army E. J Brill - Leiden, 1978.
46. Tarn, W., Hellenistic civilization, London, 1960.
47. Tarn, W., The Greek in Bactria and India, 3rd edition, Chicago, 1984.
48. Ulansey, David., The origins of Mithraic mysteries, Oxford University press, 1989.
49. Walbank, F. M., The Hellenistic world, London, 1992.

50. Walis, E. A. K. L., *Annals of the king of Syria*, V. I. London, 1902.
51. Wallon, H. A., *Histoire de l'esclavage dans l'antiquité*. Paris, 1847. Vol. III.
52. Welles, C. B., *Royal Correspondence of the Hellenistic Period*, New Haven, 1934.
53. Westerman. W. L., *The slave systems of Greek and Roman Antiquity*. Philadelphia, 1955.
54. Wiesbaden Drob, K., *Textile trade and distribution from the ancient near east, contribution to the study of ancient world cultures*, Harrassowitz Verlag, 2014.
55. Wlattaker. C. R., *Roma and Frontiers*, New York & London, 2004.

الملاحق

الملحق الأول:

قائمة بأسماء الملوك السلوقيين و سنوات حكمهم:

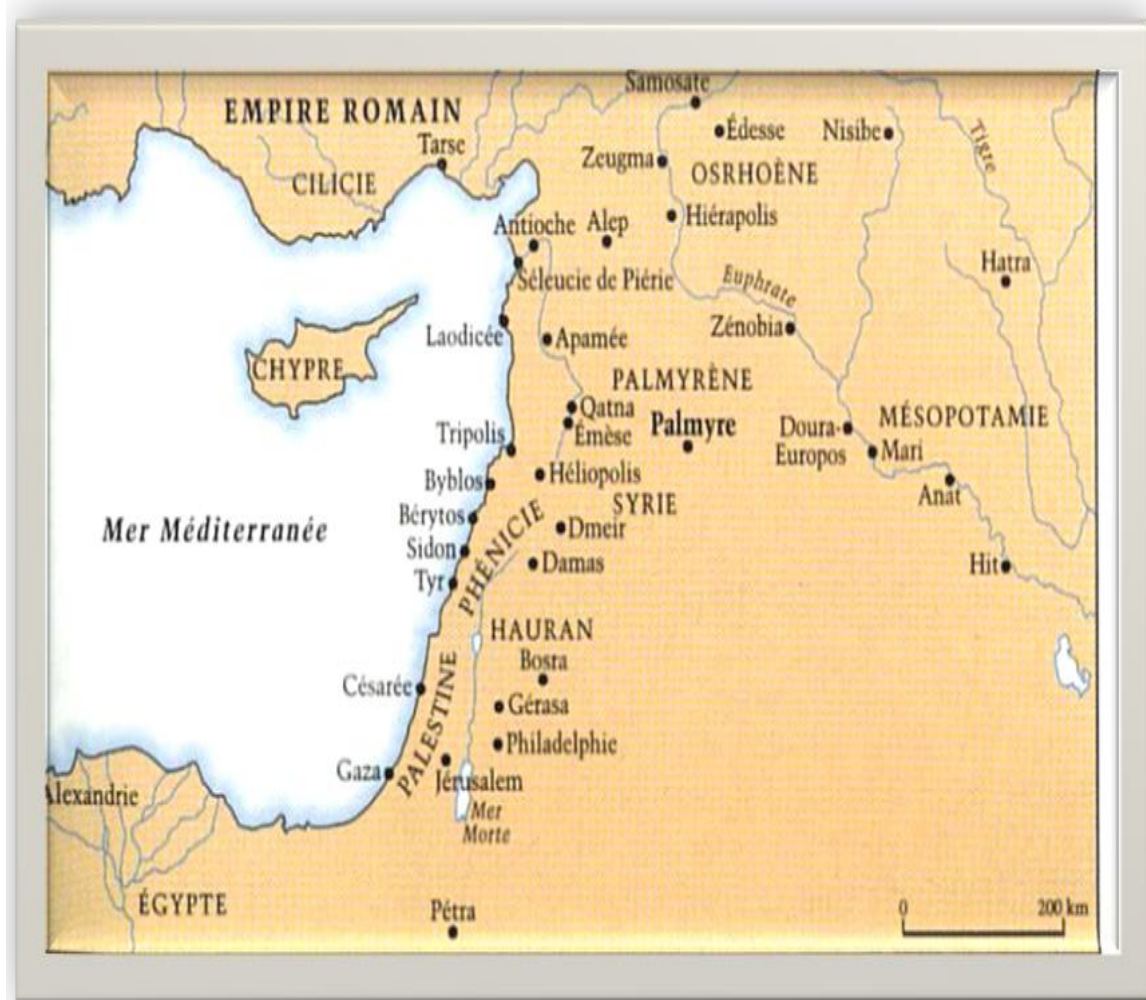


قائمة بأسماء الأباطرة الرومان وسنوات حكمهم:

Augustus (14 – 27) BC – AD	أوغسطس (٢٧ ق.م – ١٤ م)
Tiberius (14 – 37) AD	تيبيريوس (١٤ – ٣٧ م)
Caligula (37 – 41) AD	كاليغولا (٣٧ – ٤١ م)
Claudius (41 – 54) AD	كلاوديوس (٤١ – ٥٤ م)
Nero (54 – 68) AD	نيرون (٥٤ – ٦٨ م)
Galba (68 – 69) AD	جالبا (٦٨ – ٦٩ م)
Otho (69) AD	أوتو (٦٩ م)
Vitellius (69) AD	فيتيلوس (٦٩ م)
Vespasian (69 – 79) AD	فيسبيان (٦٩ – ٧٩ م)
Titus (79 – 81) AD	تيتوس (٧٩ – ٨١ م)
Domitian (81 – 96) AD	دوميتيان (٨١ – ٩٦ م)
Nerva (96 – 98) AD	نيرفا (٩٦ – ٩٨ م)
Trajan (98 – 117) AD	تراجان (٩٨ – ١١٧ م)
Hadrian (117 – 138) AD	هادريان (١١٧ – ١٣٨ م)
Antoninus Pius (138 – 161) AD	أنتونيوس بيوس (١٣٨ – ١٦١ م)
Marcus Aurelius (161 – 169) AD	ماركوس أوريليوس (١٦١ – ١٦٩ م)
Lucius Verus (169 – 180) AD	لوسيوس فيروس (١٦٩ – ١٨٠ م)
Commodus (180 – 192) AD	كومودوس (١٨٠ – ١٩٢ م)
Pertinax (193) AD	برتيناكس (١٩٣ م)
Didius Julianus (193) AD	دوديوس جوليانوس (١٩٣ م)
Claudius Albinus (195 – 197) AD	كلاوديوس ألبينوس (١٩٥ – ١٩٧ م)
Niger (193 – 194) AD	نيجر (١٩٣ – ١٩٤ م)
Septimius Severus (193 – 211) AD	سبتييموس سيفيروس (١٩٣ – ٢١١ م)
Geta (211 – 212) AD	جيتا (٢١١ – ٢١٢ م)
Caracalla (212 – 217) AD	كراكلا (٢١٢ – ٢١٧ م)
Macrinus (217 – 218) AD	ماكرينيوس (٢١٧ – ٢١٨ م)
Elagabalus (218 – 222) AD	إيلاجبال (٢١٨ – ٢٢٢ م)
Severus Alexander (222 – 235) AD	ألكسندر سيفيروس (٢٢٢ – ٢٣٥ م)

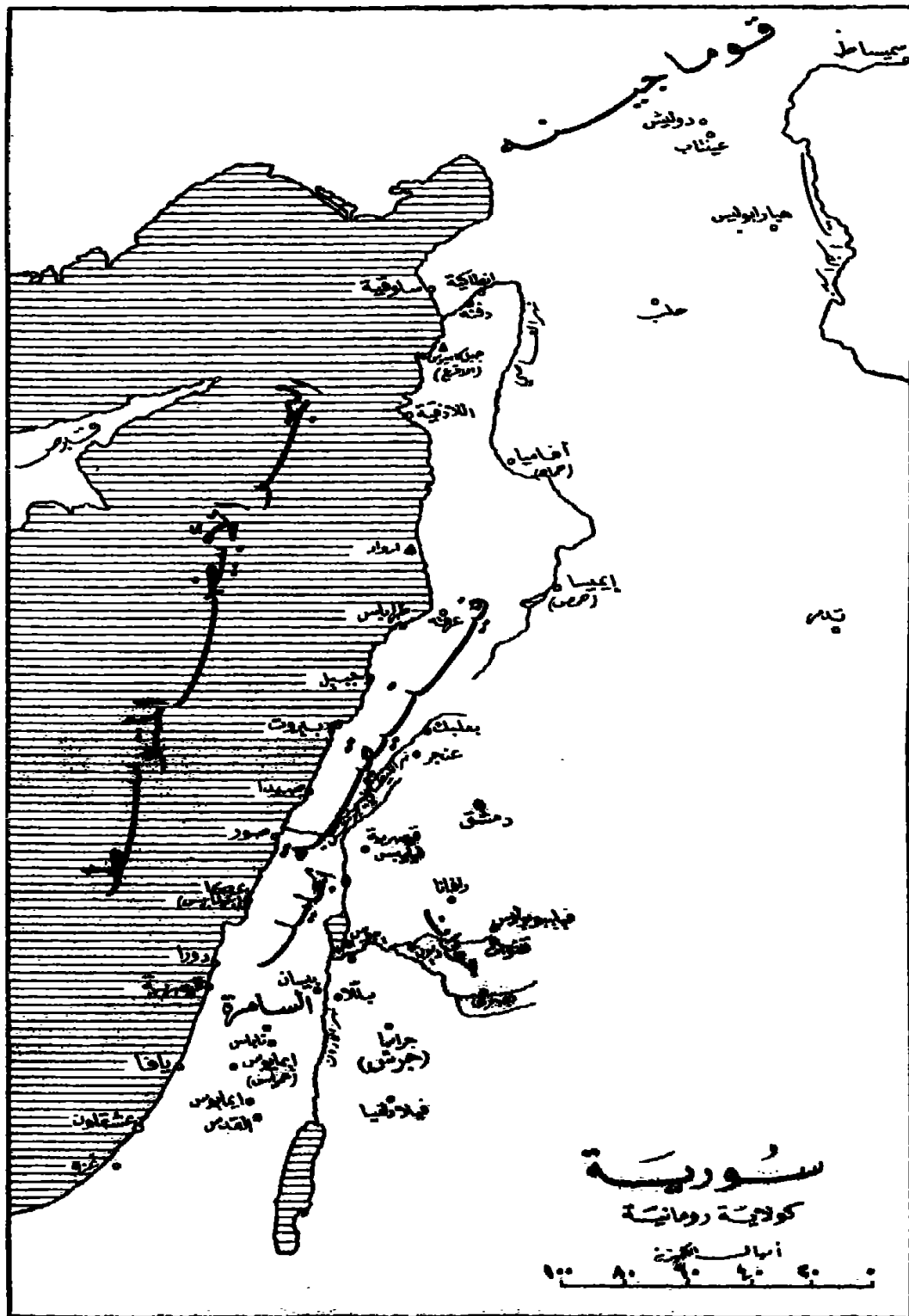
Maximus (235 – 238) AD	ماكسيموس (٢٣٥ – ٢٣٨ م)
Gordinus (238) AD	جورديان الأول (٢٣٨ م)
Gordinus (238 – 244) AD	جورديان الثالث (٢٣٨ – ٢٤٤ م)
Philip The Arabian (244 – 249) AD	فيليب العربي (٢٤٤ – ٢٤٩ م)
Decius (249 – 251) AD	ديقيوس (٢٤٩ – ٢٥١ م)
Valerian (253 – 268) AD	فاليريان وابنه جاليينوس (٢٥٣ – ٢٦٨ م)
Victorinus (268 – 270) AD	فيكتوريونوس (٢٦٨ – ٢٧٠ م)
Aurelian (270 – 275) AD	أورليان (٢٧٠ – ٢٧٥ م)
Tacitus (275 – 276) AD	تاكيتوس (٢٧٥ – ٢٧٦ م)
Florianus (276) AD	فلوريانوس (٢٧٦ م)
Probus (276 – 282) AD	بروبوس (٢٧٦ – ٢٨٢ م)
Carus (282 – 283) AD	كاروس (٢٨٢ – ٢٨٣ م)
Carinus (283 – 285) AD	كارينوس (٢٨٣ – ٢٨٥ م)
Diocletian (284 – 305) AD	ديوكليتيان (٢٨٤ – ٣٠٥ م)

الخرائط المعتمدة بالبحث :



خريطة تبين أهم المدن السورية في الفترة الرومانية^(١)

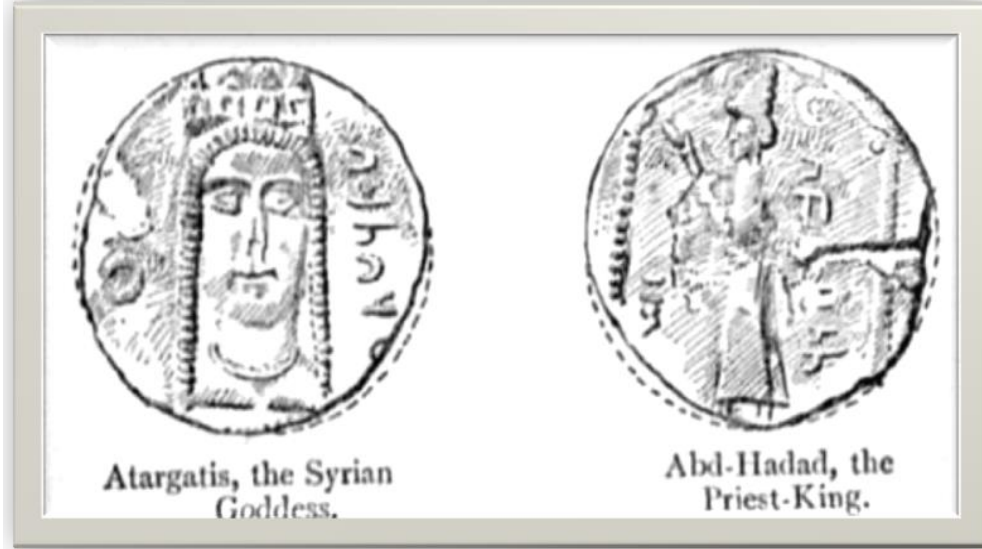
(1) Sartre, M, . D.Alexander a Zenobie, p. 55.



خريطة تبين أهم المدن السورية في الفترة الرومانية^(١)

(١) حَتِّي، فيليب، تاريخ سورية و لبنان و فلسطين، ص ٣٣٨.

ملحق الصور المعتمدة في البحث:



الشكل رقم (١) صورة تمثل على اليمين الإله حداد وعلى اليمين أتراغتس^(١)



الشكل رقم (٢) أتراغتس^(٢)

-
- (1) Herbert, A. Strong, M, A. Lucians De Dea Syria, with life of Lucian, The Syrian goddess, London, 1913. p. 27.
(2) Rostovtzeff, M. Hadad and Atragtis at Palmyra, American Journal of Archeology, USA, 1933, P. 68 - 69.



الشكل رقم (٣) الإله حدد^(١)

(1) Rostovtzeff, M. Hadad and Atragtis at Palmyra, p. 69.



الشكل رقم (٤) حدد و أتراغتنس متحف الفن جامعة يال (أرشيف دورا أوروبوس)^(١)



الشكل رقم (٥) أشخاص من تدمر من الطبقة الأرستقراطية^(٢)

(1) Butcher, K. Tow Syrian deties Syria. Archéologie, art et histoire, 2007, p. 282.

(2) Sartre, M. Palmyre la cite des caravanes, Archeologie, France, 2008, p. 108.



الشكل رقم (٦) منحوتة من تدمر تمثل إحدى العائلات التدمرية^(١)



الشكل رقم (٧) منحوتة لإحدى العائلات الأرستقراطية التدمرية^(٢)

(1) Sartre, M. Sartre, p. 111.

(2) op, cit, p.40.



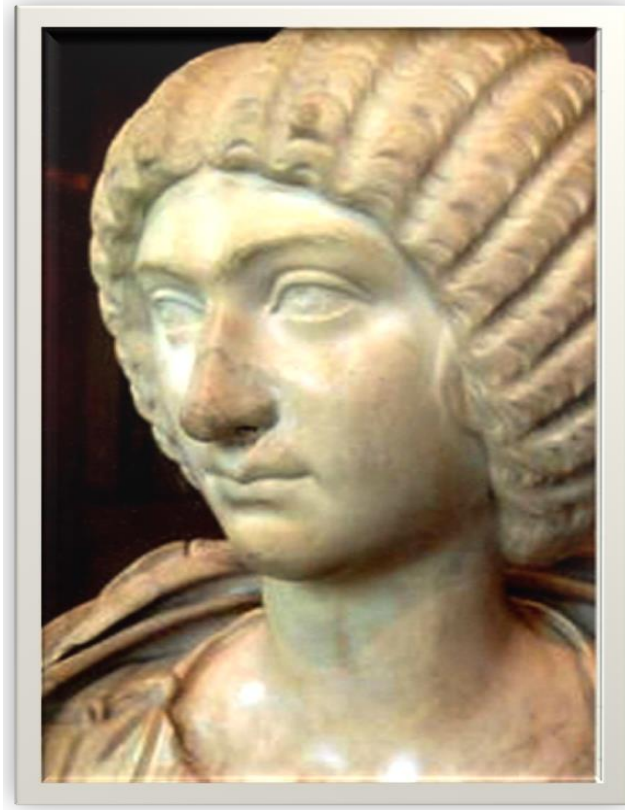
الشكل رقم (٨) منحوتة تمثل امرأة من الطبقة الأرستقراطية التدمرية على واجهة إحدى المقابر^(١)



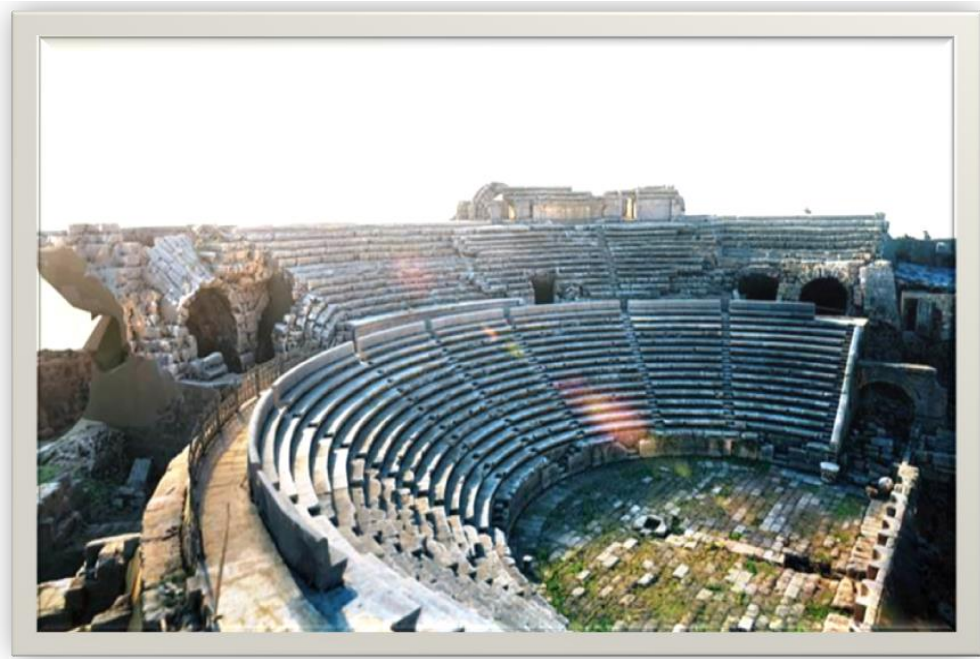
الشكل رقم (٩) نساء سوريات من تدمر^(٢)

(1) Sartre, M, p.110.

(2) op, cit, p 109.



الشكل رقم (١٠) جوليا دومنا^(١)



الشكل رقم (١١) مدرج جبلة الأثري^(٢)

<http://mausoaatnahla.blogspot.com/2014/07>^(١)

(٢) تصوير الباحث.



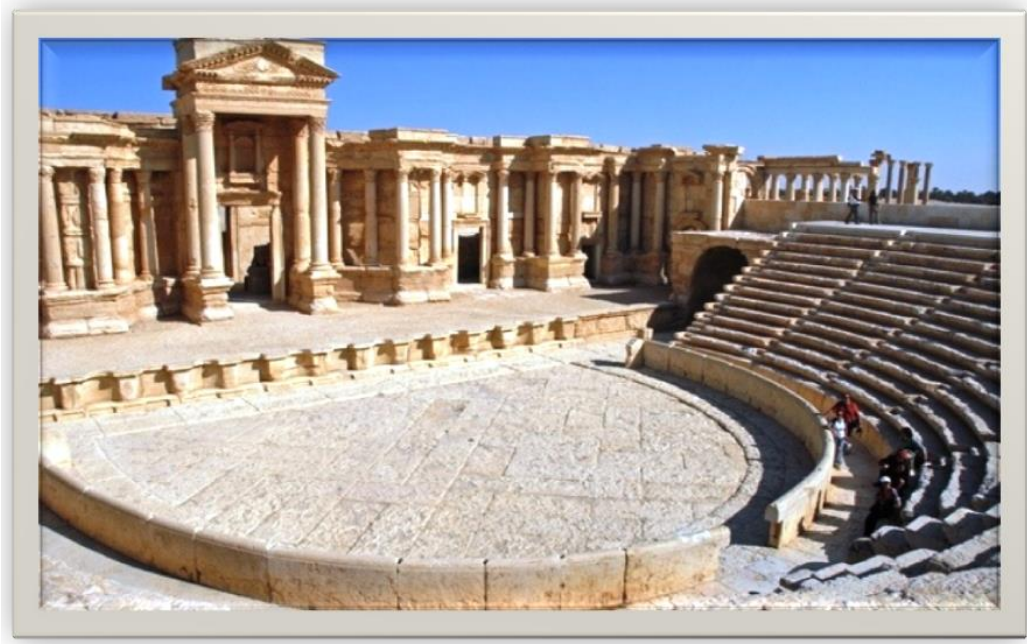
الشكل رقم (١٢) مسرح بصرى^(١)



الشكل رقم (١٣) مسرح بصرى الأثري^(٢)

(١) ويكيبيديا الموسوعة الحرة. <https://ar.m.wikipedia.org>

(٢) المرجع نفسه.



الشكل رقم (١٤) مسرح تدمر الأثري^(١)



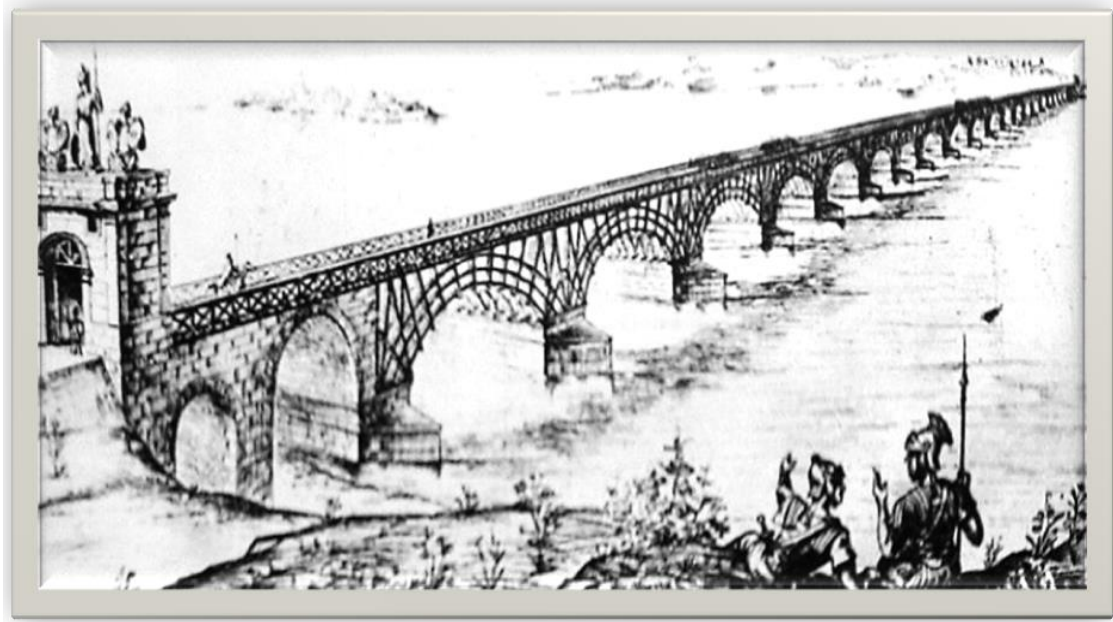
الشكل رقم (١٥) أفامية^(٢)

(١) ويكيبيديا الموسوعة الحرة. <https://ar.m.wikipedia.org>

(٢) المرجع نفسه



الشكل رقم (١٦) أبولودور و جسر الدانوب^(١)



الشكل رقم (١٧) جسر الدانوب أبولودور الدمشقي^(٢)

-
- (1) Giuliani, C. Maamoun, A. Apollodorus of Damascus and Trajan's Column: From Tradition to Project, L'Erma di Bret Schneider, 2003, P. 55.
 (2) Giuliani, C. Maamoun, A, P. 55.



الشكل رقم (١٨) دورا أوروبوس^(١)

(1) Brody, L. Yale University and Dura Europos from excavation to Exhibition, Yale university, 2008, p. 19.



الشكل رقم (١٩) دورا أوروبوس^(١)

(1) Brody, L. Yale University and Dura Europos from excavation to Exhibition, 20.